الوصايا

لابن العربي

الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي
المعروف بابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الوصايا

لابن العربي

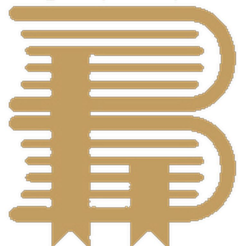
الوصايا

لابن العربي

الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي
المعروف بابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

بإشراف
لجنة التحقيق والتصحيح في المؤسسة

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات



الطبعة الأولى المصححة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس : ٨٣٣٤٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالى

وصّى الإلـهُ وَأوصتْ رُسْـلُه فلذا — كان التأسي بهم من أفضل العملِ
لـولا الوصيـةُ كان الخلقُ في عمهٍ — وبـالوصيـةِ دام الملكُ في الـدولِ
فـاعْمَل عليهـا ولا تُهمل طـريقتَها — إنّ الـوصيـة حُكم الله في الازلِ
ذكّـرتُ قومـاً بمـا أوصى الإلـهُ بـه — وليس أحـداثُ أمرٍ في الـوصية لي
فلم يكن غير ما قالوه أو شـرعـوا — من السلوك بهم في أقـوم السُّبـلِ
فهـديُ أحمد عينُ الـدين أجمعِـه — وملّةُ المصـطفى من أنـور المللِ
لم تـطمِس العينَ بل أعـطته قـوتها — حتى يقيم الـذي فيـه من المَيـلِ
فخـذ يسّـرك عنـه من مـراكـزه — علواً إلى القمـر الأعلى إلى زحلِ
إلى الثـوابت لا تنْـزل بسـاحتهـا — وانهض إلى الدرج العالي من الحمل
وَمنه للقدم الكرسي ثم إلى العرش — المحيط إلى الأشكـال والمُـثُـلِ
إلى الطبيعة للنفس النزيهة للعقل — الـمقيّـد بـالأعـراض والعـللِ
إلى العمـاء الـذي مـا فـوقـه نَفَسٌ — منـه إلى المنزل المنعوت بالازلِ
وانظر إلى الجبل الراسي على الجبل — وقـدْ رآه فـلم يَبْـرح ولـم تـزُلِ
لولا العلو الذي في السُّفل ما سفَلت — وجـوهُنا تـطلب المرئيّ بـالمُقَلِ
لـذلكمْ شـرع اللّـه السجـودَ لنـا — فنشهـدُ الحق في علوٍ وفي سُفلِ
هـذا وصيتُنـا إن كنـتَ ذا نـظر — وإنهـا حيلةٌ من أحسنِ الـحيـلِ

تـرى بهـا كــلَّ معلومٍ بصــورتــه	على حقيقةِ ما هـو لا على البـدلِ
حتى ترى المنظَر الأعلي وليس لـه	سـواك مجلًى فـلا تبـرح ولا تـزلِ
فــإن دعــاك إلى عينٍ تُســر بهــا	فــلا تُجِبْـه وكن منــه على وَجَـلِ
إنــا إنسـاثٌ لـمــا فيـنــا يُــولّــده	فلنحمد الله ما في الكون من رجلِ
إن الـرجـالَ الـذين العـرفُ عيّنهم	هم الاناثُ وهم سؤلي وهم أملي

فمن ذلك وصيــة :

قال الله تعالى في الوصية العامة﴿شَرَعَ لكم من الدّينِ ما وصّى به نوحاً والذي أوَحيْنا إليك وما وصّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيمـوا الدّينَ ولا تتفرقوا فيه﴾[١] فأمرَ الحق سبحانـه بإقـامة الـدين ـ وهو شـرعُ الوقت في كـل زمان وملة ـ وأن نجتمع عليه ولا نتفرق فيه ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإنمـا يأكل الـذئب القاصيـة من الغنم ، وهي : البعيدة التي شَـرَدت وانفردت عمـا هي الجمـاعة عليـه . وحكمة ذلـك أن الله لا يُعْقَلُ إلهـاً إلا من حيث أسماؤه الحسنى لا من حيث هو معرىً عن هذه الأسماء الحسنى ، فلا بد من تـوحيد عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله فيد الله ـ وهي القوة ـ مع الجماعة .

أوصى حكيم أولاده عنـد موتـه ـ وكانـوا جماعـة ـ فقـال لهم : إئتـوني بعصيٍّ ، فجمعهـا وقال لهم : إكسـروها ـ وهي مجمـوعـة ـ فلم يقـدروا على ذلك ، ثم فرّقها فقال لهم : خذوها واحدة واحدة فاكسروها فكسروهـا ، فقال لهم : هكـذا أنتم بعـدي لن تغلبـوا مـا اجتمعتم ، فـإذا تفـرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم . وكذلك القائمون بالـدين إذا اجتمعوا على إقـامة الـدِّين ولـم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو ، وكذلـك الإنسانُ في نفســه إذا اجتمع في نفســه على إقـامة دين الله لـم يغلبـه شيطان من الإنس ولا من الجن بمـا يوسـوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملَك بلَمّته له .

---

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ١٣ .

وصيــة :

إذا عصيت الله بموضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم فيه عبادة ، فكما يشهد عليك إذا استُشْهِد يشهد لك وحينئذ تنتزح عنه ، وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه فكن كما ذكَرتُه لك أعْبُدِ الله فيه ، وكذلك ما يفارقك منك من قصِ شاربٍ وحلق عانةٍ وقص أظفارٍ وتسريح شعرٍ وتنقية وسخ، لا يفارقك شيء من ذلك من بدنك إلاّ وأنت على طهارةٍ وذكرِ الله تعالى عز وجل فإنه يُسأل عنك كيف تركك ، وأقل عبادة تَقْدر عليها عند هذا كله أن تدعوَ الله في أن يتوب عليك عن أمره تعالى ، حتى تكون مؤدياً واجباً في إمتثالك أمرَ الله وهو قوله : ﴿وقال ربُكم أدعوني أستجبْ لكم﴾ فأمرَك أن تدعوَه ، ثم قال في هذه الآية : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ يعني هنا بالعبادة الدعاءَ أي : من يستكبر عن الذِّلة والمسكنة ، فإن الدعاء سماه عبادةً والعبادةُ ذلة وخضوع ومسكنة﴿سيدخُلون جهنمَ داخرين﴾[1] أي أذلاء ، فإذا فعلوا ما أُمروا به جازاهم الله بدخول الجنة أعزاء . ولقد دخلتُ يوماً الحمام لغُسل طراً عليّ سحراً فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي بن اللهيب ـ وكان صاحبي ـ فاستدعى بالحلاق يحلق رأسه فصحتُ به يا أبا المعالي فقال لي من فوره قبل أن أتكلم : إني على طهارة قد فهمتُ عنك ، فتعجبت من حضوره وسرعة فهمه ومراعاته للموطن وقرائن الأحوال وما يعرفه مني في ذلك ، فقلت له : بارك الله فيك والله ما صحت بك إلا لتكون على طهارة وذكرٍ عند مفارقة شعرك ، فدعا لي ثم حلق رأسه . ومثلُ هذا قد أغفله الناس بل يقولون : إذا عصيتَ الله في موضع فتحول عنه لأنهم يخافون عليك أن تذكرك البقعة بالمعصية فتستحليها فتزيد ذنباً إلى ذنب ، فما ذكروا ذلك إلاّ شفقة ولكن فَاتَهُمْ علمٌ كبير فأطع الله فيه وحينئذ تتحول عنه فتجمع بين ما قالوه وبين ما أوصيتُك به . وكلما ذكرت خطيئة أتَيْتَها فتب عقيب ذكرك إياها واستغفر الله منها .

---

(١) سورة غافر ؛ الآيتان : ٥٩ ـ ٦٠ .

واذكر الله عندهـا بحسب ما كـانت تلك المعصية ، فـإن رسول الله ﷺ يقول [أتبع السيئة الحسنة تمحها] وقال تعالى :

﴿إن الحسنـات يذهبن السيئـات﴾[1] ولكن ليكن لـك ميـزان في ذلـك تعرف به مناسبات السيئات والحسنات التي تزنها .

وصيـة :

حسِّن الظنَّ بربك على كل حال ولا تسيء الظن فإنك لا تـدري : هل أنت على آخر أنفاسك في كل نفس يخرج منك فتموت فتلقى الله على حُسن ظنٍ بـه لا على سوء ظن ، فـإنك لا تـدري لعل الله يقبضُـك في ذلك النَّفَس الخارج عنك . ودَعْ عنك ما قال من قال بسوء الظن في حياتك وحسن الـظن بالله عند موتك ، وهذا عند العلماء بالله مجهولٌ فإنهم مـع الله بأنفـاسهم وفيه من الفـائدة والعلم بـالله أنـك وفيت في ذلـك الحق حقَـه ، فـإن من حق الله عليك الإيمانَ بقـوله : ﴿وننشئكم فيمـا لا تعلمون﴾[2] فلعـل الله ينشئك في النَّفس الذي تظن أنه يأتيـك نشأةَ المـوت والإنقلاب إليـه وأنت على سوء ظن بربك فتلقاه على ذلك ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه أنه عز وجل يقول : (أنا عند ظنِ عبـدي بـي فليظنَّ بي خيراً) . وما خص وقتـاً من وقت . واجعـل ظنك بـالله علماً بـأنه يعفـو ويغفـرُ ويتجـاوز ، وليكن داعيَـك الإلهي إلى هذا الظـن قولُه تعالى : ﴿يا عباديَ الذين أسـرفوا على أنفسهم لا تقنـطوا من رحمة الله﴾ فنهـاك أن تقنط ، وما نهـاك عنه يجبُ عليـك الإنتهاءُ عنه . ثم أخبر ـ وخبره صدق لا يدخله نسخ ، فإنه لو دخله نـسخ لكـان كذبـاً والكذب على الله محال ـ فقال: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ وما خص ذنبـاً من ذنب وأكدّها بقوله : ﴿جميعاً﴾ ثم تمَّم فقال : ﴿إنه هو﴾ فجـاء بالضمير الذي يعود عليه ﴿الغفور الرحيم﴾[3] من كونه سبقت رحمتُهُ غضَبه . وكذلك

---

(١) سورة هود ؛ الآية : ١١٤ .

(٢) سورة الواقعة ؛ الآية : ٦١ .

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٥٣ ، ٥٤ .

قال : ﴿الذين أسرفوا﴾ ولم يعيّن إسرافاً من إسـراف ، وجاء بـالإسم الناقص الذي يعم كل مسرف ، ثم أضاف العبـاد إليه لأنهم عبـاده كما قـال الحقُّ عن العبد الصالح عيسى عليه السلام ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ (١) فأضافهم إليه تعالى وكفى شرفاً شرفُ الإضافة إلى الله تعالى .

وصيــة :

عليكم بـذكر الله في السـر والعلن وفي أنفسكم وفي المـلأ ، فـإن الله يقـول : ﴿فاذكـروني أذكركم﴾ (٢) فجعـل جواب الـذكر من العبـد الذكـرَ من الله ، وأي ضراء على العبد أضر من الذنب ؟ وكان يقول ﷺ في حال الضراء [الحمـد لله على كل حـال] وفي حـال السـراء [الحمـد لله المنعم المفضـل] فإنك إذا أشعرت قلبك ذكرَ الله دائماً في كل حال لا بـد أن يستنير قلبـك بنور الذكر، فيرزقك ذلك النور الكشف، فإنه بـالنور يقـع الكشف للأشيـاء، وإذا جاء الكشف جـاء الحياء يصحبـه ، دليلك على ذلك إستحيـاؤك من جـارك وممن ترى له حقاً وقدراً . ولا شك أن الإيمان يعطيك تعظيم الحق عندك ، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين ، ووصيتنا إنما هي لكل مسلم مؤمن بـالله وبما جـاء من عند الله ، والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه [وأنا معـه ـ يعني مع العبد ـ حين يـذكرني ، إن ذكـرني في نفسه ذكـرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه] .

وقال تعالى : ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكـرات﴾ (٣) وأكبر الـذكر ذكـر الله على كل حال .

وصيــة :

ثابر على إتيان جميع القـرب جهدَ الإستـطاعة في كـل زمان وحـال بما

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ١١٨ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٢ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٥ .

يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال ، فإنك إن كنت مؤمناً فلن تخلص لك معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة فإنك مؤمن بها أنها معصية ، فإن أضفت إلى هذا التخليط إستغفاراً وتوبة فطاعةٌ على طاعة وقربةٌ إلى قربة ، فيقوى جزءُ الطاعة التي خُلط بها العمل السيء ، والإيمانُ من أقوى القرب وأعظمها عند الله ، فإنه الأساس الذي ابتنى عليه جميع القرب .
ومن الإيمان حكمك على الله بما حكم به على نفسه في الخبر الذي صح عنه تعالى الذي ذكر فيه [وإن تقرب مني شبراً تقربتُ منه ذراعا ، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة] وسبب هذا التضعيف من الله ولا أقل من العبد ولا أضعف ، فإن العبد لا بد له أن يتثبت من أجل النية بالقربة إلى الله في الفعل ، وإنه مأمور بأن يزن أفعاله بميزان الشرع فلا بد من التثبط فيه ، وإن أسرع ووصف بالسرعة فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك لا في نفس الفعل ، فإن إقامة الميزان به تصح المعاملة ، وقربُ الله لا يحتاج إلى ميزان فإن ميزان الحق الموضوعَ الذي بيده هو الميزان الذي وزنْتَ أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القربة إلى الله ، فلا بد مَنْ هذا نعته أن يكون في قربه منك أقوى وأكثرَ من قربك منه .
فوصف نفسه بأنه يقرب منك في قربك منه ضعف ما قربت منه مثلا بمثل ، لأنك على الصورة خلقت ، وأول خلافة لك خلافتك على ذاتك فأنت خليفته في أرض بدنك ، ورعيتُك جوارحك وقواك الظاهرةُ والباطنة . فعين قربه منك قربُك منه وزيادة وهي ما قال من الذراع والباع والهرولة والشبر إلى الشبر ذراع والذراع إلى الذراع باع والمشي إذا ضاعفته هرولة ، فهو في الأول الذي هو قربك منه ، وهو في الآخر الذي هو قربه منك فهو الأول والآخر وهذا هو القرب المناسب ، فإن القرب الإلهي من جميع الخلق غير هذا وهو قوله : ﴿ونحنُ أقربُ إليه من حبلِ الوريد﴾[1] فما أُريد هنا ذلك القرب ، وإنما أُريد القرب الذي هو جزاء قرب العبد من الله . وليس للعبد قرب من الله إلّا

---

(١) سورة ق ؛ الآية : ١٦ .

بالإيمان بما جاء من عند الله بعد الإيمان بالله وبالمبلغ عن الله تعالى .

وصية :

ألزم نفسك الحديثَ بعمل الخير وإن لم تفعل . ومهما حدثت نفسك بشر فاعزم على ترك ذلك لله إلا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق ، فإن الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشر الذي حدثت به نفسك كتبه لك حسنة ، وقد ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول : [إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها] و ـ ما ـ هنا ظرفية . فكل زمان يمر عليه في الحديث بعمل هذه الحسنة وإن لم يعملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في كل زمان يصحبه الحديث بها فيه ، بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت ، فله بكل زمانٍ حديثٍ حسنة ولهذا قال : [ما لم يعملها] ثم قال تعالى : [فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها] ومن هنا فرض العُشْر فيما سقت السماء إن علمت ، فإن كانت من الحسنات المتعدية التي لها بقاء الأجر فإن الأجر يتجدد عليها ما بقيت إلى يوم القيامة كالصدقة الجارية مثل الأوقاف والعلم الذي يبثه في الناس والسنة الحسنة وأمثال ذلك ، ثم تمم نعمه على عباده فقال تعالى : [وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها] و ـ ما ـ هنا ظرفية كما كانت في الحسنة سواء والحكم كالحكم في الحديث والجزاء بالغاً ما بلغ . ثم قال: [فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها] فجعل العدل في السيئة والفَضلَ في الحسنة وهو قوله : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾(١) وهو الفضل وهو ما زاد على المثل . ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنها تقول بحكم الأصل عليها الذي أنطقها في حق أبينا آدم بقولها : ﴿أتجعلُ فيها مَنْ يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾(٢) فما ذكرت إلا مساوينا وما تعرضتْ للحسن من ذلك ، فإن الملأ الأعلى تغلب عليه الغيرة على جناب الله أن يهتضم ، وعلمتْ من هذه النشأة العنصرية أنها لا بد أن

---

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٢٦ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠ .

تخالف ربها لما هي عليه من حقيقتها ، وذلك عندها بـالذوق من ذاتهـا وإنما هي في نشأتها أظهر ، ولولا أن الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا ما ذكـر الله عنهم أنهّم يختصمون ، والخصامُ ما يكون إلا مع الأضداد . والـذي أخبر الله عن الملائكة في حقنا أنهم يقولـون : [ذاك عبدك يـريد أن يعمـل حسنة] فانظر قوة هذا الأصل ما أحكَمَه لمن نظر .

ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكر خيراً في أحد وسكت عن شـره أين تكون درجته مع القـدر الجميل من الملائكة فيمـا ذكروه ، ولكن نَبّهتُـك على مـا نبهتك عليـه من ذلك لتعـرف نشأتهم ومـا جلوا عليـه ، فكـلٌ يعمـل على شاكلته كما قال تعالى . وأخبر أن المـلائكة تقـول (ذاك عبدك فـلان يريـد أن يعمل سيئة) وهـو أبصر بـه فقال (أرقبـوه فإنْ عملهـا فاكتبـوها لـه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنـة إنه إنمـا تركهـا من جرائي) أي من أجلي فـالملائكـة المـذكورة هنـا هم الذين قـال الله لنـا فيهم : ﴿إن عليكم لحـافـظين كـرامـا كاتبين﴾[1] فالمرتبة والتولية أعـطتهم أن يتكلموا بمـا تكلموا بـه ، فلهم كتابـة الحسن من غير تعريف بما يقدم الله إليهم به في ذلك ، ويتكلمون في السيئة لما يعلمونه من فضل الله وتجاوزه . ولولا ما تكلموا في ذلك ما عـرفنا مـا هو الأمر فيه عند الله مثل ما يقولـونه في مجـالس الذكـر في الشخص الذي يـأتي إلى حـاجته لا لأجـل الذكـر فأطلق الله للجميـع المغفرة وقـال : [هم القوم لا يشقى جليسهم] فلولا سؤالهم وتعـريفهم بهم مـا عـرفنـا حكم الله فيهم ، فكـلامهم ، عليهم السـلام تعليم ورحمـة، وإن كـان ظـاهـره كمـا يـسبق إلى الأفهام القاصرة مع الأصل الذي نبهناك عليه ، وقد قال الله تعـالى في الحسنة والسيئـة ﴿من جاء بـالحسنة فله عشـر أمثالهـا﴾ وأزيد ﴿ومن جـاء بالسيئـة فلا يجزى إلا مثلها﴾[2] وأغفر بعد الجزاء لقوم وقبل الجزاء لقوم آخرين . فلا بد من المغفرة لكل مسرف على نفسه وإن لم يتب .

---

(١) سورة الإنفطار ؛ الآية : ١٠ .

(٢) سورة الأنعام : الآية : ١٦٠ .

فمن تحقق بهذه الوصية عرف النسبة بين النشأة الإنسانية والملائكة وأن الأصل واحد كما أن ربنا واحد وله الأسماء المتقابلة فكان الوجود على صورة الأسماء .

وصيــة :

ثابر على كلمة الإسلام وهي قولك : لا إله إلاّ الله فإنهـا أفضل الأذكـار بما تحوي عليه من زيادة علم ، وقال ﷺ : [أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله] فهي كلمة جمعت بين النفي والإثبـات ، والقسمة منحصـرة فلا يعرف ما تحـوي عليه هـذه الكلمة إلا من عـرف وزنها ومـا تزن كمـا ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها .

فاعلم أنها كلمة توحيـد ، والتوحيـد لا يماثله شيء إذ لو ماثله شيء مـا كان واحداً ولكان إثنين فصاعداً ، فما ثَمّ ما يزنه إلا المعادل والممـاثل ، ومـا ثم مماثل ولا معادل ، فذلـك هو المـانع الـذي منع لا إلـه إلا الله أن تدخـل الميزان ، فإن العامة من العلماء يرون أن الشـرك الذي هـو يقابـل التوحيـد لا يصح وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد ، فالإنسان : إما مشـرك وإما موحد ، فلا يزن التوحيد إلا الشرك ولا يجتمعان في ميـزان . وعندنـا إنما لم تدخل في الميزان لما ورد في الخبـر لمن فهمه واعتبـره وهو خبـر صحيح عن الله ، يقـول الله : [لو أن السمـوات السبع وعـامرَهن غيـري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفّه ولا إله إلا الله في كفة مـالت بهن لا إله إلا الله] فمـا ذَكر إلا السمواتِ والأرضَ لأن الميزان ليس له موضع إلا مـا تحت مقعر فلك الكـواكب الثابتـة من السدرة المنتهى التي ينتهي إليهـا أعمال العبـاد ، ولهـذه الأعمال وُضع الميزان فلا يتعدى الميزان الموضع الذي لا تتعداه الأعمـال ، ثم قال : [وعامرهن غيري] ومالها عامر إلا الله فـالخبير تكفيـه الإشارة ، وفي لسان العموم من علماء الرسوم يعني بالغير الشريكَ الذي أثبتـه المشرك . لـو كان له اشتراك في الخلق لكانت لا إله إلا الله تميل به في الميزان لأن لا إلـه إلا الله الأقـوى على كل حـال لكونِ المشـرك يـرجح جـانب الله تعـالى على

جانب الذي أشرك به فقال فيهم : إنهم قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾(١) فإذا رفع ميزان الوجود لا ميزانُ التوحيد دخلت لا إله إلا الله فيه ، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة وهو توحيد المشركين فتزنه - لا إله إلا الله - وتميل به ، فإنه إذا لم يكن العامر غيرَ الله فلا تميل . وغاية ما ذكره إنما هو الله فإلى أين تميل وما ثم إلا واحد في الكفتين ؟ . وأما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة لأنها هي التي حواها الميزان من كون لا إله إلا الله تَلفّظ بها قائلها فكتبها المَلك فهي لا إله إلا الله المكتوبة المخلوقة في النطق ، ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد ، وإنما أراد الله أن يرى فضلَها أهلُ الموقف في صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلاّ بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، فإذا لم يبق في الموقف موحدٌ قد قضى الله عليه أن يدخل النار ، ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية عند ذلك يؤتى بصاحب السجلات ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لاحظّ له في النار وهو آخر من يوزن له من الخلق فإن لا إله إلا الله له البدء والختام . وقد يكون عين بدئها ختامَها كصاحب السجلات .

ثم إعلم أن الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها منفعة وأثقلها وزناً لأنه يقابل بها أضداداً كثيرة فلا بد أن يكون في ذلك الموضع في العامة من القوة ما يقابل به كل ضد ، وهذا لا يتفطن له كلٌ عارف من أهل الله إلا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا ، ولا شك أنه قال ﷺ : [أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله] وقد قال ما أشارت إلى فضله من أدعى الخصوص من الذكر بكلمة الله الله أو هو هو ولا شك أنه من جملة الأقوال التي [لا إله إلا الله] أفضلُ منها عند العلماء بالله .

فعليك يا وليّ الله بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانة الزلفى ، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣ .

أحكمه ، فإن الله ما وسّع رحمته إلا للشمول وبلوغِ المأمول ، وما من أحد إلا وهو يطلب النجاة وإن جهل طريقها . فمن نفى بـ [/لا إله] عينَه أثبت بـ [/إلا الله] كونَه فتنفي عينك حكماً لا علماً وتوجب كون الحق حكماً وعلماً والإله مَنْ له جميع الأسماء وليست إلا لعين واحدة وهي مسمى الله عامرِ السموات والأرض الذي بيده ميزان الرفع والخفض ، فعليك بلزوم هذا الذكر الذي قَرَن الله به وبالعلم به السعادةَ فعم .

وصيـة :

وإياك ومعاداةَ أهلِ لا إله إلا الله فإن لها من الله الولايةَ العامة ، فهم أولياء الله ، وإنْ أخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً لقيهم الله بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته ، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة ، وكلُّ من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدواً . وأقلُّ أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره ، فإذا تحققت أنه عدو لله - وليس إلا المشرك - فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حق أبيه آزر ، قال الله عز وجل : ﴿فلماً تبيّن له أنه عدوّ لله تبرأ منه﴾(١) هذا ميزانك بقول الله تعالى ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يُوادُّون مَنْ حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم﴾(٢) كما فعل إبراهيم الخليل ﴿أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾(٣) .

ومتى لا تعلم ذلك فلا تعادِ عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان والذي ينبغي لك أنْ تكره فعلَه لا عينه ، والعدو لله إنما تَكره عينَه . ففرّقْ بين من تكره عينه - وهو عدو الله - وبين من تكره فعله و- هو المؤمن - أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت . واحذر قوله تعالى في الصحيح عنه : [من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب] فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما

---

(١) سورة التوبة : الآية : ١١٤ .

(٢) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

وفي حق الحق في خلقه ، فإنه ما يدري علم الله فيه وما بيّنه الله له حتى يتبرأ منه ويتخذه عدواً ، وإذا علم حاله الظاهر ـ وإن كان عدو الله في نفس الأمر وأنت لا تعلم ـ فَوالِهِ لأقامة حق الله ولا تعاده ، فإن الإسم الإلهي الظاهر يخاصمك عند الله فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك فإن لله الحجّةَ البالغة ، فعامل عبادَ الله بالشفقة والرحمة كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع علمه بهم ، وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذي هم فيه ما هم فيه بهم بل هم فيه به لما قد ذكرنا بلسان العموم أن الله تعالى خالقُ كل شيء ، وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم ،وبلسان الخصوص ـ ما ظهر حكمٌ في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه ، فللّه الحجةُ البالغة على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجّة . فسلم الأمر إليه واعلم أنك على ما كنت عليه وُعمَّ برحمتك وشفقتك جميعَ الحيوان والمخلوقين ولا تقل : هذا نبات وجماد ما عندهم خير ، نعم عندهم أخيار ، أنت ما عندك خير ، فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمةِ موجدِه في وجوده ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، فيتعينُ عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك حيث نهاك أن تتخذ عدوه ولياً تُلقِي إليه بالمودة ، فإن إضطرك ضعفُ يقينٍ إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تُلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشر عنك ففوض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه إلى أن تلقاه .

وصية :

وعليك بملازمة ما افترضه الله عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه ، فإذا أكملت نشأة فرائضك ـ وإكمالُها فرض عليك ـ فحينئذ تتفرغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ، ولا تحقر شيئاً من عمَلك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده ، وما كلفك بأمر إلا وله بذلك الأمر إعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في الرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به ، إذ كان التكليف لا يتعلق إلا بأفعال المكلفين فيتعلق بالمكلف من حيث

فعلهُ لا من حيث عينه .

واعلم أنك إذا ثابرت على أداء الفرائض فإنك تقربت إلى الله بأحب الأمور المقربة إليه وإذا كنت صاحبَ هذه الصفة كنت سمعَ الحق وبصره فلا يسمع إلا حث ولا يبصر إلا بك ، فيدُ الحق يدك ﴿إنّ الذين يُبايعونك إنّما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم﴾(١) وأيديهم - من حيث ما هي يد الله - هي فوق أيديهم - من حيث ما هي أيديهم - فإنها المبايعة (إسم فاعل) والفاعل هو الله ، فأيديهم يد الله فبأيديهم بايع تعالى وهم المبايَعون . والأسباب كلها يد الحق التي لها الإقتدار على إيجاد المسببات ، وهذه هي المحبة العظمى التي ما ورد فيها نص جلي كما ورد في النوافل ، فإن المثابرة على النوافل توجب حباً إلهياً منصوصاً عليه بكون الحق سمعَ العبد وبصره كما كان الأمر بالعكس في حب أداء الفرائض ، ففي الفرض عبودية الإضطرار وهي الأصلية ، وفي الفرع - وهو النفل - عبودية الأختيار ، فالحق فيها سمعك وبصرك . وسمي نفلاً لأنه زائد كما أنك بالأصالة زائد في الوجود إذ كان الله ولا أنت ثم كنت فزاد الوجود الحادث فأنت نفل في وجود الحق ، فلا بد لك من عمل يسمى نفلا وهو أصلك ، ولا بد من عمل يسمى فرضاً وهو أصل الوجود وهو في وجود الحق ، ففي أداء الفرض أنت له وفي النفل أنت لك ، وحبّه إياك من حيثما أنت له أعظم وأشدُّ من حبه إياك من حيث ما أنت لك ، وقد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبُّ إلي مما إفترضته عليه وما زال العبدُ يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبُّه فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي به يسمع وبصرَه الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله التي بها يمشي ، ولئن سألني لأعطينّه ولئن إستعاذني لأعيذنه وما ترددتُ في شيء أنا فاعله ترددي عن نفسِ عبدي المؤمن يكره الموتَ وأنا أكره مساءته) فانظر إلى ما تنتجه محبة الله فثابر على أداء ما يصح به وجودُ هذه المحبة الإلهية ولا يصح نفل إلا بعد الفرض ، وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه

---

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

من الفروض تكمل الفرائض . ورد في الصحيح أنه يقول تعالى (أنظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها) فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان إنتقص منها شيئاً قال [أنظروا هل لعبدي من تطوع] فإن كان له تطوّع قال الله تعالى : [أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه] ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم ، وليست النوافل إلا ما لها أصل في الفرائض ، وما لا أصل له في الفرائض ، فذاك إنشاء عبادة مستقلة تسميها علماء الرسوم بدعةً قال تعالى : ﴿ورهبانية إبتدعوها﴾[1] وسماها رسول ﷺ سنةً حسنة ، والذي سنّها له أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً .

ولما لم يكن في قوّة النفل أن يسد ـ مسد الفرض جَعَل في نفس النفل فروضاً لتجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الأصل ، ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكرٍ وركوعٍ وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها .

وصية :

وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة عملك ولهذا قيل : من عَدّ كلامه من عمله قلّ كلامه . واعلم أن الله راعى أقوال عباده فإن الله عند لسان كل قائل ، فما نهاك الله عنه أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده ، فإن الله سائلك عنه . روينا أن المَلك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلم به ، قال تعالى : ﴿ما يَلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد﴾[2] يريد الملكَ الذي يحصى عليك أقوالك يقول تعالى : ﴿إنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يَعْلمون ما تفعلون﴾[3] وأقوالك من أفعالك ، أنظر في قوله تعالى : ﴿ولا تقولوا لمنْ يقتلُ في سبيل الله أمواتٌ﴾[4] فنهاك عن القول

---

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٧ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ١٨ .

(٣) سورة الإنفطار ؛ الآية : ١٢ .

(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٤ .

فإنه كَذّب الله من قال مثلَ هذا القـول ، فإن الله قـال : فيهم إنهم أحياء عنـد ربهم يـرزقون ألا تـراه تعالى يقـول : ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيـل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم﴾[1] وقال (لا يحبُّ الله الجهرَ بالسوء من القول)[2] وقـال : ﴿لا خيرَ في كثيـرٍ من نجـواهم﴾[3] وهـو القـول فـإذا تكلمت فتكلم بميزان ما شرع الله لك أن تتكلم به ، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقـول إلا حقاً .

فعليك بقول الحق الذي يُرضي الله ، فما كل حق يقال يرضي الله فـإن النميمـة حق والغيبة حق وهي لا تُرضي الله ، وقـد نهينـا أن نغتـاب وأن نَنُمَّ بأحدٍ . ومن مراعاة الله الأقوال ما روينا في صحيح مسلم عن الله عز وجل أنه قال : لما مـطرت السماء قـال تعالى : [أصبح من عبادي مؤمن بي وكـافر ، فمن قال : مُطِرنا بنوءِ كذا وكذا فهو كافـر بي مؤمنٌ بالكـواكب] وأما من قال مـطرنا بفضـل الله ورحمته فـذلـك مؤمن بي كـافـر بـالكـواكب فـراعى أقـوال القـائلين . وكان أبـو هريـرة إذا مطرت السمـاء يقول : مـطرنا بنـوء الفتـح ثم يتلو : ﴿ما يفتحِ الله للناس من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها﴾[4] ولو كنت تعتقـد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة بأنه يفعل الأشياء عندهـا لا بها فمع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتتلفظ به ، فـإنه كمـا نهاك عن أمور نهاك عن القول وإن كان حقاً .

وأنظر ما أحكم قول الله عز وجل في قوله : [مؤمن بي كافـر بالكـواكب وكافر بي مؤمن بالكواكب] فإنه مهما قال بفضل الله فقد ستر الكوكب حيث لم ينطق باسمه ، ومن قال : بالكواكب فقد ستر الله وإن اعتقد أنه الفـاعل منـزلُ المطر ولكن لم يتلفظ باسمه فجاء تعالى بلفظ الكفر الذي هو الستـر ، فإيـاك والإستمطار بالأنواء أن تتلفظ به فأحرى أن تعتقده فإن إعتقـادك إن كنت مؤمناً

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٦٩ .
(٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٤٨ .
(٣) سورة النساء ؛ الآية : ١١٤ .
(٤) سورة فاطر ؛ الآية : ٢ .

أنّ الله إنما نصبها أدلة عادية ـ وكلُّ دليل عادي يجوز خرق العادة فيه ـ فاحذر من غوائل العادات ولا تصرفَنَّك عن حدود الله التي حَدَّ لك فلا تتعداها فإن الله ما حَدَّها حتى راعاها وذلك في كل شيء . ورد في الخبر الصحيح [إن الرجلَ يتكلمُ بالكلمةِ من سخط الله ما يظُن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغَ ما بلغت فيُرفع بها في عليين] فلا تنطق إلا بما يُرضي الله لا بما يسخط الله عليك ، وذلك لا يتمكن لك إلا بمعرفة ما حده لك في نطقك . وهذا باب أغفله الناس قال رسول الله ﷺ : [وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم] وقال الحكيم [لا شيء أحق بسجنٍ من لسان] وقد جعله الله خلف بابين : الشفتين والأسنان ومع هذا يكثر الفضول ويفتح الأبواب .

وصية :

وإياك أن تُصور صورةً بيدك من شأنها أن يكون لها روح ، فإن ذلك أمر يهونه الناس على أنفسهم وهو عند الله عظيم ، والمصورون أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة يقال للمصور يوم القيامة : أحي ما خلقت أو إنفخ فيه روحاً وليس بنافخ وقد ورد في الصحيح عن الله تعالى أنه قال : [ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة] وإن العبد إذا راعى هذا القدر وتركه لما ورد عن الله فيه ولم يزاحم الربوبية في تصوير شيء لا من الحيوان ولا من غيره فإنه يطلع على حياة كل صورة في العالم فيراه كله حيواناناطقاً يسبّح بحمد الله ، وإذا سامح نفسه في تصوير النبات وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد فلا يطلع على مثل هذا الكشف أبداً ، فإنه في نفس الأمر لكل صورة من العالم روح أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما يقال عنه : إنه ليس بحيوان ، وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم ، ولهذا سماها بالدار الحيوان فما ترى فيها شيئاً إلا حياً ناطقاً بخلاف حالك في الدنيا كما روي في الصحيح أن الحصى سبح في

كف رسول الله ﷺ فجعل الناس خرق العادة في تسبيح الحصى وأخطأوا ، وإنما خرقُ العادةِ في سمعِ السامعين ذلك ، فإنه لم يزل مسبحاً كما أخبر الله إلا أن يسبح بتسبيح خاص أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبح به ولا على تلك الكيفية فحينئذ يكون خرقُ العادة في الحصى لا في سمع السامع ، والذي في سمع السامع كونه سَمِعَ نطقَ من لم تجر العادة أن يسمعه .

وصية :

وعليك يا أخي بعيادة المرضى لما فيها من الإعتبار والذكرى فإن الله خلق الإنسان من ضعف فينبهك النظر إليه في عيادتك على أصلك لتفتقر إلى الله في قوة يقويك بها على طاعته ، ولأن الله عند عبده إذا مرض ألا ترى إلى المريض ماله إستغاثة إلا بالله ولا ذكرى إلا لله ، فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً به وفي قلبه التجاء إليه ، فالمريض لا يزال مع الله أيِّ مريض كان ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها ومع ذلك فلا يغفل عن الله ، وذلك لحضور الله عنده . وأن الله يوم القيامة يقول : [يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما أنك لوعُدْتَه لوجدتني عنده] ؟ الحديث وهو صحيح فقوله : [لوجدتني عنده] هو ذكر المريض ربَّه في سره وعلانيته ، وكذلك إذا استطعمك أحد من خلق الله تعالى أو إستسقاك فأطعمْه واسقِهِ إذا كنت واجداً لذلك ، فإنه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلا أن هذا المستطعم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم ، وهذا نظر قَلّ منْ يعتبرهُ . أُنظر إلى السائل إذا سأل كيف يرفع صوته يقول : يا الله أعطني فما نطَقَه الله إلا باسمه في هذا الحال ، وما رفع صوته إلا ليسمعك أنت حتى تعطيه فقد سماك بالإسم الله والتجأ إليك برفع الصوت التجاءه إلى الله ، ومنْ أنزلك منزلةَ سيده فينبغي لك أن لا تَحرمه وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه ، فإن هذا الحديث الذي سقناه آنفاً في مرض العبد [إن

الله يقول : يا ابن آدم إسْتَطْعَمْتُك فلم تطعمني ، قال : يا رب كيف أُطْعِمُك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمتَ أن عبدي فلاناً إستطعمك فلم تطعمه ، أما لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي ، يا ابن آدم إسْتَسْقَيْتُك فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين ؟ قال : أما علمت أنَّ عبدي فلاناً إستسقاك فلم تسقه ، أمَّا لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي] خرَّج هذا الحديث مسلمٌ عن محّمد بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول ﷺ ، فأنزل الله نفسه في هذا الخبر منزلة عبده . فالعبد الحاضر مع الله الذاكر لله في كل حال في مثل هذا الحال يرى الحق أنه الذي إستطعمه واستسقاه فيبادرُ لما طلب الحق منه ، فإنه لا يدري يوم القيامة لعله يقام في حال هذا الشخص الذي إستطعمه واستسقاه من الحاجة فيكافئه الله على ذلك وهو قوله : [لوجدتَ ذلك عندي] أي تلك الطعمة والشربة كنت أرفعها لك وأُرْبِيهَا حتى تجيئني يوم القيامة فأردها عليك أحسن وأطيب وأعظم مما كانت ، فإن لم تكن لك همة أن ترى أن هذا الذي إستسقاك قد أنزلك منزلةَ منْ بيده قضاءُ حاجته إذ جعلك الله خليفة عنه فلا أقلَّ أن تقضي حاجة هذا السائل بنية التجارة طلباً المربح وتضاعف الحسنة ، فكيف إذا وقفتَ على مثل هذا الخبر ورأيت أن الله هو الذي سألك ما أنتَ مستخلفٌ فيه ؟ فإن الكل لله وقد أمرك بالإنفاق مما إستخلفك فيه فقال : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِيْنَ فِيْه﴾[1] وعَظَّم لك الأجر فيه .

إذا أنفقت فلا تَرُدَّ سائلاً ولو بكلمة طيبة ، والْقَهُ طَلْق الوجه مسروراً به فإنك إنما تلقى الله . وكان الحسين أو الحسن عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول : أهلا والله وسهلاً بحامل زادي إلى الآخرة ، لأنه رآه قد حمل عنه فكان له مثلَ الراحلة ، لأن الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة ولم يُحَمِّل فضلها غيرَه فإنه يأتي بها يوم القيامة وهو حاملها حتى يُسْأل عنها ،

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ٧ .

فلهذا كان الحسن يقول : إن السائل حامل زاده إلى الآخرة فيرفع عنه مؤنة الحمل .

وصيـة :

إياكم ومظالمَ العباد فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة . وظلمُ العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم ، وقد يكون ذلك بالحال بما تراه عليه من الإضطرار وأنت قادر واجد لِسَدِّ خَلته ودفع ضرورته فيتعين عليك أن تعلم أن له بحاله حقاً في مالك ، فإن الله ما أطلعك عليه إلا لتدفع إليه حقه ، وإلا فأنت مسؤول ، فإن لم يكن لك قدرة بما تسد خَلتَه فاعلم أن الله ما أطلعك على حاله سدىً فاعلم أنه يريد منك أن تعينه بكلمة طيبة عند مَنْ تعلمُ أنه يسدُّ خَلته ، وإن لم تعمل فلا أقلَّ من دعوة تدعوها له ، ولا يكون هذا إلا بعد بذل المجهود واليأس حتى لا يبقى عندك إلاّ الدعاء . ومهما غفلت عن هذا القَدْر فأنت من جملة مَنْ ظلم صاحب هذا الحال ، هذا كلُّه إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة ، فإن لم يمت وسَدَّ خلته غيرُك من المؤمنين فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا تشعر ، فإن المؤمن أخو المؤمن لا يُسْلِمه ولا يَظْلمه ، وإن لم ينوِ المعطي ذلك ولكن هكذا هو في نفس الأمر ، وكذا يقبله الله . فإذا أعطيت أنت سائلاً في حال ضرورته فانوِ في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأول الذي حَرَمه وتجعل ذلك إيثاراً منك لحنانك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه ، إذ لو أعطاه لقنع بما أعطاه ولم تكن تنال أنت ذلك الخير ، فبهذه النية عطاء العارفين أصحاب الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم : ﴿وأما السائلَ فلا تنهر﴾[1] سواءً كان ذلك في القوت المحسوس أو المعنوي ، فان العلم والإفادة من هذا الباب ، فإن الضال يطلبُ الهداية ، والجائعَ يطلب الإطعام ، والعاريَ يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وَحره وتستر عورته ، والجاني العالم بأنك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته ، فاهد

(١) سورة الضحى ، الآية : ١٠ .

الحيران وأطعمِ الجائع واسقِ الظمآن واكْسُ العريان ، واعلم أنك فقيـر لكلِ ما يُفْتَقَرُ إليكَ فيه وأن الله غني عن العالمين ومع هـذا يجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه في دفع المضار عنهم وإيصال المنافع لهم فأنت أولى أن تعـامل عبـاد الله بمثل هـذا لحاجتـك إلى الله في مثل هـذه الأمور .

خَرّج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الـرحمن بن بَهْرام الـدارِمي عن مروان بن محّمد الـدمشقي عن سعيد بن عبـد العزيـز عن ربيعة بن يـزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنهم عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : [يـا عبادي إني حَـرّمتُ الظلم على نفسي وَجعلتُـه بينكم مُحرماً فـلا تَظَالَمـوا ، يا عبـادي كلُّكم ضالٌ إلاّ مَنْ هـديتُه فـاستهدوني أهْـدَكم ، يا عبـادي كلُّكم جائـعٌ إلاّ مَنْ أطْعَمتُه فـاستطعمـوني أُطْعِمْكم ، يا عبـادي كلُّكم عـارٍ إلاّ مَنْ كَسَـوتُـه فــاسْتَكْسُـوني أكْسُكُم ، يــا عبـادي إنكم تخـطئـون بـالليل والنهـار وأنا أغفـر الذنـوب جميعاً فـاستغفروني أغفـرْ لكم] والحقُّ يعطيك هذا كله من غير سؤال منك إياه فيـه ، ولكن مع هـذا أمَرَك أن تسأله فيعطيَك إجابة لسؤالك ليريك عنايته بك حيث قبل سؤالك . وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك . وإذا كـان سؤالك عن أمـره وقد علم منـك أنك تسأله ولا بد من ضرورة أصل ما خلقت عليـه من الحاجـة والسؤال لتكون في سؤالك مؤديا واجباً فتُجزى جزاءَ مَنِ امتثل أمرَ الله فتزيد خيراً إلى خيـر ، فمـا أمرك إلاّ رحمة بك وإيصال خير إليك ، ولينبهك على أنّ حاجتـك إليه لا إلى غيره فإنه ما خلقك إلاّ لعبادته أي لتَذِل له .

فالذي أوصيك به الوقوفُ عند أوامر الحق ونواهيه والفهمُ عنـه في ذلك حتى تكونَ من العلماء بما أراده الحق منك في أمـره ونهيه ، فـإياك أن تكـون ممن لم يسأل ربه ، فإن من لم يسأل ربـه فقد بخّله ، هـذا في حق العموم ، فإن فرطت فيما أوصيك به فلا تلومنّ إلاّ نفسك ، فإنـك إن كنتَ جاهـلاً فقد علمتُك ، وإن كنت ناسياً وغافلاً فقد نبهْتُـك وذكّرتُـك ، وإن كنت مؤمناً فـإن الذكرى تنفعك فإني قد إمتثلتُ أمرَ الله بما ذكّرتُـك به ، وانتفـاعُك بـالذكـرى شاهدٌ لك بالإيمان ، قال : الله عز وجل في حقي وفي حقـك : ﴿وَذَكِّرْ فَـإِنَّ

الذِّكرى تَنفَعُ المؤمِنين﴾[1] فإن لم تنفعك الذكرى فاتّهِم نفسك في إيمانها ، فإن الله صادق وقد أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين .

ومن تمام هذا الخبر الإلهي الذي أوردناه بعد قوله : [أغْفِرْ لكم] أنْ قال : [يا عبادي إنكم لَنْ تَبْلُغوا ضَري فَتَضُرُّوني ، ولن تبلغوا نَفْعي فَتَنْفَعُوني] ومعلوم أنه سبحانه لا يتضرر ولا ينتفع فإنه الغني عن العالَمين ، ولكنْ لمّا أنزل نفسه منزلةَ عبده ـ فيما ذكرناه من الإستطعام والإستسقاء ـ نَبَّهَنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضَرّ العباد له في نفعهم إياه ، فمن المحال بلوغ الغاية في ذلك ولكون الله قد قال في حق قوم إنهم إتّبعوا ما أسخط الله وهو في الظاهر ضرر نزه نفسه عن ذلك ، وكذلك من فعل فعلاً يرضي الله به ويفرحه كالتائب في فرح الله بتوبة عبده فكان هذا الخبر كالدواء لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾[2] .

ثم من تمام هذا الخبر قوله : [يا عبادي لو أن أوّلكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنّكم كانوا على أتقى قَلبِ رجلٍ واحدٍ ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً ، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نَقَصَ ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألَته ما نَقصَ ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المِخْيَطُ إذا دخل في البحر] هذا كله دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة ، فاستعمل يا وليّ هذه الأدوية ، يقول الله : [إنما هي أعمالُكم أحْصِيْهَا لكم ثُمَّ أوفِّيكم إياها فمنْ وجَد خيراً فليحمد الله ، وَمن وَجَد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاّ نفسَهُ] .

ومَن سأل عن حاجة فقد ذَلَّ ، ومن ذل لغيرِ الله فقد ضلَّ ، وظلَم نفسه

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٥ .
(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

ولم يسلك بها طريق هداها . وهذه وصيتي إياك فالزمها ونصيحتي فاعلمها ، وما زال الله تعالى يوصي عباده في كتابه وعلى ألسنة رسله ، فكلُّ من أوصاك بما في إستعماله سعادتك فهو رسول من الله إليك فاشكره عند ربك .

وصية :

إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمهُ فاستعمل أنت علمه فيك في أدبك معه حتى توفي العَالِم حقه من حيث ما هو عالمٌ ، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيء ، فإن له عند الله درجةَ علمهِ فإن الإنسانْ يحشر يوم القيامة مع مَن أحب ، ومن تأدب مع صفة إلهية كُسِيها يوم القيامة وحُشِرَ فيها . وعليك بالقيام بكل ما تعلم أن الله يحبه منك فتبادرَ إليه فإنك إذا تحليت به على طريق التحبب إلى الله تعالى أحبك ، وإذا أحبك أسعدك بالعلم به وبتجليه وبدار كرامته فينعّمُك في بلائك . والذي يحبه تعالى أمور كثيرة أذكُر منها ما تيسر على جهة الوصية والنصيحة ، فمن ذلك التجمل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به قال الله تعالى : ﴿يا بَني آدمَ خُذوا زينَتكم عِندَ كلِّ مسجد﴾(١) وقال في معرِضِ الإنكار : ﴿قُل مَن حرّمَ زينةَ الله التي أخرجَ لعبادِه والطيباتِ من الرزق ؟ قُل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يومَ القيامة كذلكَ نُفَصِّل الآياتِ لقومٍ يَعْلمون﴾(٢) وأكثر من هذا البيان في مثل هذا القرآن فلا يكون ، ولا فرق بين زينةِ الله وزينةِ الحياة الدنيا إلاّ بالقصد والنية ، وإنما عَينُ الزينة هي هي ، ما هي أمر آخر ، فالنية روح الأمور ، وإنما لكل امرىء ما نوى فالهجرة من حيثُ ما كانت هجرةً واحدة العين ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومَنْ كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣١ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .

القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وفيه [ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلاّ لدنيا فإن أعطاهُ منها وَفَى ، وإن لم يعطه منها لم يَفِ] فالأعمال بالنيات وهي أحد أركان بيت الإسلام وورد في الصحيح في مسلم أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : [يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً ، فقال رسول الله ﷺ إن الله جميلٌ يحب الجمال] وقال : [إن الله أولى مَن يُتَجمل له] .

ومن هذا الباب : كونُ الله تعالى لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلا في صورةِ دحْيَة ، وكان أجملَ أهل زمانه وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدِمَ المدينة واستقبله الناس ما رأته إمرأة حامل إلاّ ألقت ما في بطنها ، فكأن الحق يقول يبشر نَبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية [يا محّمد ما بيني وبينك إلاّ صورة الجمال] يخبره تعالى بما له في نفسه سبحانه منه بالجمال ، فمن فاته التجّمل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين ، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علمٍ وتجلٍ وكرامةٍ في دار السعادة ، ومنزلةٍ في كثيب الرؤية ، وشهودٍ معنوي علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهدِه ، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجملَ لله لا للزينة والفخر بعَرضَ الدنيا والزُّهو والعجبِ والبطر على غيره .

ومن ذلك : الرجوع إلى الله عند الفتنة فإن الله يحب كل مُفَتَّنٍ تواب كذا قال رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿خَلقَ الموتَ والحياةَ ليَبلوكم أيُكم أحسنُ عملاً﴾[1] والبلاء والفتنة بمعنى واحد ، وليس إلاّ الإختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى ﴿إنْ هي إلاّ فتنتُك﴾[2] أي إختبارك [تَضِلُّ بها مَن تَشاء] أي تحّيرُه [وَتهدي بِها مَن تشاء] أي تُبين له طريق نجاته فيها .

وأعظم الفتن : النساءُ والمالُ والولد والجاه ، هذه الأربعة إذا ابتلى الله

---

(١) سورة الملك ؛ الآية : ٢ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٥٥ .

بها عبداً من عباده أو بواحدٍ منها ، وقام فيها مقام الحق في نصبها له ، ورجع إلى الله فيهـا ولم يقف معها من حيثُ عينُهـا ، وأخذهـا نعمـةً إلهيـةً أنعم الله عليه بها رَدَّتهُ إليه تعالى ، وأقامته في مقام الشكر وحقِه الذي هو رؤيـة النعمة منه تعالى كما ذكر ابن ماجة في سُننه عن رسول الله ﷺ أنه قال : [أوحى الله لموسى عليه السلام فقال له : يا موسى أشكر لي حقَ الشكر قال مـوسى : يا ربِّ مَن يَقـدِر على ذلك ؟ قـال : يا مـوسى إذا رأيت النعمةَ مني فـذلـك حقُّ الشكر] ولمّا غفر الله لنبيه محمدٍ ﷺ ما تقـدم من ذنبه ومـا تأخـر ، وبَشّره في ذلك بقوله تعالى : ﴿ليَغفِرَ لكَ الله ما تَقدَمَ من ذَنبِك وما تـأخّر﴾[1] قـام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالى على ذلك ، فما فَتَر ولا جَنحَ إلى الراحـة . ولمّا قيل له في ذلك ، وسئل في الرفق بنفسه قـال ﷺ : أفلا أكـونُ عبداً شكـوراً] وذلك لمّا سمع الله تعالى يقول : ﴿بَلِ الله فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّاكرِين﴾[2] فإن لم يقم في مقـام شكر المنعم فـاتَه من الله هـذا الحبُّ الخـاص بهـذا المقـام الـذي لا ينـالـه من الله إلاّ الشكـور ، فـإن الله يقـول : ﴿وَقليْـلٌ مِن عبـاديَ الشكـورُ﴾[3] وإذا فاتـه فـاتـه مـا لـه من العلم بـالله والتجلي والنعيمُ ومنـزلـةُ الخاصُّ به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يـوم الزور الأعـظم ، فإنـه لكل حب إلهي من صفـة خاصـة علمٌ وتجلٍ ونعيمٌ ومنـزلـةٌ لا بـدّ من ذلـك يمتـاز بهـا صاحب تلك الصفة من غيره .

فأما فتنة النساء : فصورةُ رجوعه إلى الله في محبتهن بأن يـرى أن الكل أحبُ بعضَـهُ وحنَّ إليه ، فمـا أحبَّ سوى نَفْسِـه ، لأن المـرأةَ ـ في الأصـل ـ خُلِقَت من الرجل من ضِلعِه القصرى ، فيُنـزلها من نفسـه منزلـة الصورة التي خلق الله الإنسـانَ الكامـل عليها ، وهي صـورة الحقِّ ، فجعلها الحق مجلىً لـه ، وإذا كان الشيء مجلىً للنـاظـر فـلا يـرى النـاظـر في تلك الصـورة إلاّ

---

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ٢ .
(٢) سورة الزمر ؛ الآية : ٦٦ .
(٣) سورة سبأ ؛ الآية : ١٣ .

نفسه ، فإذا رأى في هذهٰ المرأة نفسه بشدة حبه فيها وميلِه إليها رأى صورته ، وقد تبين لك أن صورته صورةُ الحق التي أوجده عليها ، فما رأى إلا الحقَ ولكن بشهوةِ حبٍ والتّذاذٍ وَصِلةٍ ، فَفَنِيَ فيها فناءَ حق بحب صدق ، وقابلها بذاته مقابلة المِثْلية ، ولذلك فني فيها لأنه ما من جزءٍ فيه إلاّ وهو فيها والمحبةُ قد سرت في جميع أجزائه فتعلقَ كلُّه بها فلذلك فنى في مثله الفناءَ الكلي ، بخلاف حبه في غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال :

أنا مَنْ أهوى وَمَنْ أهوى أنا :

وقال الآخرون في هذا المقام [أنا الله] فإذا أحْبَبْتَ شخصاً مثلك هذا الحبَ ، ورَدّكَ إلى الله شهودُكَ فيه هذا الرد فأنت ممن أحبه الله ، وكانت هذه الفتنة فتنةً أعطتك المهداة .

وأما الطريقة الاخرى : في حب النساء فإنهنَ محالُّ الإنفعالِ والتكوينِ لظهور الأعيان والإمثال في كل نوع ، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدمه إلاّ لكون تلك الأعيانِ محالَّ الإنفعال ، فلما توجه عليها من كونه مريداً قال لها : [كن] فكانت فظهر مُلْكه بها في الوجود ، وأعطت تلك الأعيان لله حقَه في ألوهِته فكان إلهاً فعبدَتْهُ تعالى بجميع الأسماء بالحال ، سواءً علمتَ تلك الأسماءَ أو لم تعلمها ، فما بقي إسمٌ لله إلاّ والعبدُ قد قام فيه بصورته وحالِه وإن لم يعلم نتيجةَ ذلك الإسم ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله : [أو إسْتَأثرتَ به في علم غَيْبِكَ أو عَلَمتَه أحداً من خَلْقِك] يعني من أسمائه ، أي يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً ، فإن كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم بها ويعلم الله منه أن ذلك فيه ، فإذا أحبَّ المرأة لِما ذكرناه فقد رَدّه حُبُّها إلى الله فكانت نعمِت الفتنةُ في حقه ، فأحبه الله برجعته إليه تعالى في حبه إياها .

وأما تعلقه بامرأة خاصة : في ذلك دون غيرها ـ وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها ساريةً في كل إمرأة ـ فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظرِ الروحي ، فمنه ما يجري

إلى أجل مسمى ، ومنه ما يجري إلى غيرِ أجل ، بـل أجلُه الموتَ ، والتعلقُ لا يزول كحب النبي ﷺ عائشةَ ، وإنه كان يحبها أكثر من حبه جميعَ نسائـه ، وحُبُّـه أبا بكـر أيضاً وهـو أبـوهـا ، فهـذه المنـاسبـات الثـواني هي التي تعين الأشخاصَ ، والسببُ الأول هو ما ذكرناه . وكذلك الحبُّ المطلق ، والسماع المـطلق ، والرؤيـة المطلقـة التي يكـون عليهـا بعض عبـاد الله ، مـا تختص بشخص في العالم دون شخص ، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول . ومـع هذا لا بـدَّ من ميل خـاص لبعض الأشخاص لمنـاسبة خـاصة مـع هـذا الإطـلاق لا بد من ذلـك ، فإن نشـأة العالم تعـطي في آحاده هـذا لا بـد من تقييـد ، والكامـل مَنْ يجمـع بين التقييـد والإطـلاق ، فـالإطـلاقُ مثلُ قـول النبي ﷺ : [حُبِّبَ إليّ مِنْ دنيا كم ثلاثٌ : النساءُ] وما خَصَّ إمرأةً من إمرأة . ومثلُ التقييد ما روي من حبه عائشةَ أكثرَ من سائر نسائه ، لنسبة إلهية روحانية قيّدته بها دون غيرها ، مع كونهُ يحبُّ النساءَ . فهذا ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفايةٌ لمن فهم .

وأما الركن الثاني : من بيت الفتن وهو : الجاه المعبَّر عنه بالـرياسـة ، يقول فيه الطائفة التي لا علم لها منهم [آخرُ ما يخرج من قلوب الصـديقين : حبُّ الرياسة] فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تَفْهَمُهُ العامةُ من أهل الطريق منهم ، وإنما ذلك ما نُبَيِّنُهُ من مقصود الكمل من أهـل الله بذلك ، وذلك أنّ في نفس الإنسان أُمـوراً كثيرة خَبـأها الله فيهـا : ﴿وهو الذي يخْرجُ الخَبْءَ في السمواتِ والأرضِ ويَعْلَمُ ما تُخْفُون وما تعلنون﴾[1] أي ما ظهر منكم وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم ، فلا يزال الحقُّ يخرج لعبـده من نفسـه ممـا أخفـاه فيهـا مـا لم يكن يعـرف أن ذلـك في نفســه ، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل ولا يحس بـه من نفسـه ، كذلك ما خَبّأه الله في نفوس الخلق ألا تراه يقول ﷺ : [مَنْ عرف نفسه عرف ربه] وما كلُّ أحد يعرف نفسه ، مع أن نفسه عينُـه لا غيرُ ذلـك .

---

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٢٥ .

فلا يزال الحقُّ يُخرج للإنسان من نفسه ما خبأه فيها ، فيشهده فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه قبل ذلك ، فقالت الطائفة الكثيرة [آخرُ ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الرياسة] فيظهرُ لهم إذا خرج فيحبون الرياسة بحب غير حُبِّ العامة لها ، فانهم يحبونها من كونهم على ما قال الله فيهم إنه سمعُهم وبصرهم ، وذكَرَ جميعَ قواهم وأعضائهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة فما أحبوا الرياسة إلّا بحب الله لها ، إذ لها التقدم فإن الرياسة له على العالم ، فما أحب الرياسة إلّا الرئيسُ على العالم فإنهم عبيده ، وما كان الرئيس إلّا بالمرؤوس وجوداً وتقديراً فحبُّه للمرؤوس أشد الحب لأنه المثبت له الرياسة ، فلا أحبُّ من الْمَلِك في ملكه لأن ملكه المثبتُ له ملكاً آخر ، وأبقى عليه إسم الملك ، فهذا معنى [آخرُ ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الرياسة] لهم فيرونه ويشهدونه ذوقا ، لا أنه يخرج من قلوبهم ، فلا يحبون الرياسة فإنهم إن لم يحبوا الرياسة فما حصل لهم العلم بها ذوقا بالصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ : [إنّ الله خلقَ آدم على صورته] في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته فاعلم ذلك .

والجاه إمضاء الكلمة : ولا أمضى كلمةً من قوله : ﴿إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[1] فأعظم الجاه من كان جاهه بالله إذا كان الله قُوى هذا العبد ، فيرى هذا العبدُ مع بقاء عينه ، فيعلم عند ذلك أنه المثل الذي لا يُماثل ، فإنه عبدٌ ربٌّ ، والله عز وجل ربٌّ لا عبدٌ فله الجمعية وللحق الإنفراد .

وأما الركن الثالث : وهو المال وما سُمي المال بهذا الإسم إلا لكونه يُمال إليه طبعاً ، فاختبر الله به عباده حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده ، وعلق قلوب الخلق بمحبة صاحب المال وتعظيمه ولو كان بخيلا ، فإن العيون تنظر إليه بعين التعظيم لتوهم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال ، وربما يكون صاحبُ المال أشدَّ الناس فقراً إليهم في نفسه ، ولا يجد في

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

نفسه الإكتفاء ولا القناعة بما عنده ، فهو يطلب الزيادة عما بيده . ولمّا رأي العالَمُ ميل القلوب إلى رب المال لأجل المال أحبوا المال ، فطلب العارفون وجهاً إلهيّاً يحبون به المال ، إذ ولا بدّ من حبه وهنا موضع الفتنة والإبتلاء التي لها الضلالة والمهداة .

فأما العارفون : فنظروا إلى أُمورٍ إلهية منها قوله تعالى : ﴿وأَقْرِضُوا الله قرضاً حسناً﴾(١) فما خاطب إلاّ أصحاب الجِدَة ، فأحبوا المال ليكونوا من أهل هذا الخطاب فيلتذوا بسماعه حيث كانوا ، فإذا أقرضوه وروا أن الصدقة تقع بيد الرحمن فحصل لهم بالمال وإعطائه مناولةُ الحق منهم ، ذلك كانت وُصلةَ المناولة . وقد شرف الله آدم بقوله : ﴿لِمَا خلقتُ بِيَدَيَّ﴾(٢) فمن يُعطيه عن سؤاله القرضَ أتمُّ في الإلتذاذ بالشرف ممن خلقه بيده ، فلولا المال ما سمعوا ولا كانوا أهلا لهذا الخطاب الإلهي ، ولا حصل لهم بالقرض هذا التناولُ الرباني ، فإن ذلك يعم الوُصلة مع الله ، فاختبرهم الله بالمال ، ثم اختبرهم بالسؤال منه ، وأنزل الحقُّ نفسه منزلة السائلين من عباده أهل الحاجة من أهل الثروة منهم والمال بقوله في الحديث المتقدم في هذا الباب(٣) [يا عبدي إسْتَطْعَمْتُك فلم تُطْعِمني واسْتَسْقَيْتُك فلم تَسْقِني] فكان لهم بهذا النظر حبُّ المال فتنةً مهداة إلى مِثلِ هذا .

وأما فتنة الولد : فلكونه سِرّ أبيه وقطعةً من كبده والصقَ الأشياء به ، فحبُّه حبُّ الشيءِ نفسَه ، ولا شيءَ أحبُّ إلى الشيء من نفسه . فاختبره الله بنفسه في صورةٍ خارجة عنه سماها ولداً ليرى : هل يحجبه النظر إليه عما كلفه الحق من إقامته الحقوق عليه ؟ بقول رسول الله ﷺ في حق إبنته فاطمة ومكانتِها من قلبه المكانةَ التي لا تجهل [لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت قطعتُ يدها] وجلدَ عمرُ بن الخطاب إبنه في الزنى فمات ونفسُه بذاك طيبة ، وجاد ماعزٌ بنفسه والمرأةُ في إقامة الحدّ عليها الذي فيه أتلاف

---

(١) سورة المزمل ؛ الآية : ٢٠ .

(٢) سورة ص ؛ الآية : ٧٥ .

(٣) صحيفة ـ ٢٠ .

نفوسها ، حتى قال في توبتهما رسول الله ﷺ : [إنها لو فُرِّقتْ على الأُمة لَكَفَتْها] وأيُّ توبة أعظمُ مِن أن جادا بنفسهما ، والجود بإقامة الحق المكروه على الولد أعظمُ في البلاء ، يقول الله في موت الولد في حق الوالد [ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صَفيّه من أهل الدنيا عندي جزاءٌ إلا الجنة] فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم الفتن وأكبرِ المحن ، وآثرَ جنابَ الحق ورعاه فيها فذلك الرجلُ الذي لا أعظمَ منه في جنسه .

ومن وصيتي إياك : أنك لا تنام إلاّ على وتر ، لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها إن رأى رؤيا ، فإن شاء ردّها إليه إن كان لم يَنْقَضِ عُمْرُهُ ، وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجلُه . فالإحتياط أن الإنسان الحازم لا ينام إلا على وتر ، فإذا نام على وتر نام على حالة وعملٍ يحبه الله ، ورد في الخبر الصحيح [إن الله وتر يحب الوتر] فما أحب إلا نفسه ، وأيُّ عنايةٍ وقربٍ أعظمُ مِن أن أنزلك منزلةَ نفسه في حبه إياك إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العددَ والكميةَ ، وقد أمرك الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ فقال : [أوتروا يا أهلَ القرآن] وأهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصتهُ ، وكذلك إذا اكتحلت فاكتَحِلْ وتْراً ، في كل عين واحدةً أو ثلاثةً ، فإن كل عين عضوٌ مستقل بنفسه ، وكذلك إذا طَعِمتَ فلا تنزع يَدكَ إلا عن وتر ، وكذلك شربُك الماءَ في حسواتك إياه اجعله وتراً ، وإذا أخذك الفُواق[1] إشرب من الماء سبع حسوات فإنه ينقطع عنك ، هذا جربته بنفسي ، وإذا تنفستَ في شربك فتنفس ثلاثَ مرات ، وأزل القدح عن فيْكَ عند التنفس ، هكذا أمَرك رسول الله ﷺ فإنه أهنأ وأمرأ وأروى ، وإذا تكلمت بالكلمةِ لتُفهم السامعَ فأعدها ثلاث مرات وتراً حتى تُفهم عنك ، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ ، فإني ما أوصيك إلا بما جرت السنة الإلهية عليه ، وهذا هو عين الإتباع الذي أمرك الله تعالى به في القرآن فقال : ﴿قل : إن كُنتمْ تُحِبّون الله فاتبِّعوني يُحببْكم الله﴾[2] فهذه

---

(١) الفواق : ترجيع الشهقة العالية .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

محبة الجزاء، وأما محبته الأولى التي ليست جزاءً ، فهي المحبة التي وفقك بها للأتباع ، فحبك قد جعله الله بين حبين إلهيين : حبِ منةٍ ، وحبِ جزاءٍ ، فصارت المحبة بينك وبين الله وتراً : حبُّ المنة وهو الذي أعطاك التوفيق للأتباع ، وحبُّك إياه ، وحبُّه إياك جزاءً من كونك أتبعت ما شرعه لك : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ﴾[1] وبهذه الآية ثبتت عصمة رسول الله ﷺ ، فإنه لو لم يكن معصوماً ما صح التأسي به ، فنحن نتأسى برسول الله ﷺ في جميع حركاته وسكناته وأفعالهِ وأحوالهِ وأقوالهِ ، ما لم يِنهَ عن شيء من ذلك على التعيين في كتاب أو سنة ، مثلُ نكاحِ الهبةِ خالصةً لك من دون المؤمنين ، ومثلُ وجوب قيامِ الليل عليه والتهجد ، فهو ﷺ يقومه فرضاً ونحن نقومه تأسياً وندباً ، فاشتركنا في القيام . يقول أبو هريرة : [أوصاني خليلي ﷺ بثلاث] فأوْتَرَ في وصيته ، وفيها [وأن لا أنامَ إلا على وترٍ] وورد في الحديث الصحيح [إن لله تسعةً وتسعين إسماً مائةً إلا واحداً ، مَن أحصاها دخل الجنة] فإن الله وتر يحب الوتر . وقد تقدم في هذا الكتاب في باب سؤالات الترمذي الحكيم ، وهو آخر أبواب فصل المعارف في حب الله التوابين والمتطهرين والشاكرين والصابرين والمحسنين وغيرهم مما ورد أن الله يحب إتيانه ، كما وردتْ أشياءُ لا يحبها الله قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها .

وصية :

وعليك بمراقبة الله عز وجل فيما أخذ منك وفيما أعطاك ، فإنه تعالى ما أخذ منك إلاّ لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين ، وإذا أحبك عاملك معاملةَ المحبِ محبوبَه ، فكان لك حيث تريد إذا اقتضت إرادتك مصلحتَك ، وإذا لم تقتض إرادتُك مصلحتَك فعلَ بحبه إياك معك ما تقتضيه المصلحة في حقك ، وإن كنت تكره في الحال فعلَه معك ، فإنك تحمد بعد ذلك عاقبة أمرك ، فإن الله غيرُ متهَم في مصالح عبده إذا أحبه . فميزانك في حبه إياك

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢١ .

أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على مـا أخذه منـك ، ورزأك فيه من مـال أو أهـل ، أو مـا كـان ممـا يعـز عليـك فـراقـه ، ومـا من شيء يـزول عنـك من المألوفات إلا ولك عوض منه عند الله إلا الله قال بعضهم :

لِكــلِّ شيءٍ إذا فــارقْتَــه عِــوَضٌ ... ولـيس للهِ إن فــارَقْــتَ مــن عــوَضِ

فإنه لا مثل له ، وكذلك إذا أعـطاك وأنعم عليك ، ومن جملة مـا أنعم به عليك وأعطاك الصبرُ على ما أخذه منـك ، فأعـطاك لتشكر كمـا أخذ منـك لتصبر فإنه تعالى يحب الشاكرين ، وإذا أحبك حُبَّ الشاكرين غفر لـك ، قال رسـول الله ﷺ في رجل رأى غصنَ شـوكٍ في طريق النـاس فَنَحّـاهُ فشكـر الله فعله فغفـر له : [إنّ الإيمـانَ بضعٌ وسبعـون شعبةً ، أدنـاها إمـاطةُ الأذى عن الطريق] وهو ما ذكرناه [وأرفعها قولُ لا إله إلا الله] فالمؤمن الموفق يبحث عن شُعب الإيمان فيأتيها كلَّها ، وبحثُه عن ذلك من جملة شعب الإيمان ، فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة وملأ يديه من الخير ، ومـا شكرك الله بسبب أمـر أتيته مما شرع لك الإتيان به إلا لتزيد في أعمـال البر ، كمـا أنك إذا شكـرته على مـا أعـطاك ومـا أنعم بـه عليـك زادك من نعمـه لقـولـه : ﴿لَئِنْ شَكَـرْتم لأَزِيْدَنَّكم﴾[1] ، ووصف نفسه بأنه يشكر عباده فهو الشكور ، فـزده كما زادك لشكرك . ومع هذا فاعتقد أن كل شيء عنـده بمقدار ، وكـلُّ شيء في الدنيـا يجري إلى أجلٍ مسمى عند الله ، فما ثَمّ شيء في العـالم إلا وهو لله ، فـإن أخذه منك فما أخذه إلاّ إليه ، وإن أعطاك فما أعطاك إلاّ منه ، فالأمر كلُّه منه وإليـه وكفى بـك ـ إذا علمت أن الأمـر على مـا أعلمتـك ـ أن تكـون مـع الله تشهده في جميع أحوالك ، من أخذٍ وعطاء فإنك لن تخلو في نَفَسِك من أخذٍ وعطاء إلهي ، أول ذلك أنفاسك التي بها حياتك . فيأخذ منك نَفَسَك الخارجَ بما خرج من ذكرٍ بقلب أو لسان ، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره ، وإن كان غيرَ ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك ، ويعطيك نَفَسَك الداخـل بما شـاء

---

(١) سورة ابراهيم ؛ الآية : ٧ .

وهو وارد وقتك ، فإنْ ورد بخير فهو نعمة من الله فقابِلْها بالشكر ، وإن كان غيرَ ذلك مما لا يرضي الله فاسأله المغفرة والتجاوزَ والتوبة ، فإنه ما قضى بالذنوب على عباده إلا ليستغفروه فيغفرَ لهم ويتوبوا إليه فيتوبَ عليهم . وورد في الحديث [لَوْ لَمْ تُذنِبوا لجاءَ الله بقوم ٍ يذْنبونَ وَيتوبونَ فيغفرُ الله لهم ويتوبُ عليهم] حتى لا يتعطل حكم من الأحكام الإلهية في الدنيا ، وورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلُّ شيء عِندَه بأجل ٍ مسمى] فإذا انتهى أجله إنقضى وجاء غيره ، وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرفاً إيانا بما هو الأمر عليه لِنُسَلِّمَ الأمر إليه فنرزقَ درجة التسليم والتفويض ِ مع بذل المجهود فيما يحبه منا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال : إن كان في المخالفة فبالتوبة والإستغفار ، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسول الله ، ونجد عزاً في نفوسنا بمعرفتنا أن كل شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمى وللصابرين حمدٌ يخصهم وهو : الحمد لله على كل حال ، وللشاكرين حمدٌ يخصهم وهو : الحمد لله المنعم المفضِل ، هكذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربَّه عز وجل في حالة السراء والضراء ، والتأسي برسول الله ﷺ في ذلك أولى من أن تستنبط حمداً آخر فإنه لا أعلى مما وضعه العالِم المكَمَّل الذي شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالإقتداء به وأتباعه ، فلا تحْدِث أمراً ما استطعت فإنك إذا سننت سنةً لم يجيء مثلُها عن رسول الله ﷺ وهي حسنة فإن لك أجرَها وأجرَ مَنْ عمل بها ، وإذا تركت تَسْنينهَا أتباعاً لكون رسول الله ﷺ لم يسنها فإن أجرك في أتباعك ذلك ـ أعني ترك التسنين ـ أعظم من أجرك من حيث ما سننت بكثير ، فإنَّ النبي ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أُمته ، وكان يكره لهم أن يسألوه في أشياءَ مخافةَ أن يُنزَّل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلاّ بمشقة ، ومن سَنَّ فقد كَلَّف ، وكان النبي ﷺ أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً ، فلهذا قلنا : الأتباعُ في الترك أعظمُ أجراً من التسنين ، فاجعلْ بالك لما ذكرته لك . ولقد بلغني عن الإمام أحمدَ بن حنبلَ رضي الله عنه أنه مات وما أكل البطِّيخ ، فقيل له في ذلك ، فقال : ما بلغني كيف كان رسول

الله ﷺ يأكله ، فلمّا لم تبلغه الكيفية في ذلك تركه . وبمثل هذا تقدّم علماء هذه الأمة على علماء سائر الأمم هكذا هكذا وإلاّ فلا لا ، فهذا الإمام عَلِمَ وَتحقَّقَ معنى قوله تعالى عن نبيه ﷺ ﴿فاتَّبِعوني يُحْبِبْكم الله﴾(١) وقوله : ﴿لَقَد كانَ لكم في رسولِ الله أُسْوَةٌ حسنةٌ﴾(٢) والإشتغالُ بما سَنَّ ﷺ من قولٍ وفعلٍ وحالٍ أكثرُ من أن نحيط به ، فكيف أن نتفرغ لِنُسُنَّ ؟ فلا نكلف الأمةَ أكثر مما ورد .

وصية :

عليك بأداء الأوجب من حق الله وهو : أن لا تشركَ بالله شيئاً من الشرك الخفي الذي هو : الإعتمادُ على الأسباب الموضوعة ، والركونُ إليها بالقلب والطمأنينة بها ، وهي : سكونُ القلب إليها وعندها ، فإنَّ ذلك من أعظم رُزْءٍ ديني في المؤمن ، وهو قوله تعالى من باب الإشارة : ﴿وَمَا يُؤمنُ أَكْثرُهمْ بالله إلاّ وَهمْ مُشرِكُون﴾(٣) يعني ـ والله أعلم به ـ هذا الشركَ الخفي الذي يكون معه الإيمانُ بوجود الله ، والنقصَ في الإيمان بتوحيدِ الله في الأفعال لا في الألوهة ، فإن ذلك هو الشرك الجلي الذي يناقِض الإيمان بتوحيد الله في الألوهة لا الإيمانَ بوجود الله . ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [أتَدْرون ما حقُّ الله على العباد ؟ حَقُّ الله على العبادِ أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً] فأتى بلفظة [شيء] و [شيء] نكرةً ، فدخل فيه الشركُ الجلي والخفي ، ثم قال : [أتدرونَ ما حَقُّهم على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يُعَذبهم] فاجعل بالك من قوله : [أنْ لا يعذبهم] فإنهم إذا لم . يشركوا بالله شيئاً لم يتعلق لهم خاطرٌ إلا بالله إذ لم يكن لهم توجه إلا إلى الله ، وإذا أشركوا بالله الشركَ المناقض للإسلام ، أو الشرك الخفي الذي هو النظرُ إلى الأسباب المعتادة ، فإن الله قد عَذَّبهم بالإعتماد عليها لأنها معرضة للفقد ، ففي حال وجودها يعذبون بتوهم

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية ؛ ٢١ .

(٣) سورة يوسف ؛ الآية : ١٠٦..

فقدِها وبما ينقص منها ، وإذا فقدوها تعذبوا بفقدها ، فهم معذبون على كلِ حالٍ في وجودِ الأسباب وفقدِها ، وإذا لم يشركوا بالله شيئاً من الأسباب إستراحوا ولا يبالون بفقدها ولا بوجودها ، فإنّ الذي اعتمدوا عليه ـ وهو الله ـ قادرٌ على إتيان الأمورِ من حيث لا يحتسبون ، كما قال تعالى ﴿وَمَن يتّقِ الله يجْعَل له مخْرَجاً ويرْزقْه من حيث لا يحتسب﴾[1] ولقد قال بعضهم في ذلك نظماً وهو :

وَمنْ يَتّقِ الله يجعلْ له ... كما قالَ منْ أمره مَخرَجا
ويرْزقْه من غير حُسبانه ... وإن ضاق أمْرٌ به فَرَّجَا

فمن علامة التّحقق بالتقوى : أن يأتي للمتقي رزقه من حيث لا يحتسب ، وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى ، ولا اعتمدَ على الله ، فإن معنى التقوى في بعض وجوهها أن تتخذ الله وقايةً من تأثير الأسباب في قلبك باعتمادك عليها ، والإنسان أبصرُ بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثقُ وبما تسكن إليه نفسه ، ولا يقولُ : إنّ الله أمرني بالسعي على العيال ، وأوجب عليّ النفقة عليهم فلا بُدّ من الكدّ في الأسباب التي جرت العادةُ أن يرزقهم الله عندها ، فهذا لا يناقض ما قلناه ، فنحن إنما نهيناك عن الإعتماد عليها بقلبك ، والسكونِ عندها ، ما قلنا لك : لا تعملْ بها . ولقد نمْتُ عند تقييدي هذا الوحةَ ، ثمّ رجعتُ إلى نفسي وأنا أنشدُ بيتين لم أكن أعرِفُهما قبلَ ذلك ، وهما :

لا تَعتَمِدْ إلاّ على الله ... فكلُّ أمرٍ بيدِ الله
وهذه الأسبابُ حُجّابه ... فلا تكنْ إلا مع الله

فانظر في نفسك : فإنْ وجدت أنّ القلب سَكنَ إليها فاتهم إيمانك واعلم أنك لست ذلك الرجلَ ، وإنْ وجدتَ قلبك ساكناً مع الله واستوى عندك حالةُ فَقدِ السبب المُعين ، وحالةُ وجودِه فاعلم أنك ذلك الرجلُ الذي

---

(١) سورة الطلاق ؛ الآية : ٣ .

آمن ولم يشرك بالله شيئاً ، وأنك من القليل ، فإن رَزَقك من حيث لا تحتسب فذلك بُشرى من الله أنك من المتقين .

ومن سر هذه الآية أن الله وإن رَزَقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك وتحتَ حُكمِك وتصريفك ، وأنت متقٍ ، أي : قد إتخذتَ الله وقايةً لأنه الواقي فإنك مرزوقٌ من حيث لا تحتسب ، فإنه ليس في حسبانك أنّ الله يرزقك ، ولا بدّ مما بيدك ومن الحاصلِ عندك ، فما رزقك إلا من حيث لا تحتسب ، وإن أكلتَ وارْتزقتَ من ذلك الذي بيدك . فاعلم ذلك فإنه معنىً دقيقٌ ولا يشعر به إلاّ أهلُ المراقبةِ الإلهيةِ الذين يراقبون بواطنهم وقلوبَهم ، فإن الوقاية ليست إلاّ الله تمنعُ العبدَ من أن يصل إلى الأسباب بحكم الإعتماد عليها لإعتمادِهِ على الله عز وجل وهذا معنى قوله : ﴿يجعلْ له مخرجا﴾[1] فهذا مخرج التقوى في هذه الآية وهي وصيةُ الله عبدَه وأعلامُه بما هو الأمر عليه .

وصيــة :

واحذر يا أخي أن تريد علواً في الأرض ، والزم الخمولَ ، وإن أعلى الله كلمتك فما أعلى إلاّ الحق ، وإن رزقك الرفعةَ في قلوب الخلق فذلك إليه عز وجل ، والذي يلزمك التواضعُ والذِّلةُ والإنكسارُ فإنه إنما أنشأك من الأرض فلا تعلُ عليها فإنها أمُّك ، ومن تكبر على أمه فقد عقّها ، وعقوقُ الوالدين حرام . ثم إنه قد ورد في الحديث (إن حقاً على الله أن لا يرفعَ شيئاً من الدنيا إلاّ وضعه) فإن كنتَ أنتَ ذلك الشيء فانتظر وضعَ الله إياك ، وما أخافَ على من هذه صفته إلا أنّ الله تعالى إذا وَضعَه يضعُه في النار ، وذلك إذا رفعَ ذلك الشيء نفسه لا إذا رفعه الله فذلك ليس إليه ، إلاّ أنه لا بدّ أن يراقبَ الله فيما أعطاه من الرِّفعة في الأرض بولايةٍ وتَقدم يخْدم من أجله ويُغشى بابُه ويُلزم ركابه ، فلا يبرح ناظراً في عبوديته وأصله فإنه خُلِقَ من

---

(١) سورة الطلاق ؛ الآية : ٣ .

ضَعْفٍ ومن أصلٍ موصوف بأنه ذلولٌ ، ويعلمَ أن تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصبِ لا لذاته فإنه إذا عزل عنها لم يبق له ذلك الوزنُ الذي كان يتخيله ، وينتقل ذلك إلى من أقامه الله في تلك المنزلة ، فالعلو للمنزلة لا لذاته . فمن أراد العلو في الأرض فقد أراد الولايةَ فيها ، وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية [إنها يومَ القيامةِ حسرةٌ وندامةٌ] فلا تكنْ من من الجاهلين .

فالذي أوصيك به أنك لا تريد علواً في الأرض ، وإن أعلاك الله لا تطلب أنت من الله إلّا أن تكون في نفسك صاحب ذلةٍ ومسكنةٍ وخشوعٍ ، فإنك أن لن تُحصّل ذلك إلّا أن يكون الحقُّ مشهوداً لكَ . وليس مدارُ الخلْقِ والأكابر إلّا على أنْ يحْصُل لهم مقامُ الشهود فإنه الوجود المطلوب .

وصيـة :

وعليك بالإغتسال في كل يومٍ جمعةٍ ، واجعله قَبلَ رَوَاحك إلى صلاة الجمعة ، وإذا اغتسلت فانوِ فيه أنك تؤدي واجباً ، فإنه قد ورد في الصحيح [أن غسلَ الجمعة واجبٌ على كل مسلم] وقد ورد عن رسول الله ﷺ : [حقٌّ على كلِ مسلمٍ أن يغتسلَ في كلِّ سبعة أيام] فتجمعُ بين الحديثين بغُسل الجمعة ، وذلك أن الله خلقَ سبعة أيام وهي أيام الجمعة ، فإذا إنقضت جمعةٌ ودارت الأيام فهي الجديدة الدائرة فلا تنصرف عنك دورة إلا عن طهارة تُحدِثُها فيها إكراماً لذاتك وتقديساً وتنظفاً ، كما جاء في السواك [إنّه مطهرة للفم ومرضاةٌ للرب] وكذلك الغسلُ في الإسبوع مطهرةٌ للبدن ومرضاةٌ للرَّب ، أي العبدُ فَعَلَ فعلاً يُرضي الله به من حيث إن الله أمره بذلك فامتَثَلَ أمره .

وصيـة :

وإياك والمِراءَ في شيءٍ من الدينَ ـ وهو الجدالُ ـ فلا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون محقاً أو مبطلاً كما يفعل فقهاءُ زماننا اليوم في مجالس مُناظراتهم ، ينوون في ذلك تنقيحَ خواطرهم ، فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهباً لا يعتقده ، وقولاً لا يرتضيه وهو يجادل به صاحبَ الحق الذي يعتقد

فيه أنه حقٌّ ، ثم تخدعه النفسُ في ذلك بأن يقولَ له : إنما نفعل ذلك لتنقيح الخاطرِ لا لإقامةِ الباطل ، وما علم أن الله عند لسان كلِّ قائلٍ ، وأنَّ العاميَّ إذا سمع مقالتَه بالباطِلِ وظهوره على صاحب الحق - وهو عنده أنه فقيه - عمل العاميُّ المقلدُ على ذلك الباطلِ لِما رأى من ظهورِه على صاحب الحق ، وعجزِ صاحبِ الحق عن مقاومته ، فلا يزال الإثمُ يتعلق به ما دام هذا السامعُ يعملُ بما سمع منه ، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابتِ أنه قال : [أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمن ترك المراءَ وإنْ كان محقّاً ، وببيتٍ في وسَط الجنةِ لمنْ تركَ الكذبَ وإن كان مازحاً] ومنه المراءُ في الباطل ، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولكن لا يقول إلاّ حقاً .

وصيـة :

وعليك بحُسن الأخلاق ، وإتيان مكارمها ، وَتجنُّب سَفْسَافِها ، فإنَّ النبي ﷺ يقول : ﴿إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ﴾ وإنه ﷺ قد ضمن بيتاً في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خلُقه . ولما كانت الأخلاقُ الحسنة عبارةً عن أن تفعل مع المتخلَقِ معه بتصرّفِ أخلاقك معه في معاملتك إياه - وعلمتَ أنّ أغراضَ الخلقِ متباينةٌ ، وأنه إنْ أرضى زيداً أسخط عدوّه عمراً ، لا بُدَّ من ذلك - فمن المحال أن تكونَ في خُلُقٍ كريمٍ يُرضي جميعَ الخلائق ، ولمّا رأينا أن الأمر على هذا الحدّ ، وأدخلَ الله نفسَه مع عِبَاده في الصحبة - كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لربه : [أنتَ الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل] وقال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنما كُنتمْ﴾(١) وقال : ﴿إذْ يقول لصاحبه : لا تحزَن إن الله مَعَنا﴾(٢) وقال : ﴿إنني مَعَكُما أسْمَعُ وأرى﴾(٣) - قلنا فلا تصرِفْ مكارمَ الأخلاق إلاّ في صحبة الله خاصة . فكلُّ ما يرضي الله تأتيه ، وكلُّ ما لا يرضيه تجتنبه ، وسواءٌ كانتِ المعاملة والخُلُق مما يخصُّ جانبَ الحق ، أو يتعدى إلى الغير ، وأنها وإنْ تعدت إلى الغير فإنها مما يرضي

---

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٠ .

(٣) سورة طه ؛ الآية : ٤٦ .

الله ، وسواءٌ عندك سَخِطُ ذلك الغير أو رضي ، فإنه : إنْ كان مؤمناً رضي بما يُرضي الله ، وإنْ كان عدواً لله فلا إعتبار له عندنا ، فإن الله يقول : ﴿إنما المؤمنون إخوةٌ﴾(١) وقال : ﴿لا تتخذُوا عدوي وَعَدوّكم أولياءَ تُلْقُون إليهم بالمودةِ﴾(٢) فحسنُ الخلق إنما هو فيما يرضي الله ، فلا تصرفه إلا مع الله سواء كان ذلك في الخلق ، أو فيما يختص بجناب الله . فمن راعى جناب الله انتفع به جميعُ المؤمنين وأهلِ الذمة ، فإن لله حقاً على كل مؤمنٍ في معاملة كلِّ أحدٍ من خلق الله على الإطلاق من كل صنف من مَلَكٍ وجانٍ وإنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ ومعدنٍ وجمادٍ ومؤمنٍ وغيرِ مؤمنٍ . وقد ذكرنا ذلك في رسالة الأخلاق لنا كتبنا بها إلى بعض إخواننا [سنة إحدى وتسعين وخمسمائة] وهي جزءٌ لطيفٌ غريبٌ في معناه ، فيه معاملة جميع الخلق بالخلُق الحسنِ الذي يليق به . وحُسْنُ الخلق بحسب أحوال من تصْرِفُها فيه ومعه ، هذا أمر عام ، والتفصيلُ فيه لك بالواقع ، فانظر فيه فإنه أكثر من أن تحصى آحادُه ، لما في ذلك من التطويل ، والله الموفقُ لا رَبّ غيرهُ . وكذلك تجنبْ سَفْسَافَ الأخلاقِ، ولا تَعْرِفُ مكارمَ الأخلاق مِنْ سَفْسَافِها إلاّ حتى تعرفَ مصارفَها ، فإذا عرفتَ مصارفَها علمت مكارمها وسفسافها . وهو علمٌ شريفٌ خفي ، فلا يَفُوتَنَّكَ علمُ مصارف الأخلاق فإن ذلك يختلف باختلاف الوجوه .

وصية :

وعليك بالهجرةِ ولا تَقُم بين أظْهُر الكفار ، فإن في ذلك إهانةَ دين الإسلام وإعلاءَ كلمةِ الكفرِ على كلمةِ الله ، فإنّ الله ما أمرَ بالقتال إلاّ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى . وإياك والإقامةَ أو الدخولَ تحت ذمةِ كافرٍ ما استطعت ، واعلم أن المقيمَ بين أظْهُرِ الكفار ـ تَمكُّنِه من الخروجِ من بينَ ظهْرَانيهم ـ لاحَظَّ له في الإسلام ، فإن النبي ﷺ قد تبرأ منه ، ولا يتبرأ رسولُ الله ﷺ من مسلم . وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال :

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ١ .

[أنا بريءٌ من مسلم يُقِيمُ بين أظْهُرِ المشركين] فما اعتبر لـه كلمةَ الإسـلام . وقـال الله تعالى فيمن مـاتَ وهو بين أظهـر المشركين : ﴿إنَّ الـذين تَـوَفَّـاهُم المـلائكـةُ ظـالمي أنْفسِهم ، قـالـوا فِيمَ كُنْتُمْ قـالـوا : كُنَّـا مُسْتضْعَفِينَ في الأرضِ ، قالوا : ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتُهاجرُوا فيها ؟ فـأولئكَ مـأوَاهم جهنمُ وساءت مصيراً﴾(١) فلهذا حجَّرْنا في هذا الزمان على الناسِ زيارةَ بيتِ المقـدس والإقـامـةَ فيه ، لكـونـه بيَـدِ الكفـار ، فـالـولايـةُ لهم والتحكُم في المسلمين ، والمسلمـون معهم على أسـوإ حـالٍ ـ نعـوذ بـالله من تَحَكُم الأهواء ـ فالـزائرون اليـومَ لبيـت المُقدسَ ، والمقيمـون فيه من المسلمين هم الـذين قال الله فيهم : ﴿ضَـلَّ سَعْيُهم في الحيـاةِ الـدُّنيـا وَهُم يَحسَبُـونَ أنهم يُحْسِنون صنْعاً﴾(٢) وكذلك فلتها جزعن كل خلقٍ مذمومٍ شرعاً قد ذمَّـه الحقُّ في كتابه أو على لسان رسول الله .

وصيـة :

وعليك باستعمالِ العلم في جميع حركاتـك وسكنَاتـك ، فإن السخيَ الكـاملَ السخـاءِ من سَخيَ بنفسه على العلم ، فكـان بحكم ما شـرعَ الله لـه فعَلِمَ وَعمِـل وعلَّمَ مَنْ لم يعلم . وقد أثنى رسـولُ الله ﷺ على مَنْ قَبِل العلم وعمِل به وعلَّمه ، وذمّ نقيضَ ذلك . فثبت عنه ﷺ أنه قـال : [مَثلُ مـا بعثني الله به من الهدى والعِلم كَمَثَـلِ غيثٍ أصاب أرضـاً فكانت منهـا طائفـةٌ قَبلتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعشبَ الكثيرَ ، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفع الله به النـاسَ فشربوا منها وَسقَوا وزرعوا ، وأصابَ منهـا طائفـةً إنما هي قِيْعَـان لا تُمْسِك ماءً ولا تُنْبت كلأً فكَذلك مَنْ فَقُه في دين الله ، ونَفَعه الله بما بعثني به فَعَلم وعمِل وَعلَّم . وَمَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً مَثلُ القِيعان التي لـم تمسكْ ماءِ ولا أنبتتْ كلأً] فكنْ يـا أخي ممن عَلِمَ وعَمِل ، ولا تكن ممن عَلِمَ وتـركَ العمل ، فتكونَ كالسراج أو الشمعة تضيء للناس وتحـرقُ نفسك ، فـإنك إذا علمتَ جعل الله لك فرقاناً ونوراً وورّثك ذلك العمل علماً آخـر لـم تكن تعلمُه

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الكهف ؛ الآية : ١٠٤ .

من العلم بالله وبمالك فيه منفعة عند الله في آخرتك ، فاجْهَدْ أن تكون من العلماء العاملين المرشدين .

وصيـة :

وعليك بالتودد لعبادِ الله من المؤمنين بإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والسعي في قضاء حوائجهم . واعلم أن المؤمنين أجْمَعَهُم جسدٌ واحد كإنسان واحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائرُ الجسد بالحمى ، كذلك المؤمنُ إذا أصيب أخوه المؤمنُ بمصيبةٍ فكأنه أصيبَ بها ، فيتألمُ لتألمه . ومتى لم يفعل ذلك المؤمنُ مع المؤمنين فما ثبتت أخوةُ الإيمان بينه وبينهم ، فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء جسدِ الإنسان ، وبهذا وقع المَثَل من النبي ﷺ في الحديث الثابت ، وهو قوله ﷺ : [مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتعاطفِهم وتراحمِهم مَثَلُ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسدِ بالحمى والسهرِ] واعلم أنَّ المؤمنَ كثيرٌ بأخيه ، وأنَّ [المؤمن] لما كان من أسماء الله مع ما ينضاف إلى ذلك من خَلْقِهِ على الصورة ثَبَتَ النسب ، والمؤمنُ أخو المؤمن لا يُسْلِمُهُ ولا يَخذله ، فمن كان مؤمناً بالله ـ من حيث ما هو الله مؤمنٌ ـ فإنَّه يصدِّقه في فعله وقوله وحاله وهذه هي العصمة فإنَّ الله من كونه مؤمناً يصدقه في ذلك، ولا يصدِّق الله إلاّ الصادقَ، فإنَّ تصديقَ الكاذب على الله محالٌ فإن الكذبَ عليه محال ، وتصديقُ الكاذب كذبٌ بلا شك ، فمن ثبت إيمانُهُ بالله ـ من كون الله مؤمناً ـ فإن هذا العبدَ لا شكَّ أنه من الصادقين في جميع أُموره مع الله ، لأنه مؤمن بأن الله مؤمن به أيضاً . فَتَنَبَّهْ لِمَا دَلَلْتُكَ عليه ووصيْتُكَ به في الإيمان بالله من كونه مؤمناً تَنْتفعْ ، فإني قد أريتُك الطريق الموصلَ إلى نيل ذلك ، واعتصمْ بالله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بالله فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم﴾[1] فإن الله على صراط مستقيم ، وليس إلاّ ما شرعه لعباده .

وصيـة :

لا تَكْتَرِثْ لما يُصيبُك الله به من الرزايا في مَالِكَ ومَنْ يَعِزُّ عليك من

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠١ .

أهلك ممـا يسمى في العـرف رزيـةً ومُصـابـاً ، وقـل ﴿إنّـا لله وإنّـا إليـه راجعون﴾ [1] عند نزولها بك ، وقلْ فيها كما قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه ما أصابتني من مصيبة إلاّ رأيتُ أن لله عليّ فيها ثلاثَ نعمٍ :

النعمة الواحدة : حيث لم تكن المصيبة في ديني .

والنعمة الثانية : حيث لم يكن ما هـو أكبرُ منهـا ، فدفـع الله بها مـا هو أعظمُ منها .

والنعمة الثالثة : ما جَعَلَ الله لي فيها من الأجر بالكفارةِ لِمَا كنّـا نتوقـاه من سيئآت أعمالنا . واعلم أنّ المؤمن في الدنيـا كثيرُ الـرزايا ، لأن الله يُحب أن يُطهره حتى ينقلب إليه طاهـراً مطهـراً من دنس المخالفـات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يُقام فيها ، فلا يـزال المؤمنُ مُرْزأً في عمـوم أحوالـه ، وقد ثبت عن رسـول الله ﷺ في ذلـك : [مَثَـلُ المؤمنِ كَمَثَـلِ الخَـامـةِ[2] مِن الزرعِ ، تَصْرَعُها الريحُ مرةً ، وتَعْدِلُها أخرى حتى تَهِيْجَ] .

وصيـة :

عليك بتلاوةِ القـرآن وَتَدَبـرِه ، وانظرْ في تـلاوتك إلى مـا حُمد فيـه من النعوت والصفات التي وَصَفَ الله بها مَنْ أحَبّه من عباده فاتّصفْ بها ، وما ذَمّ الله في القرآن من النعوتِ والصفات التي اتّصفَ بها مَنْ مَقَتَـهُ الله فاجْتَنِبْهـا ، فإن الله ما ذكرها لك وأنزلها في كتابـه عليك وعـرّفك بهـا إلاّ لتعمل بـذلك ، فـإذا قرأت القـرآن فكن أنتَ بـالقـرآن لمـا في القـرآن ، واجتهـد أن تحفـظَه بالعمل كما حفظَته بالتـلاوة فإنـه لا أحدَ أشـدُّ عذابـاً يومَ القيـامة من شخصٍ حَفِظ آيـةً من كتابِ الله ثم نَسِيَهَـا ، كذلـك مَنْ حفظ آيةً ثم تـرك العملَ بهـا كانت عليه شاهدةًيوم القيامة وحسرةً ، وإنه قد ثبت عن رسـول ﷺ في أحوال

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .

(٢) الخامة : هي الزرع الذي على ساق واحد ، فهو ضعيف لم يشتد . اهـ . الحفني على الجامع الصغير .

مَنْ يقرأ القرآنَ ، ومن لا يَقْرؤه من مؤمنٍ ومنافقٍ فقال ﷺ : [مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ريحُها طيِّبٌ] يعني بها التلاوةَ والقراءة فإنها أنفاسٌ تخرج ، فَشَبَّهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس [وَطَعْمُها طَيِّبٌ] يعني بها الإيمان ، ولذلك قال [ذَاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمّدٍ ﷺ نَبِيّاً] فنسب الطعم للإيمان ، ثم قال : [وَمَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ التمرةِ طَعْمُها طَيِّبٌ] من حيث إنه مؤمن ذو إيمان [ولا ريحَ لها] من حيث إنه غيرُ تالٍ في الحال التي لا يكون فيها تالياً وإن كان من حُفّاظ القرآن ، ثم قال : [وَمَثَلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآنَ كمَثَلِ الرَّيْحانةِ ريحُها طَيِّبٌ] لأن القرآن طيب ، وليس سوى أنفاس التالي والقارىء في وقت تلاوته وحال قرآنه [وَطَعْمُها مُرٌّ] لأن النفاق كفرُ الباطنِ ، لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة ، ثم قال : [وَمَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلُ الحنظَلة طَعْمُها مُرٌّ ولا ريحَ لها] لأنه غيرُ قارىء في الحال . وعلى هذا المساق كلُّ كلامٍ طيبٍ فيه رضا الله صورتُهُ من المؤمن والمنافق صورةُ القرآن في التمثيل ، غير أن القرآن منزلتُه لا تخفى ، فإنّ كلامَ الله لا يُضاهيه شيء من كلِّ كلامٍ مقربٍ إلى الله فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره أن يُحضِر في ذكره ذلك ذكراً من الأذكار الواردة في القرآن فيذكر الله به ، ليكون قارئاً في الذكر ، وإذا كان قارئاً فيكون حاكياً للذكر الذي ذكر الله به نفسَه ، وإذا كان كذلك فقد أنزل نفسه فيه منزلةَ ربه منه وهو قوله : ﴿فَأَجِرْهُ حتى يسمع كلامَ الله﴾(١) وقولُه : [إنّ الله قال على لسان عبده : سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَه] ويُقال للقارىء يوم القيامة [إقْرَأ وَارْقَ] وَرُقِيُّه في الدنيا في أيام التكليف في قرآنه أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته ، بأن يكون الحقُّ هو الذي يتلو على لسان عبده ، كما يكون سَمْعَه الذي به يسمع ، وبَصَرَه الذي به يُبصر ، ويديه اللتين بهما يَبْطش ، ورجليه اللتين بهما يسعى ، كذلك هو لسانُه الذي به ينطقُ ويتكلمُ ، فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلا بما ورد في القرآن عن

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٦ .

إستحضارٍ منه لذلك ، فيرقى من قراءته بنفسه إلى قراءته بربه ، فيكـونُ الحقُّ هو الذي يتلو كتابَه ، فيرتفعُ يومَ القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قرآنـه ، ويقف عندها إلى الدرجة التي تليق بتلك الآيـة ، التي يكون الحقُّ هـو التاليَ لها بلسان هذا العبد عن حضورٍ من العبد التـالي لذلـك ، فإن أفضـلَ الكلامِ كلامُ الله الخاصُّ المعروفُ .

وصيـة :

وعليك بمجالسةِ مَنْ تنتفعُ بمجالسته في دينك من علمٍ تستفيده منـه ، أو عمل يكون فيـه ، أو خُلُقٍ حَسنٍ يكون عليـه ، فإنّ الإنسـان إذا جالسَ مَنْ تُذَكِّره مجالستُه الآخرةَ فلا بدَّ أن يتحلى منها بقـدْر ما يـوفقه الله لـذلك ، وإذا كان الجليس له هذا التعدي فاتخذ الله جليسـاً بالـذكر ، والـذكرُ القـرآنُ وهو أعظم الذكر ، قال تعالى : ﴿إنّا نحن نَزّلْنَا الذِّكرَ﴾[1] أي القرآنَ ، وقال (أنـا جليسُ مَنْ ذكـرني) وقال ﷺ (أهـلُ القرآنِ هم أهـلُ الله وخاصّتُـه) وخـاصـة المَلِكِ جلساؤه في أغلب أحوالهم ، والله له الأخلاق ـ وهي الأسماءُ الحسنى الإلهيةُ ـ فمن كان الحق جليسَه فهو أنيسه ، فلا بد أن ينال من مكارم أخلاقـه على قدْر مُدة مجالسته . ومَنْ جلس إلى قـومٍ يذكـرون الله فـإن الله يُـدخله معهم في رحمتـه ، فهم القـوم الـذين لا يشقى جليسُهم ، فكيف يشقى مَنْ كـان الحق جليسَـه ؟ وقـد ورد في الحـديث الثـابت [إنّ الجليسَ الصـالـحَ كصـاحب المسك : إنْ لم يُصبْـك منه أصـابك مِن ريحِـه ، والجليسُ السوء كصاحب الكير إنْ لم يُصبْك من شررِه أصابك من دُخانِه) وهـو أنه من خـالط أصحـاب الرِّيَبِ إرْتِيْبَ فيـه ، وذلـك لِمـا غلب على النـاس من سـوء الـظن بالناس لخبث بواطنهم . وهنا فائدةٌ أُنبهـك عليها أغفلهـا الناس ، وهي تـدعو إلى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهراً من السوء ، وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرار وهو خَيِّـرٌ عندك فـلا تسيء الظنَ بـه لصحبته الأشـرارَ ، بل وحَسِّنِ الظنَ بالأشـرار لصحبتهم ذلك الخيِّـر ، واجعلْ المناسبة في الخَبْـر لا

---

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٩ .

في الشر ، فإن الله ما سأل أحداً قطُّ يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ، ويسأله عن سوء الظن بالخلق . ويكفيك هذا نصحاً إن قبلت ، ووصيةً إن علمت بها . والذاكرُ ربَّه حياتُه متصلةٌ دائماً لا تنقطع بالموت ، فهو حي - وإن مات - بحياةٍ حي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله ، إلاّ أن يكون المقتولُ في سبيل الله من الذاكرين فله حياةُ الشهيد وحياةُ الذاكر ، فالذاكر حي وإن مات ، والذي لا يذكرُ الله ميت وإن كان في الدنيا من الإحياء ، فإنه حيٌّ بالحياة الحيوانية ، وجميعُ العالم حيٌّ بحياة الذكر ،فَمَثَلُ الذي يذكر ربَّه ، والذي لا يذكر ربه مَثَلُ الحي والميت ، كذا مثله رسول الله ﷺ ، وأما ما أدعيتُه في وصيتي لك بالذكر أنّ الذاكرَ أفضلُ من الشهيد الذ لا يذكر الله فلما صح عن رسول الله ﷺ في قوله : [ألا أنبئُكم] أو كما قال : [بخَيْرٍ لكمَ مَن أن تلقَوا عدوُكم فضربوا رِقابَكم وتضرَبوا رقابَهم ؟ ذكرُ الله] فذكر ضربَ الرِّقابَ وهو الشهادة ، فذكرُ العبدِ ربَّه أفضلُ من قتل الشهيد . وثبت عنه أن الذاكرَ حيٌّ ، فخرج من ذلك أن حياة الذاكر خيرٌ من حياة الشهيد إذا لم يكن ذاكراً ربَّه عز وجل .

وصية :

وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه، فإنك مسؤولٌ من الله عن ذلك . فإن كنت ذا سلطان تعيَّن عليك إقامة حدود الله فيمن ولاّك الله عليه ، وكلّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، وليس سوى إقامة حدود الله فيهم وأقلُّ الولاياتِ ولايتُك على نفسك وجوارِحِك فأقم فيها حدود الله إلى الخلافة الكبرى ، فإنك نائبُ الله على كل حال في نفسك فما فوقها . وقد ورد الحديث الثابت في القائم بحدود الله والواقع فيها فمثّلهُما رسول الله ﷺ [بقومٍ إستهمّوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا : إنا نخرق في نصيبنا لا نؤذي من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً] فإذا خطر لك يا وليّ خاطرٌ يأمرك بالخير فذلك لَمّةُ المَلَك ، ثم يأتي بعد ذلك خاطرٌ ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله فذلك لَمّةُ الشيطان ، ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع ، وإذا خطر لك خاطرٌ يأمرك بفعل الشرِ فذلك لَمّةُ الشيطان فإذا أعقبه

خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لَمّةُ الملك ، وأنت السفينة إن انخرقتْ هلكتَ وهلك جميع من فيك . فعليك بعلمِ الشريعة فإنك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها وتعرف من يقع فيها ممن قام بها ، إلا أن تعلم علم الشريعة ، فتعيَّن عليك طلبُ علم الشريعة لإقامة حدود الله .

وصية :

وعليك بالصدقة فإنَّ الله قد ذكر المتصدقين والمتصدقات وهي : فرض ، ونفل ، فالفرض منها يسمىٰ زكاة ، والنفل منها يسمى تطوعاً ، وبالفرض منها يزول عنك إسم البخل ، وبصدقة التطوع منها تنال الدرجات العلى ، وتتصف بصفة الكرم والجود والإيثار والسخاء وإياك والبخل ، ثم إنه عليك في مالك حق زائد على الزكاة المفروضة ، وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك بحيث إنك إذا لم تعطه من فضل مالك شيئاً هلك هو وعائلته ـ إن كانت له عائلة أو هو في نفسه ـ فيتعين عليك أن تواسيه من مالك : إما بالهبة ، أو بالقرض فلا بد من العطاء ، وذلك العطاء صدقة ، حتى إني سمعت بعض علمائنا باشبيلية يقول في حديث [هل علي غيرها] ؟ يعني في الزكاة المفروضة [قال: إلا أن تطوّع] قال لي ذلك الفقيه : فيجب عليك ، فاسْتحسنتُ ذلك منه رحمه الله . وإنما سمّى الله الإنسانَ متصدقاً وسمى ذلك العطاء صدقةً فرضاً كان أو نفلاً ـ لأنه أعطى ذلك عن شدة وقهر لنفسه ، فإنه في جبلّته وأصل نشأته خلقه الله هلوعا إذا مسه الشرُّ جزوعا ، وإذا مَسّه الخير منوعاً لكونه مجبولا على البخل ، فإن الله يقول فيه : ﴿وإذا مَسّه الخيرُ مَنوعاً﴾[1] فقال ﷺ في فضل الصدقة زمانها [أنْ تصدّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخاف الفقر وتأمُل الحياة والغنى] يقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[2] أي الناجون ، لأن الإنسان إذا كان له مال ويأمُل الحياة فإنه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته

---

(١) سورة المعارج ؛ الآية : ٢١ .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ . وسورة التغابن ؛ الآية ؛ ١٦ .

لنوائب الزمان وأمله بطول حياته ، فيؤديه ذلك إلى البخل بما عنده من المال ، والإمساك عن الصدقة والتوسعةِ على المحتاجين مما آتاه الله من الخير ، فهو يَكنزه ، ولا ينفقه ولا يؤدي زكاته حتى يُكوى به جنبه وجبينه وظهره كما قال تعالى فيهم : ﴿يوم يُحْمى عليها في نار جهنم فتُكوى بها جباهُهم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كَنَزْتُم لأنفسكم فذُوقوا ما كنتم تَكْنِزُون﴾[1] إذا منع الحقَّ الواجب عليه من الزكاة والقرض ، فلهذا العطاء عن شدةٍ سمّيت صدقةً ، يقال : رمح صَدْقٌ أي صُلب ، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً في البخيل والمتصدق فقال ﷺ : [مثلُ البخيل والمتصدِّق كمثلِ رجلين عليهما جُبّتانِ من حديد وقد إضطرت أيديهما إلى تراقيهما] فجعلَ المتصدق كلمّا تصدق بصدقة إنبسطت عليه حتى تجُنّ بنانه وتعفوَ أثرهُ ، وجعل البخيل كلما هَمّ بصدقةٍ قلَصَتْ وأخذتْ كلُّ حلْقةٍ مكانها . فإياك والبخل فإنه يُرديك ويُوردُك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة ، ولا يجعلك تتكرم وتتصدق إلا إستعمالُ العلم ،فإنك إذا علمت أن رزقك لا يأكله ولا يقتات به ولا يحيا به غيرُك ، ولو اجتمع أهلُ السموات والأرض على أن يُحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا ، وإذا علمت أنّ رزق غيرك فيما أنت مالكُه لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذى به ويحيا به، وأنّ أهلَ السموات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه الذي هو في ملكك ما أطاقوا فادفع إليه ماله إذا خطر لك خاطرُ الصدقة تتصفْ بالكرم والثناء الجميل ، وأنت ما أعطيتَه إلاّ ما هو له بحقٍ في نفس الأمر عند الله ، وأنت محمودٌ . فإذا علمت هذا هان عليك إخراجُ ما بيدك وأُلحقت بأهل الكرم وكتبت في المتصدقين ، وإن أخرجت ذلك عن ترددٍ ومكابدةٍ وأتبعتَه نفسك ورأيتَ بذلك أنّ لك فضلاً على مَنْ أوصلتَه تلك الراحة ، فإياك أن تجهل على أحدكما تحب أن لا يجهل عليك . وقد كان

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٥ .

رسول الله ﷺ يقول في تعوّذاته : [وأعـوذُ بك أنْ أجْهَـل أو يُجْهَل عليّ] فمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك .

وصيـة :

وعليك بالجهاد الأكبر ، وهو جهادُ هواك فإنه أكبر أعدائك ، وهو أقربُ الأعداء إليك الذين يلونك ، فإنه بين جنبيك ، والله يقول سبحانه : ﴿يـا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذينَ يَلُونكم من الكفـار﴾[1] ، ولا أكفر عنـدك من نفسك فـإنها في كـل نَفَسٍ تكفر نعمـةَ الله عليها من بعـد مـا جـاءتهـا ، فـإنـك إذا جاهدت نفسك هذا الجهادَ خَلَص لك الجهـادُ الآخرُ في الأعـداء ، الذي إن قُتِلت . فيه كنتَ من الشهداء الأحياء الذين عنـد ربهم يرزقـون ، فرحين بمـا آتـاهُم الله من فضله ويَستَبْشِـرون بـالـذين لم يَلْحَقـوا بهم مِنْ خَلفِهم . وقـد علمت فضلَ المجاهـد في سبيل الله في حـال جهاده حتى يـرجع إلى أهله ، بما إكتسبه من أجرٍ أو غنيمةٍ أنه كالصائم القائمِ القانتِ بآيـاتِ الله لا يَفْتر من صلاةٍ ولا من صيامٍ حتى يرجعَ المجاهد ، وقد علمت بالحـديث الصحيح أنّ الصومَ لا مِثْلَ له ، وقد قام الجهاد مقامه ومقام الصلاة ، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ ، وهذا في الجهاد الفرض الذي تعين ويعصي الإنسان بتركه لا بدّ من ذلك ، ولا يزال العبد العالمُ الناصحُ نفسَه المستبريءُ لدينه في جهادٍ أبداً لأنه مجبولٌ على خلافِ ما دعاه الحق إليـه ، فإنـه بالأصـالة متبعٌ هواه الـذي هو بمنـزلة الإرادة في حق الحق ، فيفعـلُ الحقُّ ما يـريده فـإننـا كلنـا عبيـده ولا تحجيرَ عليه ، ويريد الإنسانُ أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير ، فما هو مطلَقُ الإرادة . فهذا هو السبب الموجب في كونـه لا يزال مجـاهداً أبـداً ، ولذلـك طلب أصحابُ الهمم أن يَلحقوا بـدرجات العـارفين بالله حتى تكـون إرادتهم إرادةَ الحقِ ، أي يـريـدون جميـعَ مـا يـريـده الحق ، وهـو : مـا هم الخلقُ عليه ،فيريدونه من حيث إن الله أراد إيجاده ، ويكرهون منه بكـراهة الحق مـا كرهه الحقُّ ووصفَ نفسه بأنه لا يرضاه فهو يريده ولا يرضاه ، ويريده ويكرهه

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٢٣ .

في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمناً ، وإلا فقد إنسلخ من الإيمان نعوذ بالله من ذلك فإنه غاية الحرمان ، وهذا الحق الممقوت ، كما تقول في الغِيبة : إنها الحقُّ المنهي عنه .

وصية :

وعليك بإسباغ الوضوء على المكاره وذلك في زمان البرد ، واحذر من الإلتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحر فتسبغ الوضوء لإلتذاذك به في زمان الحر ، فتتخيل أنك ممن أسبغ الوضوءَ عبادةً ، وأنت ما أسبغته إلاّ لوجود الإلتذاذ لما أعطاه الحالُ والزمانُ من شدة الحر ، فإذا أسبغته في شدة البرد صار لك عادةً ، وقال رسول الله ﷺ [الخَيْرُ عادةٌ] فاصحبْ تلك النية في زمان الحر ، فإن غلبتك النفسُ على الإسباغ بما تجده من اللذة المحسوسةِ في ذلك فاعلم أنَّ الإلتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحر وإزالته ، فانوِ في ذلك دفعَ الألم عن نفسك ، فإنك مأجورٌ في دفع المضار عنك ، ألا ترى قاتلَ نفسِه كيف حرم الله عليه الجنة ، فحقُّ النفسِ على صاحبها أعظمُ من حق الغير عليه ، وكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه . وإن الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجةَ العبد ويمحو الله به الخطايا ، قال ﷺ [ألا أُنَبِّئُكم بما يَمْحو الله به الخطايا ، ويَرْفَعُ به الدرجاتِ ؟ إسْباغُ الوضوء على المكارِهِ] فهذا محو الخطايا ، فإنه تنظيفٌ وتطهير ، ثم قال [وَكَثْرةُ الخُطا إلى المساجد] فهذا رفعُ درجات فإنه سلوك في صعود ومشي ، ثم قال تمامَ الحديث وهو [وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاة ، فذلِكُمُ الرِّباطُ ، فذلِكُمُ الرِّباطُ ، فذلِكُمُ الرِّباطُ] والرباط : الملازمة من رَبَطْتُ الشيء ، وبالإنتظار قد ألزم نفسه فربط الصلاة بالصلاة المنتظرة بمراقبة دخول وقتها ليؤديها في وقتها ، وأيُّ لزوم أعظمُ من هذا ؟ فإنه يومٌ واحد مقسم على خمس صلوات ما منها صلاة يؤديها فيفرغُ منها إلا وقد ألزم نفسه مراقبة دخول وقت الأخرى إلى أن يفرغ اليوم ويأتي يوم آخر فلا يزال كذلك ، فما ثمَّ زمان لا يكون فيه مراقباً لوقتِ أداء صلاة ، لذلك أكده ﷺ بقوله ثلاث مرات . فانظر إلى علم رسول

الله ﷺ بالأمور حتى أنزل كلَّ عملٍ في الدنيا منزلته في الآخرة وعَيّن حكمه وأعطاه حقه ، فذكر وضوءاً ومشياً وانتظاراً ، وذكر محواً ورفع درجة ورباطاً ثلاثاً لثلاث ، هذا يدلك على شهوده مواضع الحِكم . فمن هنا وأمثاله قال عن نفسه [إنه أُوتِيَ جوامعَ الكلِم] .

وصية :

وعليك بمراعاة كلِّ مسلم من حيث هو مسلمٌ ، وساوِ بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم ، ولا تقل : هذا ذو سلطان وجاهٍ ومالٍ وكبير ، وهذا صغيرٌ وفقير وحقير ، ولا تُخفر[1] صغيراً ولا كبيراً في ذمته ، واجعل الإسلامَ كلَّه كالشخص الواحد، والمسلمين، كالأعضاء لذلك الشخص وكذلك هو الأمر فإن الإسلام ما له وجودٌ إلّا بالمسلمين ، كما أن الإنسان ما له وجودٌ إلّا بأعضائه وجميعِ قواه الظاهرة والباطنة . وهذا الذي ذكرنا هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك [المسلمون تَتكافَؤُ دِماؤُهم[2] ويسعى بذِمّتِهم أدناهم ، وهم يدٌ واحدةٌ على مَنْ سواهم] وقال ﷺ : [المسلمون كرجلٍ واحدٍ إن إشتكى عينه إشتكى كله ، وإن إشتكى رأسه إشتكى كله] ومع هذا التمثيل فأنزِل كلّ واحد منزلته ، كما أنك تعامل كلّ عضو منك بما يليق به وما خلق له ، فتغُضُّ بصرك عن أمر لا يعطيه السمع ، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه البصر ، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجْلِك ، وهكذا جميعُ قُواك ، فتنزل كلَّ عضوٍ منك فيما خلق له كذلك . وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فأعطِ العالم حقه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به ، وأعطِ الجاهل حقه من تذكيرك إياه وتنبيهه على طلبِ العلم والسعادة ، وأعطِ الغافل حقه بأن توقظه من نومِ غفلته بالتذكر لِما غفل عنه مما هو عالم به غيرُ مستعملٍ علمه فيه ، وكذلك الطائع والمخالف ، واعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيما هو مباحٌ لك فعلهُ وتركه . فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع ،

(١) أخفره : نقض عهده وغدر ، كما في مختار الصحاح .

(٢) أي تتساوى في القصاص والديات . اهـ النهاية لابن الأثير .

فيعود لأمر السلطان ونهيه ما كان مباحاً قبل ذلك واجباً أو محظوراً بالحكم المشروع من الله في قوله : [وَأولي الأمر منكُم﴾[1] وأعطِ الصغير حقه من الرفق به والرحمة له والشفقة عليه ، وأعطِ الكبير حقه من الشرف والتوقير ، فإن من السنة رحمةَ الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شرفه . ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال[ليس مِنا مَنْ لم يَرْحَم صَغيرَنَا ويعرفْ شرفَ كبيرنا] وفي حديثٍ [ويوقرْ كَبِيرنا] وعليك برحمة الخلق أجمعَ ومراعاتهم كانوا ما كانوا ، فانهم عبيدُ الله وخلقُ الله وإنَ عَصَوْا ، وإنْ فَضَل بعضُهم بعضاً ، فإنك إذا فعلت ذلك أُجِرْت فإنه ﷺ قد ذكر أنه : [في كلِّ ذي كبدٍ رطبة أجر] ألا ترى إلى الحديث الوارد في الْبَغِيِّ أن بغياً من بغايا بني إسرائيل [وهي الزانية] مرت على كلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر فلما نظرت إلى حاله نزعت خفها وملأته بالماء من البئر ، وسقت الكلب ، فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب . وأخبرني الحسنُ الوجيهُ المدرّس بملطية الفارسيُّ عن والي بخارى [وكان ظالماً مسرفاً على نفسه] فرأى كلباً أجرب في يوم شديد البرد وهو ينتفض من البرد ، فأمر بعض شاكريّته فاحتمل الكلب إلى بيته وجعله في موضع حار ، وأطعمه وسقاه وَدَفِيءَ الكلب ، فرأى في النوم أو سمع هاتفاً [الشك مني] يقول له : يا فلان كنتَ كلباً فوهبناك لكلب ، فما بقي إلا أياماً يسيرة ومات ، فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب . وأين المسلم من الكلب ؟ فافعل الخير ولا تبالِ فيمن تفعله تكنْ أنت أهلاً له ، ولتأتِ كل صفة محمودة من حيث ما هي مكارم الأخلاق تتحلى بها ، وكن محلاً لها لشرفها عند الله وثناء الحق عليها ، فاطلب الفضائل لأعيانها ، واجتنب الرذائل لأعيانها ، واجعل الناس تبعاً لا تقف مع ذَمّهم ولا حمدهم ، إلا أنك تقدم الأوّلى فالأولى إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله التي شرعها للمؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام . واعلم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يَشُدُّ بعضُه بعضاً ، فما في العالم إلاّ مَنْ هو ساجد لله إلا

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

بعض الثقلين من الجن والإنس فإن في الإنسان الواحد منهم كثيراً ممن يسبح الله ويسجد لله ، وفيه مَن لا يسجد لله وهو الذي حقّ عليه العذاب ، أُنظر في قوله : ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا آمِنُوا﴾[1] فسماهم مؤمنين وأمرهم بالإيمان .

فالأول : عمومُ الإيمان فإن الله قال في حق قوم : ﴿والذين آمنُوا بالباطل﴾[2] .

والثاني : خصوص الإيمان وهو المأمور به ، والأول إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف بل ذلك عن علم ، وأيسره في بني آدم إيمانُهم حين أشهدهم على أنفسهم كما قال : ﴿وإذا أخذَ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتهم وأشْهَدهم على أنفسهم﴾[3] بالإيمان في دار الميثاق فخاطبهم بالمؤمنين حين أيَّهَ بهم ، ثم أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى ، وما تعرض للتوحيد المطلق ، رحمة بهم فإنه القائل : ﴿وما يُؤمن أكثرُهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾[4] الشركَ الخفي وقد ذكرناه[5] فلذلك قال لهم (آمِنُوا بالله) ولم يقل بتوحيد الله ، فمن آمن بوجود الله فقد آمن ، ومن آمن بتوحيده فما أشرك ، فالإيمان إثباتٌ ، والتوحيد نفيُ شريك ، ومن أسماء الله [المؤمن] وهو يَشُدُ من المؤمن المخلوق ، قال ﷺ : [يَرْحَم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد] وهو الإسم المؤمن ، فالمؤمن يشد من المؤمن فافهم .

وصية :

كن عُمَرِيَّ الفعلِ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : [مَنْ خِدَعَنَا في الله إنخَدَعْنَا له] فاحذر يا أخي إذا رأيت أحداً يخدعُك في الله وأنت تعلم بخداعه إياك ، فمن كرم الأخلاق أن تنخدع له ولا توجِدَه أنك

---

(1) سورة النساء ؛ الآية : ١٣٦ .
(2) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٥٢ .
(3) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢ .
(4) سورة يوسف ؛ الآية : ١٠٦ .
(5) في صحيفة ـ ٣٧ .

عرفتَ خداعه، وَتبـالَـه حتى يغلِبَ على ظنه أنه قد أثّر فيك بخداعه، ولا يدري أنك تعلم بذلك، لأنك إذا قمت في مثل هذه الصفة فقد وفيت الأمر حقه، فإنك ما عاملت إلّا الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم، ألا تراه لو كان صادقاً غيرَ مخادِع لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه، وهو ما يَسْعَد إلّا بصدقه، كما أنه يشقى بخداعه ونفاقه، فإن المخادع منافق فلا تفضحه في خداعه وتجاهلْ له وانصبغ باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادع له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويجيبَ فيه صالحَ دعائك، فإنك إذا فعلت هذا كنت مؤمناً حقاً، فإن المؤمنِ غِرٌّ[1] كريم، لأن خُلُق الإيمان يعطي المعاملة بالظاهر، والمنافقِ خبٌّ[2] لئيم أي لئيم على نفسه حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها، كُنْ رداءً وقميصاً لأخيك المؤمن، وحُطْه من ورائه، واحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده، فإنك أخوه بِنصّ الكتاب العزيز، واجعله مرآةً ترى فيها نفسك، فكما تُزيل عنك كلّ أذى تكشفه لك المرآة في وجهك كذلك فلْتُزِلْ عن أخيك المؤمنِ كل أذى يتأذى به في نفسه فإن نفس الشيء وجهُه وحقيقته.

وصيـة:

واحفظ حق الجار والجوار، وقدّم الأقرب داراً إليك فالأقربَ، وتفقد جيرانك بما أنعم الله به عليك فإنك مسؤول عنهم، وادفع عنهم ما يتضررون به كان الجيران ما كانوا، وما سُميت جاراً له وسمي جاراً لك إلّا لميلك إليه بالإحسان ودفع الضرر، وميله إليك بالإحسان ودفعِ الضرر، مشتقٌّ مِن جارَ إذا مالَ، فإن الجور الميلُ فَمن جعله من الجور الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف فهو كمن يسمى اللديغَ سليماً في النقيض، وفي هذا تغليبُ حقِ الجوار كان الجار ما كان، كأنه يقول: وإن كان الجار من أهل الجور أي الميل إلى الباطل بشرك أو كفرٍ فلا يمنعْك ذلك منه عن مراعاة

---

(١) الغر (بالكسر): هو غير المجرب. اهـ.

(٢) الخب: (بالفتح والكسر) الرجل الخداع. اهـ.

حقه ، فكيف بالمؤمن ؟ فحق الجار إنما هـو على الجار . وأعجب مـا رويت في ذلك عن بعض شيوخنا فذكر من مناقب بعض الأعراب أنَ جراداً نزل بفِناء بيته ، فخرجتِ الإعراب إليه بالعُدة ليقتلوه ويأكلوه ، وصاحب البيت مـا عنده خبر بما يريدون ، فخرج إليهم من خبائه فسألهم : مـا تبتغون ؟ فقـالوا لـه : نبتغي قتلَ جارك [يريدون الجراد] فقال لهم : بعد أن سميتموه جاري فوالله لا أترك لكم سبيلاً إليه وجرّد سيفه يذب عنه مراعاةً لحق الجوار ، فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر فقال : هو حرام ، فقيل له إنه سمـكٌ من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكله لنا ، فقال لهم مالك : أنتم سميتوه خنزيراً ، ما قلتم : ما تقول في سمك البحـر ؟ فاهجـر ما نهـاك الله عنه وقـد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه و ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الـذي بينكَ وبينـه عداوةٌ كـأنـه وليٌ حميمٌ ومـا يُلَقّـاهـا إلاّ الـذين صبـروا ، ومـا يلقـاهـا إلاّ ذو حظٍ عظيمٍ﴾[١] وفيما روينا من الأخبار في سبب نـزول هذه الآيـة أن إعرابيـاً جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء الإعراب ، وقد سمع أن الله قـد أنزل عليه قرآناً عجز عن معارضته فصحاءُ العـرب ، فقال لـه : يا رسـول الله هل فيما أنزل عليك ربُك مِثلُ ما قلتُه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : [وما قلتَ] ؟ فقال الإعرابي : قلت :

وَحَيِّ ذوي الأضْغَان تسبي عقوَلهم ... تحيتَك القُربى فقد يَدْفَـعُ النَّغَلْ[٢]
وإنْ جَهَروا بالقـولِ فاعْفُ تكـرماً ... وإن ستروا عنك الملامة لم تُبَلْ[٣]
فـإنَّ الذي يُؤْذِيـكَ منـه إسْتِمـاعُـه ... وإنَّ الذي قد قيـل خَلْفَك لم يُقَـلْ

فـأنزل الله تعـالى : ﴿ولا تستوي الحسنـةُ ولا السيئـةُ إدْفَـع بـالتي هي أحسن فـإذا الذي بينَـك وبينه عـداوةٌ كأنـه وليٌ حميم ومـا يُلَقّـاهـا إلاّ الـذين صَبَروا وَمَا يُلَقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم﴾[٤] فقال الإعرابي : هذا والله هـو السحر

---

(١) سورة فصلت ؛ الأيتان : ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) النغل : الإفساد بين القوم ـ النميمة . اهـ .
(٣) أي لم تبال بهم .
(٤) سورة فصلت ؛ الأيتان : ٣٤ ، ٣٥ .

الحلالُ ، والله ما تخيلتُ ولا كان في علمي أنه يُزاد أو يؤتى بأحسنَ مما قلتُه ، أشهدُ أنك رسولُ الله ، والله ما خرج هذا إلاّ مِنْ ذي إلٍّ[1] . فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن ، أتُرى يا وليّ أن يكون هذا الإعرابي فيما وصف به نفسه بأكرَمَ من الله في هذا الخلق في تحملِ الأذى ، واظهار البِشْر ، والتغاضي عن العقوبة ، والعفو مع القدرة ، وتهوين ما يقبح على النفس ، والتغافل عمن أراد التستر عنك بما يشينه لو ظهر به ، بل والله الله أكرمُ منه وأكثر تجاوزاً وعفواً وحلماً وأصدق قيلاً ، فإن هذا القول من العربي وإن كان حسناً فما يُدرى عند وقوع الفعل ما يكون منه ، والحق صادق القول بالدليل العقلي فما يأمر بمكرُمة إلا وهي صفته التي يعامل بها عباده ، ولا ينهى عن صفةٍ مذمومة لئيمة إلا وهو أنزه عنها لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم الغفور الرحيم .

وصية :

أُنْصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فنصرة الظالم من حيث ما هو مظلوم فإنّ الشيطان ظلمه بما وسْوَس إليه به في صدره من ظلم غيره ، فتنصُره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطانُ عنده من تزيينه ظلم الغير حتى تسمى بظالم ، فما نصرتَه إلاّ لكونه مظلوماً لمن وسوس في صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له مُلك ، فابتاعه منه الشيطان بالضلالة فاشترى الضلالة بالهدى فسمي ظالماً فإذا أبَنْت له أنتِ بنصحك وأفتيته أن هذا البيع مفسوخ لا يجوز شرعاً فلا ينعقد ، وأنّ صفقته خاسرة وتجارته بائرة ، فقد نصرته مع كونه ظالماً ، فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسخ البيع ، يقول الله في مثل هؤلاء : ﴿**أولئك الذين إشتروا الضلالةَ بالهدى فما ربحتْ تجارَتُهم وما كانوا مُهتدين**﴾[2] فإياك أن تخذُل من إستنصر بك وقد قال الله تعالى مع غناه عنك : ﴿**إنْ تَنْصُروا الله يَنْصُرْكم**﴾[3] فطلب منكم أن تنصروه وما هو إلاّ

(١) الإل : الربوبية . يعني : من صاحب ربوبية .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦ .
(٣) سورة محمد ؛ الآية : ٧ .

هذا ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ومن كان سعيهُ في ظلمة لا يدري متى يقع في مهواةٍ وما يؤذيه في طريقه من هَوَامٍّ يكون في أذاها هلاكه ، وأوصيك أن لا تحقر أحداً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه :

لا تَحْقِرَنَّ عبادَ الله إنَّ لهم　　　قدراً ولو جُمِعَتْ لك المقالاتُ

فلا يكونُ الله يظهر العناية بإيجادِ مَنْ أوجده من عدم وتحقره أنت ، فإن في ذلك تسفيهَ مَنْ أوجده واحتقاره ، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين ، فهذا من أكبر الكبائر فالكلُّ نِعَم الله يتغذى بها عبادِ الله كانوا ما كانوا ، قال ﷺ : [لا تَحْقِرنَّ إحداكنَّ ما تُهْديه لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة][1] فإن الإحتقار جهل محض ، ولا تكن لعاناً ولا سباباً ولا سخاباً ، فإن لعن المؤمن مثلُ قتله سواء . لقي عيسى عليه السلام خنزيراً فقال له : إنج بسلام ، فقيل له في ذلك فقال ﷺ ما أريد أن أُعَوِّد لساني إلا قولَ الخير ، كن حديثاً حسناً وفي ذلك قلت :

إنما الناسُ حديثٌ كلُّهمُ　　　فلتكنْ خيرَ حديثٍ يُسمعُ
وإذا شاكَتْكَ مِنْهُم شَوكةٌ　　　فَلْتَكُن أقوى مِجَنٍّ يَدفعُ
وإذا ما كنتَ فيهم هكذا　　　أنتَ والله إمامٌ يَنْفَعُ
إنما الشمعةُ تؤذيَ نفْسها　　　وهي للناظر نورٌ يَسْطَعُ
إنما اللؤمُ الذي تَعْرِفه　　　نعمَةٌ في يدِ شخص يَمْنعُ

وصية :

إياك والخيلاء وارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك ، روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : [إزْرَةُ المؤمن إلى نصفِ ساقه] أو كما قال، ولعلي بن أبي طالب القيرواني في ذلك :

تَقْصِيرك الثوب حقًا　　　أنقى وأبقى وأتقى

---

(١) الفرسن : طرف خف البعير .

فأما قوله : [أنقى] فلإرتفاعه عن القاذورات والنجاسات التي تكون في الطرق ، وأما قوله : [أبقى] فإن الثوب إذا طال حَك في الأرض بالمشي فيسارع إليه التقطيع فَيَقِلُّ عمر الثوب فإنه يَخلُق بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه وأما قوله أتقى فإنه مشروع أعني تقصير الثوب إلى نصف الساق ، والمتقي من جعل الشرع له وقاية وجنة يتقْي بها ما يؤذيه من شياطين الإنس الجن ، وإن الله لا ينظر لمن يَجرُّ يوبه خيلاء ، وإياك أن تسأل الناس تكثراً وعندك ما يغنيك في حال سؤالك ، فإن المسألة خُدُوش أو خُموش في وجهك يوم القيامة ، فإذا إضطررت ولم تقدر على شغل فاسأل قُوَتك لا تتعداه إذا لم يرزقك الله يقيناً وثقة به .

وكفارة ذلك : عدم تكثرك واقتصارك في المسألة على بُلْغةِ وقتك ، فإن السائل تكثراً يأتي يوم القيامة ومسألته خُدوش وخموش وقروح في وجهه ، ومسألة المؤمن حَرَق النار[1] .

ومعنى ذلك : أن المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقاً مثله في دفع ضرورته مثلَ حَرَق النار في قلبه من الحياء في ذلك حيث لم يُنزل مسألته ودفع ضرورته بربه الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يُسخّر له هذا المسؤول منه حتى يعطيه . ومن وجد عند ذلك تعززاً وتكبراً حيث التجأ إلى مخلوق مثله فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر ، وشرف الهمة أحسن من دناءه الهمة فإن العبد يتعزز على عبد مثله كما أن فخره وشرفه في فقره إلى سيده وسؤاله في دفع ضروراته ومُلماته وقضاء مهماته .

وصية :

إذا رأيت أنصارياً أو أنصاريةً ـ وإن كان عدواً لك ـ فلتُحِبَّه الحبَّ الشديد ، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان ، فإن النبي ﷺ لقي إمرأةً من الأنصار في طريقه فقال لها (إنكم لَمِن أحبّ خَلْقِ الله إليّ) وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار) واعلم أن كل

---

(١) حرق النار : لهبها .

من نصـر دين الله في أي زمان كان فهو من الأنصار وهـو داخـل في حكم هـذا الحديث ، واعلم أن الأنصار لـدين الله رجلان : الـواحد نَصَـر دينَ الله إبتداءً من نفسـه من غير أن يعـرف وجوب ذلـك عليه ، ورجـل عرف وجـوب نصرة الدين عليه بقوله (يا أيُّها الـذين آمنوا كُـونوا أنصـارَ الله)[1] فأمـرهم بنصرة الله فأدّى واجباً في نصرته فله أجر النصرة وأجـرُ أداء الواجب بمـا نواه من إمتثـال أمر الله في ذلك وتعيَّن عليه ، ولو كفاه غيره مؤنةَ ذلك ، فلا تتأخر عن أمر الله ونصرة الله ، قد تكون بما يُعطى من العلم المُظهِـرَ للحق الدافـع للباطـل فهو جهـاد معنوي محسـوس ، فكونـه معنويـاً لأن الباطن يقبله فـإن العلم متعلقُـه النفس ، وأما كونه محسوساً فما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة فيحصل للسامـع أو الناظـر بطريق السمـع من المتكلم ، أو بطريق النـظر من الكتابة ، وجهادُ العدو نصرةٌ محسوسة ما هي معنـوية فـإنه مـا نال العـدو من المقـاتل لـه شيئاً في البـاطن يَرده عن إعتقـاده كما ناله من العـالم إذا علّمـه وأصغى إليـه ووفقه الله للقبـول وفتح عين فهمـه لمـا يُـورده عليـه العـالم في تعليمـه ، وهي أعظم نصـرةٍ وهـو أعـظم أنصـاريّ لله ، يقـول النبي ﷺ (لأنْ يهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طَلعتْ عليه الشمسُ) وقد طلعتِ الشمس على كل عالم عامل بخير ، فأنت خيرٌ منه إذا نَصرتَ بتعلم العلم دينَ الله في نفس هذا المخاطب .

وصيـة :

وعليك بصدق الحديث وأداء الأمانـة وصدقِ الـوعد ، واجتنبِ الكـذب والخيـانة وخُلفَ الـوعد ، وإذا خـاصمتَ أحداً فـلا تفجُر عليـه ، فإن عـلامة المنافق وآيته : إذا حَـدّث كذَب ، وإذا وَعَـد أخلف ، وإذا أُتمن خان ، وإذا خاصم فَجَر .

وأعظم الخيانة : أن تحدث أخـاك بحديث يـرى أنك صـادق فيه وأنت

---

(١) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

على غير ذلك ، وإن الإنسان إذا كَذَب الكَذبة تباعد منه الملكُ ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به ، وكذلك الشيطانُ إذا أمر ابنَ آدم بالمعصية فعصى تبرأ منه الشيطان خوفاً من الله تعالى ، فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنوية واستنشاقها فإن له حُجُباً على أنفك تمنعك من إدراكَ نتْن ذلك ، فلا يكن الشيطان مع كفره أدركَ للأمور وأخوفَ من الله منك ، واعتبر في تَبَرُّئه من ذلك فإنها خميرة من الله في قلبه إلى زمان ما يظهر حكمها فيه ، مع كونه مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله أخبر الله عنه أنه يقول للإنسان : أكْفُرْ فإذا كفر يقول الشيطان إني بريء منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين ، فما أُخِذ الشيطانُ قط بعلمه لشرف علمه ، وإنما يؤخذ لصدق الحق فيما قال فيما شرعه فيمن سَنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزرُ مَن عمل بها ، فإن الشيطان يوم القيامة يَحْمل أثقالَ غيره ، فإنه في كل إغواءٍ يتوبَ عقيبه ، ثم يشرع في إغواء آخر ، فيؤخذ بعمل غيره لأنه من وسوسته ، والإنسان الذي لا يتوب إذا سَنّ سنة سيئة يحمل ثقلها وأثقالَ من عمل بها فيكون الشيطان أسعدَ حالاً منه بكثير .

وإياك أن تُخْلف وعدك : ولتُخْلف إيعادك ، ولكن سَمّ إخلافَ إيعادك تجاوزاً حتى لا تتسمى بأنك مخلفٌ ما أوعدت به من الشر ، وهذه شبهة المعتزلة وغاب عنها قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومه﴾[1] ومما تواطأت عليه الأعراب إذا أوْعَدتْ أو وَعَدَت بالشر التجاوزُ عنه ، وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق فعاملهم الحق بما توطؤا عليه ، فزَلت هنا المعتزلة زلةً عظيمة أوقعها في ذلك إستحالةُ الكذب على الله تعالى في خبره ، وما علمتْ أنّ مثل هذا لا يسمى كذباً في العرف الذي نزل به الشرع ، فحجبهم دليل عقلي عن علمِ وضعٍ حكمي . وهذا من قصورِ بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ، ولا ينبغي لها ذلك ولتنظرْ إلى المقاصد الشرعية في الخطاب ، ومَن خاطب ، وبأي لسان خاطب ،

---

(١) سورة ابراهيم ؛ الآية : ٤ .

وبأي عُرف أوقع المعاملة في تلك الأُمة المخصوصة . يقول بعضُ الأعراب في كرم خُلُقِه :

وإني إذا أوْعــدْتُـه أوْ وَعَــدْتُـه ... لَمُخْلِفُ إيعادي وَمُنْجِزُ مَوْعِدي

لكن لا ينبغي أن يقال له : مُخْلف بل ينبغي أن يقال : إنه عفوٌ متجاوزٌ عن عبده .

وصيـة :

وعليك بالبَذاذة فإنهـا من الإيمان وهي : عـدم الترفـه في الدنيـا ، وقد ورد قـوله : (إخْشَـوْشِنُوا) وهي من صفـات الحاج وصفـةِ أهل يـوم القيامـة ، فـإنهم شعثٌ غبْرٌ حفـاةٌ فإن ذلـك كله أنفى للكبـر وأبعـدُ من العجب والزهـو والخُيلاء والصَلف ، وهي أُمور ذمّها الشرع وكـرِهَها وهي مـذمومـة في العرف عند الناس وعند الله ، ولذلـك جعل النبي ﷺ البـذاذة من الإيمان ، وألحقهـا بشُعَبِه ، فإن النبي ﷺ يقول : [الإيمان بِضْعٌ وسبعون شعبةً ، أعلاها : لا إله إلّا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق] ولا شك أن الزهو والعُجبَ والكِبـر أذىً في طـريق سعـادة المؤمن ، ولا يُمـاط هـذا الأذى إلا بـالبَـذاذة ، فلهـذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان .

وصيـة :

وعليك بالحياء فإن الله حَيِيٌّ ، والحياء من الإيمان ، والحياءُ خيرٌ كله ، وإن الله يستحيي من ذي الشيبة يوم القيامة ، فإن العبد إذا إتّصف بـالحياء من الله تـركَ كلّ مـا لا يرضي الله ومـا يَشينه عنـد الله تعالى وعنـد رسـول الله ﷺ والحيـاءُ معناه التـرك قـال الله تعـالى : ﴿إن الله لا يَسْتَحْيِي﴾ يقـول إن الله لا يترك : ﴿أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بَعُوضةً فمـا فَوْقهـا﴾[1] في الصغر لقـول مَنْ ضل

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦ .

بهذا المثل من المشركين الذين تكلموا فيه فإن الله تعالى قال : ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيراً ويَهدي به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين﴾[1] فإنهم حاروا فيه ـ والضلالة الحيرة ـ ورأوا عزةَ الله وجلاله وكبرياءه وحقارةَ البعوضة في المخلوقات فاستعظموا جلال الله أن يُنْزِل في ضرب المثل لعباده هذا النزولَ ، وذلك لجهلهم بالأمور فإنه لا فرقَ بين أعظم المخلوقات ـ وهو العرش المحيط ـ وبين الذرة في الخلق والبعوضة وإخراجها من العدم إلى الوجود ، فما هي حقيرة إلاّ من صِغَر جسمها إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير ، بل الحكمة في البعوضة أتمُّ ، والقدرة أنفذ ، فإن البعوضة على صغرها خلقها الله على صورة الفيل على عظمته ، فخلقُ البعوضة أعظمُ في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والإعتبار ، ولهذا لم يصف الله نفسه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحق . ثم إن مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة فإن الحياء صفة يَسْري نفعها بمَن قامت به في أكثر الأشياء ولهذا قال : [الحياء خيرٌ كله] والحياءُ لا يأتي إلاّ بخير وهو : أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عرف منه بأنه فَعَله ، وقد علم المؤمن أن الله يعلم ويرى كلما يتحرك فيه العبد، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ولإيمانه بأنه لا بدّ أن يقرره يوم القيامة على ما عَمله فيُخْجِله فيؤديه ذلك إلى ترك ما يخجل فيه وذلك هو الحياء ، فمن هنا لا يأتي إلاّ بخير ، والله أحقُّ أن يستحيا منه .

وصية :

وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها من الدين، خَرّج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : [الدين النَّصِيْحَة] قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : [لله ولرسوله ولأئمةِ المسلمين وعامّتهم] . واعلم أن النصاح : الخيطُ ،

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦ .

والمنصحة : الإبرة ، والناصح : الخائط ، والخائط هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو ما كان فينتفع به بتأليفه إياه ، وما ألّفه إلاّ بنصحه ، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله ، وبين الله ، وبين خلقه وهو قوله : [النصيحة لله] وفيه تنبيه في الشفاعة عند لله إذا رأى العبدُ الناصح أن الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته فيقول لله : يا رب إنك ندبت إلى العفو عبادَك ، وجعلتَ ذلك من مكارم الأخلاق ، وإنه أولى من جزاء المسيء بما يسوءه وذكرتَ للعبد أن أجر العافين عن الناس فيما أساؤا إليهم فيه مما توجهتْ عليهم به الحقوق على الله ، فأنت أحق بهذه الصفة لِما أنت عليه من الجود والكرم والإمتنان ولا مُكره لك ، فأنت أهل العفو والتكرم بالتجاوز عن هذا العبد المسيء المتعدي حدودَك عن إساءته وإسبالِ ذيل الكرم عليه . واتصافُ الحق بالجود والعفوِ عن الجاني أعظمُ من المؤاخذة على الإساءة ، فإن المؤاخذة والعقوبة جزاء ، وما في الجزاء على الشر فضل ، إلاّ إذا كان في الدنيا لما في إقامة الحدود من دفع المضرة العامة ، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس مثل قوله عز وجل : ﴿وَلَكُم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب﴾(١) وأما في الآخرة فما ثمّ ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا ، فكان العبد إذا قال هذا يوم القيامة ، أو حيث قاله لله بطريق الشفاعة كأنه ناصح للمقام الإلهي في أن يثنى عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطوْل والفضل ، فإنّ في ذلك عينَ الإمتنان ، فهذا معنى قوله : [الدينُ النصيحةُ لله] أي في حق الله فإنه يسعى في أن يثنى على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسناً ، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت أنه لا شيء أحبُّ إلى الله من أن يمدح ، فكما أنه مُدح في الدنيا بما نَصب من الحدود التي درأ بها المضارَّ عن عباده إذا أقامها أئمة المسلمين على المسيئين ، كذلك يُمدح بالعفو والتجاوز في

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

الدار الآخرة لأنه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نُصِبت من أجلها إقامةُ الحدود التي لا تمكن الشفاعة فيها ، كحدّ السارق والزاني ، وحقوقِ الله على الإطلاق ، وأما ما هو حقٌّ للعبد فإن الله قد ندب فيه إلى العفو والتجاوزِ كالعفو من ولي الدم ، أو قبول الديةِ فإن المظلوم هو المقتول ، وقد مات فالطالب قد تقدم كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعاً على مَن ظلمه ، فجعل الديةَ كالإحسان لولي الدم لعل ذلك الشاكيَ إذا بلغه إحسانهُ لذوي رِحمِه يسكت عنه ولا يطالبه عند الله الحكَم العدل بشيء من دمه .

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ففي زمانه إذا رأى منه الصاحبُ أمراً قد قرر خلافه ـ والإنسانُ صاحبُ غفلات ـ فينبه الصاحبُ رسولَ الله ﷺ على ذلك حتى يرى : هل فَعَله بالقصد فيكون حُكماً مشروعاً ، أو فعله عن نسيان فيرجع عنه ، فهذا من النصح لرسول الله ﷺ ، مثُل سهوهِ في الصلاة فالواجب عليه في الرباعية أن يصليها أربعاً فسلّم من إثنتين فقيل له في ذلك ، فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع وأتمّ صلاته وسجد سجدتي السهو . وكان ما قد رُوي في ذلك وأمثالِ هذا ، ولهذا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يُوحَ إليه فيه ، فإذا شاورهم تعيّن عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه على قدْر علمهم وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنه مصلحة فينصحونه في ذلك ، كنزوله يوم بدر على غير ماء فنصحوه وأمروه أن يكون الماءُ في حَيِّزِه ﷺ ففعل وَنصَحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتل أُسارى بدر حين أشار بذلك ، وأما بعد رسول الله ﷺ فلم تبق له نصيحة ، ولكن إن كانت هذه اللّام لامَ الأجلية بقيتِ النصيحة . فهذا قد بينا في نصيحة رسول الله ﷺ أن المشير الناصح قد جمع بين حديث رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة ، كما يجمع الناصحُ الذي هو الخائط بالخياطة بين قطعة الكم والبدن في الثوب .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهم ولاة الأمور منا القائمون بمصالح عباده ، والحكامُ وأهلُ الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمة

المسلمين أيضاً ، فإن كان الحاكم عالماً كان ، وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل مَن يعلم عن الحكم فيها فيتعيّن على المفتي أن ينصح ويفتيَه بما يراه أنه حق عنده ويذكر له دليله على ما أفتاه به فيخلصه عند الله ، فهذه هي النصيحة لأئمة المسلمين . ولمّا لم تُفرض العصمة لأئمة المسلمين ، وعُلم أنهم قد يخطئون ويتبعون أهواءهم في عباد الله تعيّن على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمة المسلمين ويردوهم عن إتباع أهوائهم في الناس فيؤلفون بينهم وبين ما هو الدين عليه . فمثل هذا هو النصح لأئمة المسلمين فيعود على الناس نفع ذلك .

وأما النصيحة لعامتهم فمعلومة وهي أن يشير عليهم بمالهم فيه المصلحةُ التي لا تَضرهم في دينهم ولا دنياهم ، فإن كان ولا بد من ضررٍ يقوم من ذلك إما في الدين أو الدنيا فيرجّحون في النصيحة ضررَ الدنيا على ضررَ الدين فيشيرون عليهم بما يَسْلم لهم فيه دينهم وإن أُضرّ بدنياهم، ومهما قَدَروا على دفع الضرر في الدين والدنيا جميعاً بوجهٍ من الوجوه وعرفوه تعين عليهم في الدنيا أن ينصحوه في ذلك ويبيّنوه ، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفقه الله إليه ، والذي أقول به : إن النصيحة تَعُمّ إذ هي عين الدين ، وهي صفة الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الذي يستبرىء لدينه ويطلب معاليّ الأُمور فيرى حيواناً قد أضرّ بِه العطش وهو يطلب الماء ، وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء فيتعين عليه أن يَردّه إلى طريق الماء ويسقيَه إن قَدَر على ذلك ، فهذا من النصيحة الدينية ، وكذلك لو رأى مَن ليس على مِلّة الإسلام يفعل فعلاً من سَفْسَاف الأخلاق تعيّن على الناصح أنْ يرده عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق ، وإن لم يقدر عليه تعيّن عليه أن يبين له عيبَ ذلك فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخصُ بماله في ذلك من الثناء الحسن ، وينتفع بتلك النصيحة مَن اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يضره ، وإن لم يكن مسلماً ذلك المدفوعُ عنه . فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقاً ، ولهذا يتعين على السلطان

أن يدعو عدوه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله فإن أجاب فَبِها ، وإلاّ دعاه إلى الجزية إن كان من أهل الكتاب . فإن أجاب ، وإلاّ دعاه إلى الصلح بما شرط عليه إن طلب العدوُ منه ذلك إبقاءً على المسلمين إن كانت المنفعةُ للمسلمين في ذلك ، فإن أبَوْا إلا القتالَ قاتَلَهم وأمر المسلمين بقتالهم على أن تكون كلمةُ الله هي العليا خاصةً ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، إلاّ أنه مَنِ التزم النصحَ قلَّ أولياؤهُ ، فإن الغالبَ على الناس إتباع الأهواء ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ : [ما تَرَكَ الحقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ] وكذلك قال أُوَيْس القَرَني [وإنّ قولك الحقَ لم يترك لك صديقاً] ولنا في ذلك :

لمّا التزمتُ النصحَ والتَّحْقِيقَا　　　لم يَترُكا لي في الوجودِ صَديقَا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة لأنه العلم العام الذي يَعُم جميع أحوال الناس ، وعلمِ زمانه ومكانه وما ثمّ إلا الحالُ والزمان والمكان ، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور ، فيكون ما يُصلِح الزمان يُفْسِد الحال أو المكان ، وكذلك لكل واحد منها فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده ، وذلك على قَدْر إيمانه ، مثال ذلك : أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحاله في أمرين هما صالحان في حق شخص ، وضاق الزمان عن فعلهما معاً فيعدل إلى أَوْلاهُما فيشيرُ به على المستشير ، وكذلك إذا عرف من حال شخص المخالفةَ واللَّجاج وأنه إذا دَلّه على أمرٍ فيه مصلحة يفعل بخلافة فمن النصيحة أنه لا ينصحه بل يشير عليه بخلاف ذلك إذا علم أن الأمر فيه محصور : بين أن يفعل ذلك ، أو هذا الذي فيه المصلحة ، وشأنهُ المخالفة وللّجاج ، فيشير عليه بفعل ما لا ينبغي فيخالفه فيفعل ما ينبغي ، والأولى عندي تركه . ولقد جرى لي مثلُ هذا مع أشخاص أظهرنا لهم أن في فعلهم ذلك الخيرَ الذي نريده منهم نكايَتَنا وهم يريدون نكايتنا ، فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم ، فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتُهم عنه أن يفعلوه نكايةً

لنا . فهذه نصيحة خفية لا يشعر بها كلُّ أحد ، وهذا يسمى علمَ السياسة فإنه يَسُوسُ بذلك النفوسَ الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها ، فلذلك قلنا : إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علمٍ كثير وعقلٍ وفكرٍ صحيح ورَوِيّة حسنةٍ واعتدالِ مزاج وتؤدةٍ ، وإن لم تكن فيه هذه الخصالُ كان الخطأ أسرعَ إليه من الإصابة ، وما في مكارم الأخلاق أدقُّ ولا أخفى ولا أعظمُ من النصيحة ، ولنا فيه جزء وسميناه كتابَ النصائح ذَكَرْنا فيه ما لا يُعَوَّل عليه وما يُعَوَّل عليه ، ولكن أكثره فيما لا يعول عليه مما يعوِّل الناس عليه ولكن لا يعلمون .

وصية :

وعليك بمراعاةِ حالك في الزمان بين الصلاتين ، وأنت لا تخلو أبداً أن تكون بين صلاتين ، فإن الأمر دَوْرٌ ، والزمان الذي بين الظهر والعصر زمانٌ بين صلاتين ، وكذلك بين العصر والمغرب ، وبين المغرب والعشاء ، وبين العشاء والصبح ، وبين الصبح والظهر ، ودار الدور وجاء الكَور ، وإذا خرج وقت صلاة دخل وقتُ صلاةٍ آخرى ، إلاّ صلاة الصبح فإنه لا يدخل وقت صلاة الظهر بخروج وقت صلاة الصبح بلا خلاف ، وكذلك العتمة والصبح بخلاف ، إلا أنه لا يدخل وقت الظهر إلاّ بعد خروج وقت الصبح لا بد من ذلك ، فلا يدخل وقت صلاة حتى يخرج وقت التي قبلها ، فالداخلة أبداً على إثْر الخارجة ، وقد يمتد إلى ما بعد طلوع الشمس وقتُ أداء الصبح إلى أن تزول الشمس فيدخل وقت الظهر ، وذلك أن الإنسان قد يصلي الركعة الأولى من الصبح بوجه مثلاً قبل طلوع الشمس ، ويقول الشارع فيه : إنه أدرك الصبح فتطلع الشمس عليه ، وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح فلو أطالها إلى حَدّ الزوال لجاز ، وذلك وقتُها وهو مؤدٍ لها فما خرج وقت صلاة الصبح في حق هذا المصلي حتى دخل وقت الظهر ، وهكذا في جميع الصلاة ، فإن أوقاتَ هذه الصلاة فيها خلاف بين العلماء فلهذا ذكرناها تنبيهاً

على أن فيها خلافاً فيجوز على هذا أن تكون صلاةٌ على إِثْر صلاة ، ولا لغو بينهما ، فقد جُعِل أن بين الصلاتين زماناً لا صلاة فيه ، ذلك الزمان هو زمان اللغو أو تركه ، وإنما قلنا : زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت : [صلاةٌ على إِثْر صلاةٍ لا لغوَ بينهما كتابٌ في عِلّيّين] ويدخل في هذا الحديث صلاةُ النافلة ، والنافلة بعد الفريضة ، والفريضة بعد النافلة ، والفريضة بعد الفريضة . واللغوُ من الكلام : هو الساقط الذي لا دخول له في كفة الميزان وهو المباح ، فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلي الصلاةَ ثم يُتْبِعها بصلاة آخرى ولم يفعل بين هاتين الصلاتين - في الزمان الذي لا يكون فيه مصلياً - فعلاً مباحاً من قولٍ وعملٍ بل كان مشتغلاً بما يَدخل الميزانَ من أمرٍ مندوبٍ إليه من ذكرٍ أو غيرِ ذكرٍ ثم يصلي الصلاةَ الأخرى فإن ذلك كتابٌ في عليين ، بأنه لم يفعل بين الصلاتين لغواً أصلاً . وهذا عزيز الوقوع فإن أحدَ أحوال الناس اليوم مَن يتصرف في المباح فلا عليه ولا له ، والغالب من أحوال الناس التصرفُ في المكروه والمحظور ، فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين ، وما رأيتُ أحداً نبّه عليه إلاّ إن كان وما وصل إلينا إلاّ رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك .

وصيـة :

وعليك بالصلاة المكتوبة حينُ ينادَى بها مع الجماعة ، فإن المساجد ما اتخِذت إلاّ لإقامة الصلاة المكتوبة فيها ، وما ينادى إلاّ إلى الإتيان إليها ، فإن ذلك سنة رسول الله ﷺ . والمراد بذلك : الإجتماعُ على إقامة الدين وأن لا يتفرق فيه ، ولهذا إختلفت الناس في صلاة الفذ المكتوبة إذا قدر على الجماعة هل تجزيه أم لا ؟ ، ومن ترك سنة رسول الله ﷺ ضَلّ بلا شك لأنه ﷺ ما سَنّ إلاّ ما هو المَهْداة ، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون ؟ ، فحافظ على المكتوبة في الجماعات ، والأرضُ كلُّها مسجد فحيثما قامتِ الجماعة من الأرض فما قامت إلاّ في مسجد ، ولهذا ينبغي لمن

صلى في جماعة في مسجدِ بيته أن يُؤَذِّن لهـا وإن كانت الإقـامة أذانـاً ، وإنما سميت إقامةً لقيـام المصلي إلى الصلاة عنـد هذا الأذان الخـاص ، فَفُرّقَ في الأذان الثـاني بين الأذانين باسم الإقـامة . والاذان معنـاه : الإعـلام ، وأبقَـوْا إسم الأذان على الأول المُعْلم بدخول الوقت ، فالأذان الأول للإعلام بدخول الوقت ، والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصـلاة فزاد على الأذان بقوله [قد قامت الصلاة] .

وصيـة :

وعليـك بالمحـافظة على صـلاة الأوابِيْن ، وهي : الصلاة في الأوقـات المغفـولِ عنها في العـامة ، وهي : مـا بين الضحى إلى الإستواء ، ومـا بين الظهر والعصر ، وما بين المغرب والعشاء الأخيـر ، وعلى التهجد وهـو : أن ينـام من أول الليل بعـد صـلاةِ العشـاء الأخيـرة ، ثم يقـومَ إلى الصـلاة ، ثم ينـامَ ، ثم يقومَ إلى الصـلاة إلى أن يطلع الفجـر ، فـإذا طلع الفجـر فـاركـع ركعتي الفجـر ، ثم إضطجـع على شِقّـك الأيمنِ من غيـر نـومٍ ، ثمّ قُم إلى الصلاة الصبح . واجعل وتْرك ثلاث عشرةَ ركعةً في تهجدك ، فـإن هذا كـان وترَ رسولِ الله ﷺ وأطـلِ الركعتين الأوليين من التهجـد ، ثم اللتين بعدهمـا أقلّ منهما في الطول ، هكذا تنْقُص من طول المتأخـرة إلى أن توتـر بركعـة ، والركعةُ الأولى من كـل ركعتين على قَدْر الثـانية من اللتين قبلهمـا ، والركعـةُ الثـانية من كـل ركعتين على النصف من الركعـة الأولى منهما ، ذلـك إلى أن توتر بركعة واحدة إن شئت أن لا تجلس إلا في آخر ركعـة من وِتْرِ صـلاتك ، وهي الإحدى عشرَ ، وإن شئتَ جلستَ في كـل ركعتين ولا تسلّم إلا في آخر ركعـة مفردةٍ ، وإن شئتَ خمّستَ وسبّعت وتسّعْتَ ، كـلٌّ ذلـك مبـاحٌ لـك . واجتنب أن تُشبه وِتْرَك بصـلاةِ المغرب ، وقـد ورد في النهي عن ذلك خبـرٌ . وكـذلك في الـركعة الـواحدة وتسمى البتيـراءَ ، فاجتنب مـواقـعَ الخـلاف مـا استطعتَ ، واهرُب إلى محـل الإجماع ، مـع أنه ثبت أنـه إن أوتر بثـلاث فلا

يجلس إلاّ في آخرها ، ويسلم حتى يَفِرّ من الشّبَه بينها وبين المغرب ، وإذا قمتَ إلى الصلاة بالليل وتوضأتَ فاركع ركعتين خفيفتين ، ثم بعدهما إشرع في صلاة الليل كما وسّعتُ لك ، وعند قيامِك للتهجد إمسحْ عينيك من النوم بيديك ، ثم أتلُ : ﴿إنّ في خَلْق السمواتِ والأرض واخْتِلافِ الليل والنّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب﴾[1] الآياتِ بكمالها ، ثم قم فتوضأ واستفتحْ صلاتك بركعتين خفيفتين ، ثم إشرع في قيام الليل على ما وصفتُه لك في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره فانظره في ، وانظر إعتباره إن شاء الله . وقد ثبت أنّ صلاة الأوابين حينَ تَرْمَضُ الفصال[2] ، واجتنب الصلاةَ عند الإستواء ، وبعدَ العصر حتى تغْرُب الشمس ، وبعد الصبح حتى تَطْلُع الشمس ، وحافظْ على الصلاة في جماعة فإنها تَزيد على صلاة الفَذّ بسبع وعشرين درجة ، وحافظ على أربع ركعاتٍ في أول النهار عند الإشراق كما قال : ﴿يسَبّحْنَ بالعَشِيّ والإشْراق﴾[3] والسُّبحة : صلاة النافلة ، يقول عبدُ الله بن عمر (وهو عربي) في النافلة في السفر : لو كنتُ مسبحاً أتممتُ . ثم صلاةِ الضحى ثمانِ ركَعاتٍ بعد صلاة الإشراق ، ثم أربعِ ركعاتٍ قبل الظهر وبعد الزوال ، ثم أربعِ ركعات بعد صلاة الظهر ، ثم أربع ركعات قبل صلاة العصر ، ثم ستِ ركعات بعد المغرب ، ثم ثلاثَ عشرةَ ركعة وترك من الليل فيها ركعتا الفجر ، وتبقى إحدى عشرةَ ركعة هي صلاة الليل . هذا لا بدّ منه لمن يريد إتّباع السنة والإقتداء ، وفي رواية : ركعتين قبل المغرب ، ثم إن زدت على هذا فأنت وذاك ، فإن الصلاة خيرُ موضوع ، فمن شاء فَلْيَسْتقلِل ،

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩٠ .

(٢) الرمض : (بفتحتين) شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، وفي الحديث (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى) أي إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضاء تكون صلاة الضحى .

والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه . والجمع فصال . ا هـ مختار الصحاح .

(٣) سورة ص ؛ الآية : ١٨ .

ومن شاء فليَستكِثر فإنه يناجي ربه ، والحديثُ مع الله والإستكثارُ منه أشرف الأحوال ، وأما الوصية بالصدقةِ والصومِ فقد تقدم في باب الزكاة وباب الصوم وكذلك الحجُ من هذا الكتاب .

وصية :

وعليك بالورع في النطق كما تتورعُ في المأكل والمشربِ . والورع عبارة عن إجتناب الحرام والشبهات ، أما الشبهةُ فما حاك في صدرك ، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [الإثمُ ما حاكَ في صَدْرِك] قال بعض العلماء من أهلِ الله : ما رأيتُ أسهلَ عليّ من الورعِ ، كلّما حاكَ لي في نفسي شيءٌ تركتُه . وقد ورد في الخبر [دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يريبك] وورد أيضا [أستَفْتِ قلبَك وإن أفتاك المفتون] يعني بالحِل ، وتجدُ أنت في نفسك وقفةً في ذلك فأجتنبه ، فهو أولى بك ولا تُحرّمه .

وعليك بالهدي الصالح وهو : هديُ الأنبياء ، وهو : إتباع آثارهم الذي أُمِر رسول الله ﷺ بإتّباعهم في قوله : ﴿أولئِك الذينَ هدى الله فبِهُداهُم اقتَده﴾[1] وكذلك السمتُ الصالح والإقتصادُ في أمورك كلها ، فإنّ النبي ﷺ قد ثبتَ عنه أن الهديَ الصالحَ والسمتَ الصالح والإقتصادَ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة ، وَتحَفّظْ من العجلة إلاّ في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها والمسارعة إليها ، مثلُ الصلاةِ لأول ميقاتها ، وأكرامُ الضيف ، وتجهيز الميت ، والبكر إذا أدركت ، بل وكلُّ عمل للآخرة فالمسارعةُ إليه أولى من التؤدة فيه، واجعل التسويفَ والتؤدةَ في أُمور الدنيا ، فإنه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه بل تفرح بفوته ، وما فاتك من أُمور الآخرة فإنك تندم عليه ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [التُّؤدةُ في كل شيء

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩ .

إلّا في عملِ الآخرة] وقد ذكر مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال للأشَجّ ـ أشج عبدِ القيس : [إنّ فيـك لخصلتين يُحبُّهمَا الله ورسـوله] قـال : وما همـا يا رسـول الله ؟ قـال [الحلُم والأنـاة] أرادَ الحلمَ عمن جنى عليـك ، والأنـاةَ في أمـور الـدنيا وأغـراض النفس . وإن كان لـك عائلة فكُـدَّ عليهم فإن السـاعيَ على الأرملة والمسكين كـالمجاهـد في سبيل الله ، وكن خيـرَ الـرعـاة في كـل مـا إسترعـاك الله فيـه على الإطـلاق فـالسلطان : راعٍ وكـلُّ راعٍ مسؤول عن رعيته : ما فعل فيهم ؟ هل إتقى الله فيهم أو لم يتق ؟ والرجلُ راعٍ على أهل بيته ، والمرأة راعيـةٌ على بيت زوجها وولـده ، والعبدُ راع على مـال سيده . ولا تَغْفُـل عن الصلاة على رسـول الله ﷺ إذا ذكرتـه أو ذُكِـر عنـدك تـأمنْ من البخل ، فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال : [البخيلُ مَنْ ذُكِرتُ عِنْدَه فلمْ يُصَلِّ عليّ] ولو لم يكن في ذلك إلّا إطلاق البخل عليك ـ وهو من أذم الصفـات وأرْداها ـ ومعنى البخيـل هنـا : بخلهُ على نفســه ، فـإنـه قـد ثبت فيمن صلّى على النبي ﷺ مـرةً صلى الله عليـه وسلم بهـا عشـراً ، فمن تـرك الصـلاة على النبي ﷺ فقد بَخِل على نفسه حيث حرمها صلاةَ الله عليه عشراً إذا صلى هـو مرةً واحدة فما زاد .

وصيـة :

الله الله أن تعود في شيء خرجتَ عنه لله تعالى ، ولا تعقِد مع الله عقداً ولا عهداً ثم تنقُضه بعد ذلك وتحُلّه ولا تفي بـه ، ولو تـركته لمـا هو خيـر منه فإن ذلك من خـاطر الشيـطان فافعله ، وافعـل الخيرَ الآخـر الذي أخـطره لك الشيطان حتى لا تفي بالأول ، فإنّ غرضه أن توصف بـوصف الذينَ ينقُضـون عهد الله من بعد ميثاقه .

وعليك بصلة الرحم فإنها شِجْنَة من الرحمن[١] ، وبها وقع النسب بيننـا

(١) الشجنة : (بكسر الشين وضمها) عروق الشجر المشتبكة .

وبين الله ، فمن وصل رحمه وصله الله ، ومن قطع رحمه قطعه الله ، وإذا إستشرت في أمرٍ فقد أمِنَك المستشير فلا تَخُنه ، فإن كان في نكاح فإن شئت أن تذكر ما تعرَفه فيمن سئلتَ عنه مما يكرهه لو سمعه ، فإن ذلك الذكر ليس بغِيْبة يتعلق بها ذم ، فإن كنت من أهل الورع الأشداء فيه ، ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر فلا تذكرْ ما تعرف فيه من القبيح ، وقل كلاماً مجملاً ، مثلُ أن تقول : ما تصلحُ لكم مصاهرتُه ، من غير تعيين ، ويكفي هذا القدر من الكلام ، فإن كنتَ تعلم من قرائن الأحوالِ أنّ هذا الأمر الذي تذمه به في نظرك لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه فما خُنتهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك فإنه ليس بقبيحٍ عندهم ، وهم مُقدِمون عليه ، وهذا موقوف على معرفةِ أحوال الناس . ومثلُ هذا الكلام في الأسانيد في حديثِ رسول الله ﷺ ، كان أحمدُ بن حنبل يقول ليحيى بن معين : تعالَ نغْتَب في الله - والمستشارُ مؤتمن وإياك والأكل والشربَ في أواني الذهب والفضة ، وإياك والجلوس على مائدةٍ يُدار عليها الخمر أو ما هو حرامٌ أصلاً ، واجتنب لباسَ الحرير والذهب إن كنت رجلاً وهو حلال للمرأة ، وإذا رأيت رؤيا تحْزِنُك واستيقظتَ فاتفُلْ عن يسارك ثلاثَ مرات وقل : أعوذ بالله من شَرّ ما رأيتُ ، وتَحوّلْ عن جنبك الذي كنتَ عليه في حال رؤياك إلي الجنب الآخر ، ولا تُحدث بما رأيتَ فإنها لا تضرك أصلاً ، وحافظْ على مِثل هذا تَرَ برهانه ، فإن كثيراً من الناس وإن إستعاذوا يتحدثون بما رأوه ، وقد ورد أنّ الرؤيا معلقةٌ بِرِجْل طائر ، فإذا قالها سقطت لما قيلت له .

وعليك باستعمال الطِّيْب فإنه سنة ، واستعمل منه - إن كنت ذَكَراً - ما ظهر ريحُه وخفي لونه ، وإن كنتَ إمرأةً فاستعمل منه ما ظهر لونه وخفي ريحه ، فإن الحديث النبوي بهذا ورد .

يقال : بيني وبينه شجنة رحم ، أي قرابة مشتبكة ، وفي الحديث «الرحم شجنة من الله تعالى» . أي إنها قرابة من الله تعالى مشتبكة كاشتباك العروق .

وعليك بالسواك لكل صلاة وعند كل وضوء ، وعند دخولك إلى بيتك ، فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب . وقد ورد [إن صلاةً بسواكَ تفضُل سبعينَ صلاةً بغير سواك] ذكره ابن زنجويه في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال . وإياك واليمينَ الغموس فإنها تغمس صاحبها في الإثم ، فإن الناس إختلفوا في كفارتها : فمنهم من ألحقها في الكفارة بالإيمان ، ومنهم من قال : إنها لا كفارةَ فيها ، وهي : اليمين التي تَقْطَع بها حقاً للغير وجب عليك ، وفي هذا فقه عجيب دقيق لمن نظر وتفقّه في وجوب الحق ، متى يكون ؟ وبأي صفة يكون ؟ وما منعني أن أبيّنه للناس إلاّ سداً للذريعة حتى لا يتأول فيه الجاهلُ فيتجاوزَ القدْر الذي نذكره فيقعَ في الإثم وهو لا يشعر ، فإن الفقهاء أغفلوا هذا الوجهَ الذي أومأنا إليه وما ذكروه . وإياك والمراء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث ، وهو : الخوض فيه بأنه مُحْدث ، أو قديم ، أو هل هو هذا المكتوب في المصاحف ، والمتلو المتلفظُ به عين كلام الله ، أو ما هو عين كلام الله ، فالكلام في مثل هذا ، والخوضُ فيه هو الخوض في آيات الله ، وهذا هو المراء والجدال في القرآن الداخل في قوله تعالى : ﴿وإذا رأيتَ الذين يَخُوضُون في آياتنا فاعْرض عنهم حتى يَخُوضوا في حديثٍ غيره﴾(١) فسماه حديثاً وليس إلاّ القرآن ، فلو أراد آياتِ غيرِ القرآن لقال فيها بضمير الآية أو الآيات ، للذُّكورية هنا دخولُ إلاّ إذا أراد آيات القرآن والقرآن خبر الله والخبر عين الحديث ، وقال تعالى : ﴿ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربِّهم محدث﴾(٢) ﴿إنا نَحنُ نَزّلنا الذكّر﴾(٣) والذكر الحديث .

وصيـة :

أكْظُم التثاؤب ماستطعت فإنه من الشيطان ، وإياك أن تُصوّتَ فيه ،

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٢ .

(٣) سورة الحجر ؛ الآية : ٩ .

فإن ذلك صوتُ الشيطان ، والعطاس في الصلاة من الشيطان أيضاً ، وفي غير الصلاة العطاسُ ليس من الشيطان ، وإياك والطرق وهو : الضرب بالحصى ، قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ماتدري الضَّوارِبُ بالحصَى ولا زاجِراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وكذلك العيافةُ وهي : زجرُ الطير والطيرة . وعليك بالفأل ، والطيرة شرك ، وإياك والبصاقَ في المسجد فإن غفلتَ فادْفِنها فذلك كفارتها ، وإياك أن تستقبل القبلة ببصاقك ولا بخلائك ، ولا تستدبرها أيضاً ببولٍ ولا غائط فإن ذلك من آداب النبوة ، وإذا أردتَ أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده وزد المضمضة منه في الغَسِل بعده ، وعليك بالإحسان لمن ملكت يمينُك من جاريةٍ وغلام ، ولا تكلفهما فوق طاقتهما ، وإن كلفتهما فأعنهما فإنهما من إخوانكم ، وإنما الله ملّككم رقابَهم ، فالكلُّ بنو آدم فهم إخواننا ، فراعِ الله فيهم ، واعلم أنك مسؤول عنهم يوم القيامة ، وإذا عاقبت أحدهم على جنايةٍ فاعلم أن الله يومَ القيامة يوقف العبد وسيدَه بين يديه ويحاسبه على جنايته وعلى عقوبته على ذلك ، فإن خرجتْ رأساً برأس كان ، وإن كانت العقوبة أكثر من الجناية إقتَصّ للعبد من السيد فتحفّظ ولا تزدْ في العقوبة على ثلاثةِ أسواط ، فإن كثُرت فإلى عشرة ، ولا تزد إلاّ في إقامة حَدّ من حدود الله ، فذلك حد الله لا تتعداه ، فإن عفوت عن العبد في جنايته فهو أولى بك وأحوط لك ، وإذا جئت إلى بيت قوم فاستأذن ثلاث مرات ، فإن أُذن لك وإلاّ فارجع ، ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يعرف بك ، فإنك إذا نظرت فقد دخلت ، وإنما جعل الإذن من أجْل البصر قال الله تعالى : ﴿يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تدخُلوا بيوتاً غيرَ بُيُوتِكم حتى تُسْتأنِسوا وتُسَلِّموا﴾[1] وقال : ﴿فلا تَدْخُلوها حتى يُؤْذَنَ لكم ، وإن قيل لكم إرْجعُوا فارجعوا﴾[2] وثبت في الحديث [الإستئذانُ ثلاثٌ : فإن أذِن لك وإلاّ فارجع] وإياك أن

---

(١) سورة النور ؛ الآية : ٢٧ .

(٢) سورة النور ؛ الآية : ٢٨ .

تتخذ الجرسَ في عنق دابتك ، فإن الملائكة تنفر منه ، وقد ورد بذلك الحديثُ النبوي . وكان بمكة رجل من أهل الكشف يقال له ابن الأسعد من أصحاب الشيخ أبي مدين صحبه ببجاية ، فكان يوماً بالطّواف وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس ، فنظر إليهم وإذا هم قد تركوا الطوافَ وخرجوا من المسجد سِراعاً ، فلم يَدْرِ ما سببُ ذلك حتى بقيتِ الكعبة ما عندها مَلك ، وإذا بالجمال بالأجراس في أعناقها قد دخلتْ المسجدَ بالرّوايا تسقي الناس ، فلما خرجوا رجعتِ الملائكة ، وقد ثبت أن الجرسَ مزاميرُ الشيطان .

والذي أوصيك به أن تحافظ على أنْ تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول : لا إله إلا الله سبعين ألفِ مرة فإن الله يُعتق رقبتك بها من النار ، أو رقبةَ مَنْ تقولُها عنه من الناس ، ورد في ذلك خبرٌ نبوي . ولقد أخبرني أبو العباس أحمدُ بنُ علي بنِ ميمون بنِ آب التوزري المعروف بالقسطلاني بمصر قال في هذا الأمر : إن الشيخ أبا الربيع الكفيفَ المالقيَّ كان على مائدةِ طعام ، وكان قد ذكرَ هذا الذكر وما وهبه لأحد ، وكان معهم على المائدة شابٌ صغير من أهل الكشف من الصالحين ، فعندما مَدّ يده إلى الطعام بكى ، فقال له الحاضرون : ما شأنك تبكي ؟ ، فقال : هذه جهنم أراها ، وأرى أمي فيها ، وامتنع من الطعام وأخذ في البكاء ، قال الشيخ أبو الربيع : فقلتُ في نفسي : اللهم إنك تعلم أني قد هَلّلْتَ هذه السبعين ألفاً ، وقد جعلتها عتقَ أمِّ هذا الصبي من النار ـ هذا كله في نفسي ـ فقال الصبي : الحمد لله أرى أمي قد خرجت من النار ، وما أدري ما سببُ خروجها ، وجعل الصبي يبتهجُ سروراً . وأكل مع الجماعة ، قال أبو الربيع : فصحّ عندي هذا الخبر النبوي ، وصحّ عندي كشفُ هذا الصبي الذي كان يزعم . وقد عملت أنا على هذا الحديث ورأيتُ له بركة في زوجتي لمّا ماتت .

وعليك بإصلاح ذات البين وهو : الفراق فإن الإصلاح بين الناس من الخير المعيّن في الكتاب ، وإذا كان الله قد رغب بل أمر مَنْ أمر من المسلمين إذا جنح الكفار إلى السّلم أن يجنحوا لها ، فأحرى الصلحُ بين

المتهاجرين من المسلمين . وإياك وإفسادَ ذاتِ البين فإنها الحالقة ، والبين هنا : هو الوصل ، ومعنى قول النبي ﷺ [الحالقة] أنها تَحْلق الحسناتِ كما يحلق الحلاقُ الشعر من الرأس ، قال الله تعالى ﴿لقد تقطّع بيْنُكم﴾[1] بالرفع يعني الوصل ، والبين في اللسان من الأضداد كالجوْن[2] . يا وليّ أطعم عبدَك مما تأكل وألبسه مما تلبس ، وراعِ قدْره وانظر فيما ثبت فيهم من رسول الله ﷺ بقوله : [إخوانكم خوَلُكم[3] جعلهم الله تحتَ أيديكم ، فمن كان أخوه تحتَ يدِه فليُطعِمه مِمّا يأكل ، ولْيُلْبِسْه مما يَلبس] واغتنم صحة البدن والفراغ من شُغل الدنيا ، واستغن بهاتين النعمتين اللتين أنعم الله عليك بهما على طاعة الله ، فإنه ما أَصَحّ بدنك ولا فرّغك من هموم الدنيا إلاّ لطاعته والقيام بحدوده ، وإلاّ كانت الحجّة عليك لله ، فاحذر أن يكون الله خصمك ، ولتقل في كل يوم عند كل صباح مائة مرة سبحان الله وبحمده الله العظيم فإن هذا الذكر لا يبقي عليك ذنباً .

وصية :

وعليك بحفظِ جوارحك فإنه من أرسل جوارحَه أتعبَ قلبه ، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحةٍ حتى يُرسل جوارحه ، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبُه بها ، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدِر هذا الناظرُ على الوصول إليها ، فلا يزال في تعبٍ من حُبّها يسهر الليلَ ولا يهنأ له عيش ، هذا إذا كان حلالاً ، فكيف به إن كان أرسله فيما لا يَحل له النظر إليه ؟ فلهذا أمرنا بتقييد الجوارح فإن زنى العيون : النظرُ ، وزنى اللسان : النطقُ بما حُرّم عليه ، وزنى الأذن : الإستماع إلى ما حُجر عليه ، وزنى اليد : اللمس ، وزنى الرِجل : السعي ، وكل جارحة تصرفتْ فيما حرم عليها التصرف فيه فذلك التصرف منها على هذا الوجه الحرام هو زناها ،

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩٤ .

(٢) الجون : الأبيض والأسود .

(٣) خول الرجل : حشمه . وهو إسم يقع على العبد والأمة . اهـ مختار الصحاح .

فاللسان يقول : هو الذي أوردني الموارد المهلكة . وقال ﷺ : (وهَل يكُبّ النـاسَ على مناخـرهم في النار إلاّ حصـائدُ ألسنتِهم) قـال الله تعالى : ﴿يـومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجُلهم بما كانوا يعملون﴾(١) يعني بها فتقول اليـد : بطش بي في كـذا ، يعني في غير حق فيمـا حَرمُ عليـه البطش فيـه ، وتقول الرِجل كذلك واللسانُ والبصـرُ وجميع الجـوارح كذلـك : ﴿إنّ السمْع والبصر والفؤادَ كلُّ أولئـك كان عنـه مسؤولاً﴾(٢) خرّج مسلم عن محمـد بن أبي عمر عن سفيانَ عن سهيل بن أبي صالـح عن أبيه عن أبي هـريرة قـال : قالوا يا رسول الله : [هل نرى ربّنا يوم القيـامة] قـال رسول الله ﷺ : [والـذي نفسي بيـده لا تُضـارُّون في رؤيـة ربّكم فيلقى العبـدَ فيقـول : ألم أكـرِمـك وأسوِّدْك وأزوجْك واسخرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذرْكَ ترأسُ وتربع] ؟ فيقول (بلى يـا رب) فيقـول : [أفـظَنَنْتَ أنـك مـلاقيّ] ؟ فيقـول : آمنتُ بـك وبكتـابـك وبـرسلك وصليتُ وصمت وتصدقت ويثني بخيـر ما استـطاع فيقـول : [ههنـا إذنْ] قال : ثم يقال له : [الآن نبعثُ شاهداً عليك] ويتفكر في نفسه : مَنْ ذا الـذي يشهد عليّ ؟ فيختم على فِيْـه ويقـال لفَخِـذه : [أنـطق] فتنـطق فخـذه ولحمه وعظامـه بعمله ، وذلك ليُعْـذِر من نفسِه وذلـك المنافق ، وذلـك الذي سخط الله عليه . وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا : [إن السـاعـة لا تقوم حتى تُكَلّم الرجلَ بما فعـل أهلُه : فخذُه وعـذبةُ سـوطه] ، وقـد قيل في التفسيـر : إن الميت الذي أحيـاه الله في بني إسرائيـل في حـديث البقـرة في قوله : ﴿إضْـربوه ببعضِهـا﴾(٣) قال ضُـرب بفخذهـا ، وإن الله ما عيّن ذلـك البعض ، فـاتفق أن ضربـوه بالفخـذ . فاحـذر يا أخي يـومَ تشهد فيـه عليـك الجلودُ والجوارحُ وأنصف من نفسك ، وعاملْ جـوارَحك بمـا تشكرك بـه عند الله . ولقد رأينا ذلك عِياناً في الدنيـا في زمان الأحـوال التي كنا فيهـا ـ أعني نـطق الجـوارح ـ إذا أراد العبـد أن يصـرفهـا فيما لا يجـوز شـرعـاً تقـول لــه

(١) سورة النور ؛ الآية : ٢٤ .
(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ٣٦ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٧٣ .

الجارحة : يا هذا لا تفعل ، لا تجبرني على فعل ما حُجر عليك فعلُه ، فإني شهيد عليك يوم القيامة فاجعلني شاهداً لك لا عليك ، واصحبني بالمعروف ، وهو في غفلة لا يسمع ، فإذا وقع منه الفعل تقول الجارحة : يا رب قد نهيتُه فلم يسمع ، اللهم إني أبرأ إليك مما وصل إليه من مخالفتك بي . وعلى كل حال فإرسالُ الجوارح يؤدي إلى تعب القلب ، فإن الله خلقك لك واصطفى منك لنفسه قلبَك ، وذكر أنه يسعُه إذا كان مؤمناً تقياً ذا وَرَع فإذا إشغلتَه بما تصرفت فيه جوارحك كنتَ ممن غضب الحقُّ عليه فيما ذَكَر أنه له منك . وأيُّ ظلمٍ أعظمُ من ظلم الحق ، فلا تجعل الحقَ خصمك فإن لله الحجّةَ البالغَة كما ذكر عن نفسه ، وبكل وجه أشهدني الله حجتَه على خلقه ، كيف تقوم وذلك في أن العلم يتبع المعلوم إن فهمتَ ، فأكثرُ من هذا التصريح ما يكون .

وصيـة :

وعليك بالأذان لكلِ صلاةٍ ، أو تقول ما يقول المؤذن إذا أذّن ، وإذا أذنتَ فارفعَ صوتك فإن المؤذن يَشهدُ له يوم القيامة مدى صوته من رطْب ويابسٍ ، ولو علم الإنسان ما له في الأذان ما تركه ، قال ﷺ (لو يعلمُ الناسُ ما في النداء والصفِ الأول ، ثُمّ لم يجدوا إلاّ أن يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهْموا عليه ، ولو حَبْواً) فإن لم يؤذن وسمعَ الأذان فليقل مثلَ ما يقول المؤذن سواء ، وإن قال ذلك عند كلِ كلمة إذا فرغ المؤذن منها قالها هذا السامع بحضور وخشوعٍ . ولقد أذّنتُ يوماً فكلّما ذكرت كلمةً من الأذان كشف الله عن بصري ، فرأيت مالها مَدّ البصر من الخير فعاينت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذهِلوا لكل كلمة ، وقيل لي : هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان . وإنما إرتضينا ووصّينا أن يقول السامع مثلَ ما يقول المؤذن عند فراغ كل كلمة لما رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع ، عن إسماعيل بن محّمد بن جحادة يبلغ به النبيَّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [مَنْ قال لا إله إلاّ الله والله أكبر صَدّقه ربّه وقال : لا إله إلاّ أنا وأنا أكبر ، وإذا قال : لا إله إلاّ الله وحده ، يقول : لا إله إلاّ أنا وأنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلاّ الله وحده لا

شريك له ، قال الله : لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد ، قال الله : لا إله إلاّ أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله ، قال الله : لا إله إلاّ أنا ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بي] قال : وكان يقول : [مَنْ قالها في مرضه لم تَطعْمَه النار] ويكفي العاقلَ في الأمر بالأذان أمرُ النبي ﷺ مَنْ سَمِعَ المؤذنَ يُؤذن أن يقول مثلَ قوله فهو أذان فما رغبه فيه إلاّ وله أجره ، فإنه مُعلِّم لذلك نفسَه وذاكرٌ ربَّه كصورة الأذان ، فما أمره إلاّ بماله فيه خير كثير ، وليؤذن على أكمل الروايات وأكثرها ذكراً فإن الأجر يكثر بكثرة الذكر قال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكراتِ)﴾[1] وقال : ﴿إذْكُروا الله ذكرا كثيراً﴾[2] وقد ورد أنّ الإنسان إذا كان بأرضِ فلاةٍ فدخل الوقتُ وليس معه أحد قام فأذّن ، فإذا أذّن صلّى خلفه مِنَ الملائكة كأمثال الجبال ، ومن كانت جماعتُه مثلَ أولئك يُؤَمِّنون على دعائه كيف يشقى ؟ وإنما وصّينا بمثل هذا لغفلةِ الناس عن مثله ، فالعاقل مَنْ لا يغفل عن فعل ماله فيه الخير الباقي عند الله عز وجل ، فإن ذلك من رحمتك بنفسك فإن الله جعل رحمتك بنفسك أعظمَ من رحمتك بغيرك ، كما جعل أذاك نفسَك أعظمَ في الوزر من أذاك غيرَك ، قال في قاتل الغير إذا لم يُقْتَل به : أمرُه إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء أخذه . وقال في القاتل نفسَه : [حَرِّمتْ عليه الجنة] وقال النبي ﷺ : [الراحمون يَرحمُهم الرحمنُ] فَمَنْ رَحِم نفسه يسلكُ بها سبيل هداها ويحول بينها وبين هواها ، فرَحِمه الله رحمةً خاصة خارجةً عن الحدّ والمقدار ، فإنه رحم أقربَ جار إليه وهي نفسه ، ورحم صورةً خلقها الله على صورته ، فجمع بين الحُسْنَيَيْن : مراعاةِ قرب الجوار ، ومراعاةِ الصورة . وأيُّ جارٍ سوى نفسِه فهو أبعد منها ، ولذلك أمر الداعيَ إذا دعا أن يبدأ بنفسه أولاً مراعاةً لحقها ، والسر الآخر أن الداعي لغيره يحصل في نفسه إفتقارُ غيره إليه ، ويَذْهَل عن إفتقاره فربما يَدْخله زُهو وعُجْبٌ بنفسه لذلك ، وهو داءٌ

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤١ .

عظيم فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ بنفسه في الدعاء فتحصل له صفة الإفتقار في حق نفسه ، فتزيل عنه صفةُ الإفتقار صفةَ العجب والمنة على الغير ، وفي إثْرِ ذلك يدعو للغير على إفتقارٍ وطهارة ، فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء ، ثم يدعو لغيره ، وإنه أقرب إلى الإجابة ، لأنه أخلص في الإضطرار والعبودية . ومثلُ هذا النظر مغفول عنه لا أحدَ أعظمُ من الوالدين ولا أكبر بعد الرسل حقاً منهما على المؤمن ، ومع هذا أُمِرَ الداعي أن يُقدم في الدعاء نفسَه على والديه ، فقال نوح عليه السلام : ﴿رب إغفرْ لي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخل بَيْتي مؤمناً وَللمؤمنين والمؤمنات﴾[1] وقال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه : ﴿وَاجْنُبْني وَبَنيَّ أنْ نَعبُدَ الأصنامَ﴾[2] فبدأ بنفسه ثم ببنيه ، وقال : ﴿ربِّ أجعَلْني مُقيمَ الصلاةِ وَمِنْ ذُرِّيتي ، رَبَّنا وَتقَبَّلْ دعاء رَبَّنا إغفرْ لي وَلِوالِدَيَّ وللمؤمِنينَ يومَ يقُوم الحسابُ﴾[3] فبدأ بنفسه ، وقال : ﴿أُولئكَ الذين هَدى الله فبِهُداهُم اقْتَدِهْ﴾[4] .

وإنما أوصيتك بالأذان لما فيه عند الله من المنزلة يومَ القيامة ، فإن المؤذنين أطولُ الناسِ أعناقاً في ذلك اليوم يقول تمتدأعناقهم دون الناس لينظروا ما أثابهم الله به ، وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم ، هذا إن كان من الطول ، فإن كان من الطَول - الذي هو الفضل ، والعُنُق الجماعةُ - فهم أفضل الناس جماعةً ، ومَنْ رواه بكسر الهمزة منهم افضلهم سيراً لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان فإن المؤذن يحافظ على الأوقات فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة فإنّه مراعِ ذلك ، فبكلِ وجهٍ تأويلهم أطول الناس أعناقاً جماعةً وسيراً وامتدادَ عُنُقٍ لرؤية .

وصية :

وإن كنت والياً فاقضِ بالحق بين الناس ولا تتبعِ الهوى فيضلَّك عن

---

(١) سورة نوح ؛ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة ابراهيم ؛ الآية : ٣٥ .

(٣) سورة ابراهيم ؛ الآيتان : ٤٠ ، ٤١ .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩٠ .

سبيل الله ، إن الذين يَضلون عن سبيـل الله ـ وسبيلُ الله هـو ما شـرعه لعبـاده في كتبه وعلى ألسنةِ رسله ـ فـالذين يضلون عن سبيـل الله لهم عذاب شـديد بما نسُوا يوم الحساب ، يعني به ـ والله أعلم ـ يومَ الدنيا ، حيث لم يحـاسبوا نفوسَهم فيه ، فإن النسيانَ التركُ ، يقول رسـول الله ﷺ : ﴿حاسِبُـوا أنْفُسكم قبلَ أنْ تحاسبوا﴾ ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً بأشبيليـة سنة ستٍ وثمانين وخمسمئة . ويومُ الدنيا أيضاً هو يوم الدين أي يومُ الجزاء لما فيـه من إقامة الحـدود ، قال تعـالى : ﴿ظهر الفسـادُ في البرِ والبحـرِ﴾[1] وهو جـزاء ﴿بمـا كسبتْ أيدي النـاسِ ليُـذِيـهم بعضَ الـذي عَمِلوا لَعَلَّهم يَـرجِـعُـون﴾ وهذا عينُ الجزاء ، وهو أحسنُ في حق العبد المذنب من جزاء الآخـرة ، لأن جزاءَ الدنيا مُذَكِّر وهو يومُ عمل ، والمُذَكِّرُ فيه إذا رجع إلى الله قُبِلَ ، والآخرةُ ليست كذلك ، ولهذا قال في الدنيا : ﴿لَعَلَّهم يَـرْجعون﴾ إلى الله بـالتوبـة ، فيومُ الجزاء أيضاً يومُ الدنيا كما هو يـوم الآخرة ، وهـو في يوم الـدنيا أنفـعُ ، فاقضِ بالحق فإنّ الله تعالى قد قضى في الدنيا بالحقِ بما شرعه لعباده ، وفي الآخـرة بما قـال ، فإن القضـاة في الدنيـا ثلاثـة : واحدٌ في الجنـة وإثنان في النار .

والـذي أوصيك بـه إذا فتح الله عينَ بصيـرتِك ورَزَقَـكَ الرجـوعَ إليـه ، المسَمّى توبةً ، فانظر أيِّ حالةٍ أنت عليها من الخير لا تَـزُلْ عنها : فـإنْ كنتَ والياً اثْبُتْ على ولايتك ، وإن كنتَ عَـزَباً أثبت على ذلـك وإن كنت ذا زوجةٍ فـلا تُطَلّق ، وأثبت على ذلـك مع أهلك ، وأشـرعْ في العمل بتقـوى الله في الحالة التي أنت عليها من الخير كانت ما كـانت ، فإن لله في كـل حال بـابَ قربةٍ إليه تعالى ، فاقرعْ ذلك البابَ يفتـحْ لك ولا تَحْرِمْ نفسك خَيـرَة . وأقلُّ الأحوال أنك في الحال التي كنت عليها في زمـان مخالفتـك ، إذا ثَبتَّ عليها عند توبتك تَحمدُك تلك الحالةُ عند الله ، فإن فـارقتها كـانت عليكَ لا لـك ، فإنها ما رأتْ منك خيراً ، وهذا معنىً دقيقٌ لطيفٌ لا يتنبه له كلُّ أحـد ، فإنهـا

(١) سورة الروم ؛ الآية : ٤١ .

لا تشهـد لك إلاّ بمـارأته منـك ، فإذا رأتْ منـك خيراً شهـدت لك بـه ، ولا يفوتك ما ذكرتـهُ لك من نيـل ما فيهـا من الخير المشـروع ـ وأعني بذلـك كلَّ حـالٍ أنت عليهـا من المبـاحـات ـ فـإنَّ تـوبَتـك إنمـا كـان رجـوعَـكَ عن المخالفات . وإياك أن تتحرك بحركةٍ إلاّ وأنت تنـوي بها قـربةً إلى الله تعـالى حتى المباحِ ، إذا كنت في أمر مباحٍ فانوِ فيه القربةَ إلى الله من حيث إيمانُك به أنه مبـاحٌ ، ولذلـك أتيتَه فتؤجـرُ فيه على ذلـك ولا بدّ ، حتى المعصيـةُ إذا أتيتهـا أنوِ فيهـا أنها معصيـةٌ فتؤجر على الإيمـان بها أنهـا معصية ، ولـذلك لا تَخْلُص معصيةٌ لمؤمن أبداً من غيـر أن يُخالـطها عمـلٌ صالـح ـ وهو الإيمـانُ بكـونها معصيـةً ـ وُهُم الذين قـال الله فيهم : ﴿وَآخرُونَ إعتـرفُـوا بِـذُنـوبِهم خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾[1] فهذا معنى المخـالطة ، فـالعمل الصـالح هنا : الإيمانُ بالعمل الآخَـرِ السيء أنه سيءٌ و [عسى] من الله واجبـةٌ فيرجـعُ عليهم بالرحمـة فيغفُر لهم تلك المعصيـةَ بالإيمـان الذي خُلِطَ بهـا ، فَمُتعَلّقُ [عسى] هنا رجوعُه سبحانه عليهم بالرحمة ، لا لاجوعهم إليه ، فـإنه مـا ذكر لهم توبةً ، كما قال في موضع آخر : ﴿ثمّ تابَ عليهم ليتُـوبوا﴾[2] وهنـا جاء بحكم آخر ، ما فيه ذكرُ توبتهم بل فيه توبةُ الله تعالى عليهم .

والـذي أوصيك بـه أنك لا تَنْقُـلْ مجلساً ولا تبلّغ ذا سلطان حـديثـاً إلاّ خيراً ، خَرّج التـرمذي حـديثاً عن حـذيفة أو غيـره ـ أنا الشـاك ـ أنّ رجلاً مَـرّ عليـه ، فقيل لـه عنه : إن هـذا يبلغ الأمراءَ الحـديثَ فقال : سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول : [لا يدخلُ الجنةَ قَتّاتٌ] قال أبـو عيسى[3] : والقتاتُ النمـامُ . وإذا حدّثك إنسانٌ وتراه يلتفتُ يميناً وشمالاً يحذَر أن يسمع حديثه أحدٌ فاعلم أنّ ذلك الحديثَ أمانةٌ أودعك إياه ، فاحذر أن تخـونَه في أمـانته بـأن تُحدّثَ ذلك عند أحدٍ فتكونَ ممن أدّى الأمـانة إلى غيـر أهلها فتكـون من الظالمين ، وقد ثبتَ أنّ المجالسَ بالأمانة . وأما وصيتي لك أن لا تبلّغَ ذا سلطان حديثاً بشرٍ

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٢ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .
(٣) هو الترمذي مخرج الحديث السابق .

فإنّ نميمة قال الله تعالى في ذمه : ﴿مشاءٍ بنَميم﴾[1] ذمه بذلك .

ومن الوصايا :

الحذرَ الحذر من الطعن في الإنساب فلا تَحُل بين شخص وبين أبيه صاحبِ الفراش ، فإن ذلك كفر بنص الشارع ، وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء مثلِ الدعاء عند الأذان ، وعند الحرب ، وعند إفتتاح الصلاة ، فإن المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤالُ فيه من الله ، وأسبابُ القبول كثيرة ، وتنحصر في الزمان ، والمكان ، والحال ، ونفسِ الكلمة التي تذكر الله بها من الذكر حين تدعوه في مسألته ، فإنه إذا إقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء أجيب الدعاء ، وأقوى هذه الأربعة : الإسم ثم الحال . وعليك بمراعاة حقِ الله وحقِ الخلق إذا توجه لهم عليك حق ، فإن الله يؤتيك أجرك مرتين من حيث ما أديته من حقه ، ومن حيث ما أديت من حق مَنْ تعيّن عليك له حقٌ من خلق الله ، وإن كانت لك جارية فأدبتها وأحسنتَ أدبها فإن لك في ذلك أجراً عظيماً ، ثم إن أعتقتها فلك في العتق الأجرُ العظيم العام لذاتك ، فإن تزوجتَ بها فلك في ذلك أجر آخرُ أعظم من أنك لو تزوجت بغيرها ، وإذا رأيت غازياً فأعِنْه بطائفةٍ من مالك ، وكذلك المكاتب ، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمةَ دينه والعفافَ ، فإنك إذا فعلت ذلك وأعنتهم فإنك نائب الله في عونهم ، فإن عون هؤلاء حقٌّ على الله بنص الخبر ، فمن أعانهم فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم ، فيكون الله يتولى كرامته بنفسه ، فما دام المجاهد في سبيل الله مجاهداً بما أعنته عليه فإنك شريكه في الأجر ، ولا يَنْقصه شيء ، وكذلك إعانة الناكح حتى إنه لو وُلد له ولد وكان صالحاً فإن لك في ولده وفي عقبه أجراً وافراً تجده يوم القيامة عند الله وهو أعظمُ من المكاتب والمجاهد ، فإن النكاح أفضلُ نوافلِ الخيرات وأقربه نسبةً إلى الفضل الإلهي في إيجاده العالَم ، ويَعْظُم الأجر بعِظم النسب . واعلم أن الإنسان مجبولٌ على الفاقة والحاجة ، فهو مجبول

---

(١) سورة القلم ؛ الآية : ١١ .

على السؤال ، فإن رزقك الله يقيناً فلا تسأل إلاّ الله تعالى في طلب نفعٍ يعود عليك ، أو دفعِ ضررٍ نزل بك ، فإذا سألك أحد بالله لا بقرابة ولا بشيء غير الله عز وجل فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحدٌ إلاّ هو خاصةً ، فلا بدّ لك في مثل هذه الأعطية أن تُعَرِّفها له فإنه ينجبر في نفسه ما إنكسر منها عند سؤاله ، فإذا لم يعلم أن سؤاله نفعَ إنكسر ، فلا بد أن تجيبه إلى مسألته على علم منه ، فإن علمت بحاله من غير سؤال منه فمِثْلُ هذا تعمّلْ أن تعطيه مسألته بالحال من غير أن يعلم أنك أعطيته ، فإنه يخجل بلا شك ، ولا سيما إن كان من أهل المروآت والبيوت ، وممن لم تتقدم له عادةٌ بذلك ، وفرق بين الحالتين فإن الفرق بينهما دقيقٌ ، فإن السائل الأول يخجل إذا لم يعلم أنك أعطيته ، والثاني يخجل إذا علم أنك أعطيته ، والمقصودُ رفع الخجل عن صاحب الفاقة .

وعليك بذكر الله بين الغافلين عن الله بحيث لا يعلمون بك ، فتلك خلوةُ العارف بربه وهو كالمصلي بين النائمين . وإياك ومنعَ فضل الماء من ذي الحاجة إليه ، واحذر من المنّ في العطاء فإنّ المن في العطاء يُؤذن بجهل يُـؤذن بجهل المعطي من وجوه منها :

أولاً : رؤيته نفسه بأنه ربُّ النعمة التي أعطى ، والنعمة إنما هي لله خلقاً وإيجاداً .

والثاني : نسيانه مِنّةَ الله عليه فيما أعطاه وملّكه من نعمِه ، وأحوج هذا الآخر لما في يده .

والثالث : نسيانه أن الصدقةَ التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن لا بيد الآخذ .

والرابع : ما يعود عليه من الخير في ذلك فلنفسه أحسنَ ولنفسه سعى ، فكيف له بالمنة على ذلك الآخذ ؟ .

والخامس : أنه ما وصل إليه إلاّ ما هو له ، إذ كان له ذلك ، ومِنْ رِزْقِه

ما أوصله إليه فهو مؤدٍ أمانةٍ من حيث لا يشعر ، فجهله بهذه الأمور كلِّها جعله يمتنُّ بالعطاء على مَنْ أوصل إليه راحة وأبطل عمله ، فإن الله يقول : ﴿لا تُبطلوا صَدَقاتكم بالمنِّ والأذى﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿يمنّون عليك أن أسْلموا ، قلْ : لا تَمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يَمُنُّ عَلَيْكم أن هَداكم للإيمان إن كُنْتم صادِقين﴾[2] وإياك أن تتقدم قوماً وهم يكرهون تقَدُّمَك عليهم في صلاة . وفي غيرها ، غيرَ أن هنا دقيقةً وهي : أن تنظرَ ما يكرهون منك ، فإن كرهوا منك ما كره الشرعُ منك فهو ذاك ، وإن كرهوا منك ما أحبّه الشرع منك فلا تبالِ بكراهتهم ، فإنهم إذا كرهوا ما أحبّه الشرعُ فليسوا بمؤمنين ، وإذا لم يكونوا مؤمنين فلا مراعاةَ لهم ، ولْتتقدمْ عليهم شاؤا أو أبَوْا ، فمن ذلك الصلاة إذا كنت أقرأ القوم فأنت أحقُّ بالإمامة بهم ، أو ذا سلطان فإن الله قدّمك عليهم ، ومع هذا فينبغي للناصح نفسَه أن لا يتصف بصفة يُكره منها تقدمُه في أمر ديني ، وليسعَ في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما إستطاع .

وحافظْ على أداء الصلاة لأول ميقاتها ، ولا تؤخرْها حتى يخرج وقتها ، وإياك أن تتعبد حراً أو تسترقه بشبهةٍ ولا تَرَ أن لك فضلاً على أحدٍ ، فإن الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وتعبُّدُ الحرِ على نوعين : إما أن تأخذ من هو حر الأصل فتبيعَه ، وإما أن تعتق عبداً ولا تمكنّه من نفسه وتتصرفَ فيه تصرفَ السيد في عبده ، وليس لك ذلك إلاّ بإذنه أو إجارته ، فإني رأيتُ كثيراً من الناس مَنْ يُعتق المملوكَ ولا يمكّنُه من كتابِ عتقه ، ويستعبدُه مع حريته ، والسيدُ إذا أعتق عبده مَا لَهُ عليه حكمٌ إلاّ الوَلاء ، فإذا أعتقتَ عبداً فلا تستخدمْه إلاّ كما تستخدم الحُرَّ : إمّا برضاه ، وإمّا بالإجارة كالحر سواء فإنه حر ، ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيدُ الشديد فيمن تَعَبّدَ محرَّرَه ، وفيمن إعتَبد حراً ، وفيمن باع حراً فأكل ثمنَه ، والذي أوصيك به إذا إستأجرت أجيراً واستوفيتَ منه فأعطه حقَه ولا تؤخره .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٤ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٧ .

وصيــة :

إذا كنت جنباً ولم تغتسل فتوضأ إن كـان لك مـاء ، وإلاّ فتيمم ، وإذا أردت أن تعــاود فتـوضـــأ بينهمـا وضـــوءاً ، أو إذا أردتَ أن تنـام وأنتَ جنب فتـوضأ ، وإن لم تكن جنبـاً فلا تنم إلاّ على طهـارة ، وإن أردت أن تأكـل أو تشرب وأنت جنب فتوضأ ، وإياك والتَّضَمّـخ بالخَلُوق فـإن الله لا يقبل صـلاةَ أحـدٍ وعلى جسده شـيء من خَلُوق ، وثبت أن المـلائكة لا تقـربه ولا تَقْـربَ الجنبَ إلاّ أن يتوضأ ، كما أنه قد ثبت أنّ الملائكـة لا تقربُ جيفـةَ الكافـرِ ، فإياك أن تُنْزِل نفسك بتـركِ الوضـوء في الجنابـة منزلـةَ جيفة الكـافر في بُعْـدِ المَلَك منه ، فإنهم المطهرون بشهادة الله في قوله تعالى : ﴿إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَـرِيْمٌ في كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّه إلاّ المُطَهَّرون﴾[1] يعني بالكتاب المكنون الذي هو صُحفٌ مكرمةٌ مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررَة . وإياك والغدرَ وهو : أن تعطيَ أحداً عهداً ثم تغدرُ به ، فإن رسولَ الله ﷺ قَبِلَ إسلامَ المغيرةِ وَمَـا قَبِلَ غدرتَه بصاحبه ، مع كونِ صاحبه كافراً ، فكيف حـالُ مَنْ يَغْدر بمؤمن ؟ فـإنّ الله تعالى قد أوعَدَ على ذلك الوعيدَ الشـديدَ ، وليس من مكـارم الأخلاق ولا مما أباحته الشريعة . وإياك وعقوقَ الوالدين إن أدركْتَهما ، فـأشقى الناس من أدرك أحدَ والديه ودخل النار قال سبحانه : ﴿فَـلا تَقُلْ لَهُمـا أف وَلاَ تَنْهَرْهُمـا وَقُـلْ لَهُما قَـوْلاً كَرِيمـاً واخْفِضْ لَهُما جَنَـاحَ الـذُّلِ مِنَ الـرَّحْمَـة ، وَقُـلْ ربِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيـاني صَغِيْـراً﴾[2] وقـال في الـوالـدين إذا كـانـا كـافـرَين ﴿وصاحِبْهُما في الدّنيا معروفاً﴾[3] وقال :﴿أن اشكُر لي ولِـوالدَيـك﴾[4]وارحم الأمّ وقدِّمها في الإحسان والبر على أبيك ، ثبت أن رجلاً قال لرسـول الله ﷺ مَنْ أبَرُّ ؟ قال له : [أمُّك] ، ثم قال له : مَنْ أبر ؟ قال [أمك] ثلاثَ مـرات ثم قال في الرابعة : مَنْ أبر ؟ قال له : [أمك ثم أباك] فقـدمَ الأم على الأب في

---

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ٧٩ .

(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سورة لقمان ؛ الآية : ١٥ .

(٤) سورة لقمان ؛ الآية : ١٤ .

البر وهو الإحسان ، كما قدّمَ الجارَ الأقرب على الأبعد ، ولكلٍ حق . وإن لم يكن لك أم وكانت لك خالة فبرَّها فإنها بمنزلة الأم ، فإن النبي ﷺ أوصى ببر الخالة ، يا أخي وما أوصيتُك في هذه الوصية بشيء إستبطنْته من نفسي ، فإني لا أحكم على الله بأمر في حقِ أحد ، فما أوصيتُك في هذه الوصية إلاّ بما أوصاك به الله تعالى أو رسوله ﷺ إما معيّناً فأذكره على التعيين ، وإما مجملاً فأفصّله لك ، غيرَ ذلك ما أقول به . وإياك يا أخي أن تزكي على الله أحداً ، فإن الله قد نهاك عن ذلك في قوله : ﴿فلا تُزكّوا أنفُسَكُم﴾ أي أمثالكم : ﴿هو أعلم بِمَنِ إتّقى﴾[1] ولكن قُلْ : أحْسِبه كذا أو أظنه كذا كما أمرك به رسولُ الله ﷺ قال (ولا أزكي على الله أحداً) فإنه مِن الأدب مع الله تعالى عدمُ التحكم عليه في خلقه إلاّ بتعريفه وإعلامه ، وما هذا من قوله : ﴿قدْ أفلَحَ مَنْ زَكّاها﴾[2] فإن ذلك تخليةُ النفس وتطهيرُها من مذام الأخلاق وإتيان مكارمها . واعلم أن الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً ، أدناها : إماطةُ الأذى عن الطريق ، وأعلاها : لا إله إلاّ الله ، وما بينهما هو على قسمين : عملٍ ، وترك أي مأمورٍ به ، ومنهيٍ عنه ، فالمنهي عنه هو الذي يتعلق به الترك وهو قوله : لا تفعل ، والمأمور به هو الذي يتعلق به العمل وهو قوله : إفعل : ﴿وَما آتاكم الرسولُ فَخُذوه وَما نَهاكم عَنْهُ فانتَهُوا﴾[3] وقال ﷺ : (ما نهيتُكم عنه فانتهوا) وأطلق ولم يقيد وقال في الأمر [وما أمرتكم به فافعلوا منه ما إستطعتم] فهذا من رحمته ﷺ بأمته ، وهو لا ينطق عن الهوى . فهذا من رحمة الله تعالى بعباده . وأمرهُ بما وجب به الإيمان على نوعين : فرضٍ ، ومندوبٍ ، والنهي على قسمين : نهي حظرٍ ، ونهيٍ كراهةٍ ، والفرضُ على نوعين : فرضٍ كفاية ، وفرضٍ عين ، وكذلك الواجبُ أقول : فيه واجبٌ موسع ، وواجب مضيق ، فالواجب الموسع موّسعٌ بالزمان ، وموسعٌ بالتخيير

---

(١) سورة النجم ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الشمس ؛ الآية : ٩ .

(٣) سورة الحشر ؛ الآية : ٧ .

وهو الواجب المخيّر مثلُ كفارةِ المتَمَتّع[1] ، فإتيانُ ما يؤتى من هذا كلّه ، وترك ما يترك من هذا كله هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد ، فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرضُ منه مِنْ عملٍ وتركٍ ، وأما غيرُ الفرض - كالمندوبات والمكروهات - فيكاد لا ينحصر عندَ حدٍّ ، فابحثْ عليها في الكتاب والسنة .

فمن شعب الإيمان : الشهادةُ بالتوحيد وبالرسالةِ ، والصلاةُ ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والوضوء ، والغُسْل من الجنابة ، والغُسل يوم الجمعة ، والصبر ، والشكر ، والورع ، والحياء ، والأمان ، والنصيحة ، وطاعة أولي الأمر ، والذكر ، وكفُّ الأذى ، وأداءُ الأمانة ، ونصرة المظلوم ، وترك الظلم ، وتركُ الإحتقار ، وترك الغيْبَة ، وترك النميمة ، وترك التجسس ، والإستئذان ، وغض البصر ، والإعتبار ، وسماع الأحسن من القول ، وأتباعُه ، والدفع بالتي هي أحسن ، وترك الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظُلم ، والكلمةُ الطيبة ، وحفظ الفرج ، وحفظ اللسان ، والتوبةُ ، والتوكل ، والخشوع ، وتركُ اللغو ، والإشتغالُ بما يعني وترك ما لا يعني ، وحفظ العهد ، والوفاء بالعُقود ، والتعاونُ على البر والتقوى ، وترك التعاون على الإثم والعدوان ، والتقوى ، والبر ، والقنوت ، والصدق ، وترك الكذب ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإصلاحُ ذات البين ، وترك إفساد ذات البين ، وخفضُ الجناح ، واللين ، وبر الوالدين ، وترك العقوق ، والدعاء ، والرحمة بالخلق ، وتوقيرُ الكبير ، ومعرفة شرفه ، ورحمةُ الصغير ، والقيامُ بحدود الله ، وترك دعوى الجاهلية ، فإن النبي ﷺ يقول :

---

(١) قال تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) أي من كان محرماً ، ثم مرض ، أو أصابه أذى برأسه فلبس ثيابه (ففدية من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين (أو نسك) وهو ذبح شاة (فإذا أمنتم ، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ، فما استيسر من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) سورة البقرة ؛ آية : ١٩٦ .

[دَعوها فإنها مُنْتِنة] والتوددُ إلى الخلق ، والحبُّ في الله ، والبغضُ في الله تعالى ، والتؤدة ، والحلم ، والعفاف ، والبذاذة ، وترك التدابر[1] ، وترك التحاسد ، وترك التباغض ، وترك التناجش[2] ، وترك شهادة الزور ، وترك قول الزور ، وتركُ الهمز واللمز[3] ، وشهود الجماعات ، وإفشاء السلام ، والتهادي ، وحسن الخلق ، والسمت الصالح ، وحسن العهد ، وحفظ السر ، والنكاح والإنكاح ، وحب الفال ، وحب أهل البيت ، وترك الطيرة ، وحب النساء ، وحب الطيب ، وحب الأنصار ، وتعظيم الشعائر ، وتعظيم حرمات الله ، وترك الغش ، وترك حمل السلاح على المؤمن ،وتجهيز الميت ، والصلاةُ على الجنائز ، وعيادة المريض ، وإماطة الأذى ، وأن تحب لكل مؤمن ما تحبُّ لنفسك ، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما ، وأن تكره أن تعود في الكفر ، وأن تؤمن بملائكة الله ، وكتبِه ، ورسله ، وبكل ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة ويأتي إن شاء الله من ذلك في هذه الوصية ما يذكرني الله به ويجريه على خاطري وقلبي ، ومَنْ تتبع كتابَ الله وحديثَ رسول الله ﷺ يجدُ ما ذكرناه وزيادةً مما لم نذكره ، وكلُّ ما ورد فله أوقاتٌ تخصه ، وأمكنة ومَحالّ وأحوال ، والجامعُ للخير كله في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه القربةَ إلى الله بذلك العمل أو الترك ، وإن فاتتك النيةُ فاتتك الخير كله ، فكثيرٌ ما بين تاركٍ بنية القربة إلى الله من حيث إن الله أمره بترك ذلك ، وبين تاركٍ له بغير هذه النية ، وكذلك في العمل : ﴿وَمَا أُمِروا إلاّ ليعبُدوا الله مخلصين﴾[4] والإخلاص هو : النية ، والعبادةُ عمل وترك ، والإخلاص مأمور به شرعاً .

وصية :

إذا كنتَ إمام قوم فدعوتَ فلا تَخُصّ نفسك بالدعاء دونهم ، فإنك إن

---

(١) أي التقاطع ـ وفي الحديث (لا تدابروا) أي : لا تقاطعوا . ا هـ مختار الصحاح .

(٢) النجش : أن تزيد في البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك ـ وفي الحديث (لا تناجشوا) ا هـ مختار الصحاح .

(٣) الهمز كاللمز وزناً ومعنى ـ والهامز والهماز : العياب . ا هـ مختار الصحاح .

(٤) سورة البينة ؛ الآية : ٥ .

فعلت ذلك فقد خُنْتَهم ، وفيه من مَذام الأخلاق تبخيلُ الحق ، وتحجيرُ الرحمة التي وسعتْ كلَّ شيء ، وإيثار نفسك على غيرك ، فإن الله ما مدح في القرآن إلاّ مَن آثر على نفسه ، سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأعراب يقول : [اللهم إرحمني ومحّمداً ولا ترحم معنا أحداً] فقال رسول الله ﷺ [لقد حَجّر هذا واسعاً] يريد قوله تعالى : ﴿ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيء﴾[1] والذي أوصيك به : إياك أن تصلي وأنت حاقن حتى تخفف ، وإذا حضر الطعامُ وأقيمت الصلاةُ فابدأ بالطعام ثم تصلي بعد ذلك إن كنت ممن يتناوله قبل الصلاة فحينئذٍ تفعل ذلك ، وأرغب في دعاءِ الوالدين ودعاء المسافر ، واتق دعوَة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ ، وعليك بالإستحداد وهو : حلق العانة ، وتقليمِ الأظافر ، ونتفِ الأبط ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي . وعليك بالعدل في أمورك كلها ، والمحافظةِ على عبادة الله ، وكسر الشهوتين ، وتعاهدِ المساجد للصلاة ، والبكاء من خشية الله ، والإعتصامِ بحبل الله ، وعليك بمحابِّ الله ومراضيه فاتّبعها ومنها : تعاهدُ المساجد ، وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحبُّ الصيام إلى الله وأفضله وأعدله وهو : صيامُ يومٍ وفِطْرُ يومٍ ، وقد ذكرنا ما يختص من الأسرار والفوائد بالصوم في باب الصوم من هذا الكتاب[2] ، وكذلك في الطهارة والصلاةِ والزكاةِ والحج فلتنظر هناك . وأحب الصلاة إلى الله تعالى بالليل صلاةُ داود كان ينام نصفَ الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وذلك هو التهجد . وإن كان لك ولد فَسَمّه عبدَ الله أو عبدَ الرحمن وكَنّهِ أبا محّمد أو كنه بأبي عبد الله أو بأبي عبد الرحمن ، وإذا عملت عملاً من الخير فداومْ عليه ، وإن قَلّ فهو أفضل ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، فإن في قطع العمل وعدم المداومة عليه قطعَ الوصل مع الله ، فإن العبد لا يعمل عملاً إلاّ بينة القربة إلى الله ، وحينئذ يكون عملاً مشروعاً

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٢) يعني كتاب الفتوحات .

فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله ، ومن أراد أنه لا يزال في حال قربة من الله دائماً فعليه بالحضور الدائم مع الله في جميع أفعاله وتروكه ، فلا يعمل عملاً إلاّ وهو به مؤمن بما لله فيه من الحِكَم ، ولا يترك عملاً إلاّ وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله ، فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كل نَفَس مع الله وهو الذي يحرّم ما حَرّم الله ويُحِلُّ ما أحل الله ويَكْره ما كره الله ويبيح ما أباح الله ، فهو مع الله في كل حال . واحذر من الإلحاد في آيات الله ، ومن الإلحاد في حَرَم الله إن كنت فيه ، والإلحادُ : الميلُ عن الحق شرعاً ولذلك قال : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلحادٍ﴾[1] فذكر الظلم . وعليك بأفضل الصدقات ، وأفضلُ الصدقات ما كان عن ظهر غنيٍّ ، أي تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتتصدق به وإن كنت محتاجاً إليه ، فإن الله مدح قوماً فقال : ﴿وَيُؤْثِرونَ على أنفسهم وَلَوْ كان بهم خَصَاصَة﴾[2] وذلك أنهم لم يؤثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى إستغنَوْا بالله ، فإن نزلتَ عن هذه الدرجة فلتكن صدقتُك بحيث أن لا تتبعَها نفسك فلتُغْنِ أولاً نفسك بأن تطعمها ، فإذا إستغنيتَ عن الفاضل فتصدقْ بالفضل ، فإنك ما تصدقت إلاّ بما إستغنيت عنه ، وتلك هي الصدقة عن ظهر غنى في حق هذا ، والأول أفضل . وعليك بصيام رجبَ وشعبان فإن قدرت على صومهما على التمام فافعل فإنه ورد [أفضلُ الصيام بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرم وهو رجب] وإنه يقال له : شهرُ الله ، وهذا الإسم له دون الأشهر كلها ، وكان رسول الله ﷺ يُكثر صيام شعبان يقول الراوي : ربما صامه كلَّه . وحافظ على صوم سَرَرِه[3] ، ولا يفوتنك إن فاتك صومه ، وأفطر السادس عشرَ من شعبان ولا بد ، حتى تخرج من الخلاف فإنه أولى ، فإن فطره جائز بلا خلاف ، وصومه فيه خلاف ، فإن رسول الله ﷺ قال ؛ [إذا إنتصف شعبان فأمسكوا عن الصوم] . وعليك بقول الحق في مجلس من يُخاف ويُرجى من

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٩ .

(٣) سرر الشهر ـ بفتحتين ـ آخر ليلة منه وكذا سراره بالفتح والكسر ا هـ مختار الصحاح .

الملوك ولا يَعْظم عندك على الحق شيء إلاّ ما أمرك الله بتعظيمه ، وعليك بعمل البر في يوم النحر فإنه أعظمُ الأيام عند الله ، ورد في ذلك خبر نبوي فأكثرْ فيه من ذكر الله ومن الصدقَةَ ، وكل فعل فيه لله رضىً وتَقْدِر عليه في هذا اليوم فلا تتخلف عنه فإنه أفضل من يوم عرفة ويوم عاشوراء ، وفيه خبر كما قلنا . أعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه حتى الحقَ أعطهِ حقَّه ، ولا تَرَ أن لك على أحد حقاً فتطلُبَه منه فأنصف من نفسك ولا تطلب النَّصفَ[1] من غيرك واقبل العذر ممن إعتذر إليك ، وإياك والإعتذارَ فإن فيه سوءَ الظن منك بمن إعتذرت إليه ، فإن علمت أنّ في إعتذارك إليه خيراً له وصلاحاً في دينه فاعتذر إليه في حقه من غير سوءِ ظنٍ به بل قضاءُ حقٍ له تعين عليك ، وأحق الحقوق حقُّ الله تعالى .

وصية :

وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود فإنك في أقرب قربة إلى الله لِما ثبت من قوله ﷺ : [أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء] ولا قربَ أقربُ من قربِ السجودِ ولا دعاءَ إلاّ في القرب من الله ، فإذا دعوتَ في السجود فادعُ في دوام الحال الذي أوجبَ لك القربَ المطلوبَ من الله فإنك تعلم أنه قريبٌ من خلقه ، وهو معهم أينما كانوا . والمطلوب أن يكون العبدُ قريباً من الله ، وأن يكون مع الله في أي شأن يكون الله فيه ، فإن الشؤون لله ، كالأحوال للخلق بل هي عين أحوال الخلق التي هم فيها . وعليك بصلة أهلِ وُدِّ أبيك بعد موته ، فإن ذلك من إبر البر ، ورد في الحديث : [إنّ من أبر البر أن يَصِلَ الرجلُ أهْلَ وُدِّ أبيه] وإن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وهو الإحسان إليهم والتوددُ بالإحسان والخدمة ، وبما تصل إليه يدك من الراحات ، والسعي في قضاء حوائجهم . وعليك بالتلطف بالأهل والقرابة ولا تعاملْ أحداً من خلق الله إلاّ بأحب المعاملة إليه ما لم تُسْخِطِ الله فإن أرضاه ما يُسخط الله فأرض الله ، وابدأ بالسلام على مَنْ

---

(١) النصف : بالكسر : الإنتصاف اهـ نهاية .

عرفت ومَنْ لم تعرف ، فإن عرفت مِن الذي تلقاه أنه يسلم عليك فاتركـه يبدأ بـالسلام ، ثم تـردُّ عليه فيحصـل لك أجـرُ الوجـوب ، فإن ردُّ السـلام واجب والإبتداء به مندوب إليه . وأحبُّ مـا يُتقرب بـه إلى الله إفترضـه على خلقه ، وإذا علمت من شخص أنه يكره سلامك عليـه وربما تؤديـه تلك الكراهـةُ إلى أنه لو سلمت عليه لم يَردُّ عليك السلام فـلا تسلم عليه إيثـاراً له على نفسـك وشفقـةً عليه ، فـإنك تحـول بينه وبين وقـوعه في المعصيـة إذا لم يردُّ عليـك السلام ، فإنه يترك أمرَ الله الواجبَ عليه ، ومن الإيمان الشفقـةُ على خلق الله فبهـذه النية إتـركِ السلامَ عليـه ، وإن علمت من دينه أنـه يردُّ السـلام عليـك فسلِّم عليه ، وإن كره ، واجهر بالسـلام عليه وابـدأه به ، فـإنك تُـدخل عليـه ثـواباً بـرد السلام وتُسقط من كـراهته فيـك بسلامـك عليه بقـدر إيمانـه ونفسِه الصـالحة إن كـان ممن جُبل على خُلُقٍ حسن . وعليـك بـالنـظر إلى من هـو دونَك في الدنيا ولا تنظر إلى أهلِ الثروة والإتساع خوفاً من الفتنة فـإن الدنيـا حُلْوةٌ خَضرةٌ محبوبـةٌ لكل نفس ، فـإن النعيم محبوبٌ للنفـوس طبعاً ، ولـولا النعيمُ الذي يجده الزاهد في زهده ما زهـد ، والطائـع في طاعتـه ما أطـاع ، فإن أخوف ما خافه رسولُ الله ﷺ علينا ما يُخـرج الله لنا من زهـرة الدنيـا قال الله تعالى لنبيه : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِـه أزواجاً منهم زهـرةَ الحياةِ الـدنيا لِنَفْتِنَهُمْ فيـه﴾[1] ثم حبب إليه رزقُ ربـه الـذي هـو خيـر وأبقى ، وهـو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هـو رزق ربه الـذي رزقه ، فـإنه تعـالى لا يتّهم في إعطائه الأصلحَ لعبده، فما أعـطاه إلاّ ما هـو خير في حقـه وأسعد عند الله وإن قلّ ، فـإنه ربمـا لو أعـطاه ما يتمنـاه العبد طغى وحـال بينه وبين سعـادته ، فـإن الدنيـا دارُ فتنة ، وإذا كـان لأحدٍ عنـدك دينٌ وقضيتـه فـأحسنِ القضـاءَ وزِنْه في الوزن وأرجـح تكنْ بهذا الفعـلِ من خيـر عبـادِ الله بـإخبـار رسـول الله ﷺ فهو من السـنـة وهو الكـرم الخفي اللاحق بصـدقةِ السـر ، فإن المعطى إياه لا يشعر بأنه صدقة ، وهو عند الله صدقة سر في علانية ، ويورث

---

(١) سورة طه ؛ الآية : ١٣١ .

ذلك محبةً ووداً في نفس الذي أعطيته ، وتُخْفي نعمتك عليه في ذلك ، ففي حسنِ القضاء فوائدُ جمة . وعليك يا أخي بالذبّ والدفعِ عن أخيك المؤمن من عِرْضه ونفسِه وماله ، وعن عشيرتك بما لا تأثَمُ به عند الله ، فلا تبرحْ من يدك ميزانُ مراعاةِ حقِ الله في جميع تصرفاتك ، ولا تتبعْ هواك في شيء يُسخط الله فإنك لا تجدُ صاحباً إلاّ الله ، فلا تُفَرّط في حقه ، وحقُه أحقُ الحقوق وأوجبُها علينا ، كما ثبت [حَقُّ الله أحقُّ أن يُقْضى] . وإن عزمت على نكاح فاجْهَد في نكاحِ القُرَشِيّات ، وإن قدرت على نكاح مَنْ هي من أهل البيت فأعْظَمُ وأعظمُ ، فإنه قد ثبت [إن خيرَ نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قريش] وعاشِرْهُن بالمعروف ، واتقِ الله فيهن ، وأحق الشروط ما إستحللتَ به فروَجهُن ، وأحسن إليهن في كل شيء . وإياك أنْ تعذب ذا روح إذا كان في يدك حتى الأضحيةَ إذا ذبحتها فَحدَّ الشفرَة وأسرع وأرِحْ ذبيحتك ، وادفعِ الألم عن كلّ ما يتألم جَهْدَ إستطاعتك كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان ومن النفسي ما تعلم أنه يرضي الله ، واعلم أنه مما يرضي الله ما أباحه ذلك أن تفعله . وإذا رأيت أنصارياً من بني النجار فقدّمه على غيره من الأنصار مع حبّك جميعَهم ، وعليك بأحسن الحديث وهو : كتابُ الله فلا تزال تالياً إياه بتدبرٍ وتفكر عسى الله أن يرزقك الفهمَ عنه فيما تتلوه ، وَعَلّمِ القرآن تكنْ نائبَ الرحمنِ فإن الرحمنَ علم القرآنَ خلق الإنسان علمه البيان وهو القرآن فإنه قال فيه : ﴿هذا بيانٌ للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين﴾(١) فَعِلْمُ القرآن قبل الإنسان أنه إذا خُلق الإنسان لا ينزل إلاّ عليه ، وكذلك كان فإنه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ، وهو ينزل على كل قلبِ تالٍ في حال تلاوته ، فنزوله لا يبرح دائماً ، فَعَلَّمَ الله القرآن كما عَلّم الإنسان القرآن فخيركم مَنْ تعلم القرآن وعَلّمه ، واتق شُحَّ الطبيعةِ فإن المفلح عند الله مَنْ يُوقَ شُحّ نفسه ، وكن شجاعاً مقداماً على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها فتكن من أولى العزم ، ولا تكن جباناً فإن الله أمرك

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٣٨ .

بالإستعانة به في ذلك ، وإذ كان الله المعينَ فلا تبال ، فإنه لا يقاومه شيءٌ بل هو القادر على كل شيء فما ثَمّ مع الإعانة الإلهية قـوةٌ تقاوم قـوةَ الحق ، فإن الله يقول فيمن سأله الإعانة في الخبر الصحيح : [فإذا قال العبدُ : إيـاك نعبد وإياك نستعين ، يقول الله : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سـأل وإذا قال : إهدنا الصـراط المستقيم إلى آخر السـورة ـ وهدايتُـه من معونتـه ـ يقول الله : هؤلاء لعبدي ، ولعبدي ما سأل] وخبرُه صدق وقـد قال : [ولعبـدي ما سـأل] فلا بدّ من إعانته ، ولكنْ هنا شرطٌ لا يغفـلُ عنه العـالِم : إذا تلا مثـل هذا لا يتلوه حكايةً فإن ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أُريد لـه ، وإنما الله تعـالى ما شرع له أن يقرأ القرآنَ ويذكرَه بهذا الـذكر إلاّ ليعلّمـه كيف يذكـرُه فيذكـرُه ذكرَ طلبٍ واضطرارٍ وافتقارٍ وحضورٍ في طلبه من ربه مـا شرع لـه أن يطلبـه ، فذلك هو الذي يجيبه الحق إذا سأله ، فإن تلا حكايةً فما هو سائل ، وإذا لم يسأل وحكى السـؤالَ فإن الحقَّ لا يجيب مَنْ هذه صفتُه ، ولا جَـرَمَ أن التالين الغالبُ عليهم الحكايةُ لأنه لا ثمرة عندهم ، فهم يقرؤون القرآن بـألسنتهم لا يجاوز تراقيَهم ، وقلوبُهم لاهيةٌ في حال التلاوة وحال سماعه ، فإذا رأيتَ من يُقْدم على الشدائـد في حق الله فاعلم أنـه مؤمن من صادق ، وإذا رأيتـه قويَ العـزم في دين الله وفي غير دين الله فيعلم أنـه قـوي النفس لا قـوي الإيمـان بـالأصالـة ، فإن المؤمن هـو القـوي في حق الله خـاصـةَ ، الضعيفُ في حق الهـوى ، لا يساعـدُ هواه في شيء ، إذا جـاءه الهوى النفسي يـطلب منـه أن يعينه في أمرٍ ما ، يُريه من الضعف والخوفِ ما يقطع به يأسه ، فينقمع الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليـه ، فيعصِم جوارحـه من إمضاء مـا دعاه إليه الهوى وسلطانُه ، فإذا جاء وارد الإيمان وجـد عنده من القـوة والمساعـدة بالله ما لا يقاومه شيءٌ ، فإن الله هو المعين له ، فإن الإنسـان خلق هلوعاً من حيث إنسانيتُه ، وإن المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن ، كما حُكي عن بعض الصحابةَ ـ وأظنه عمْرو بنَ العاص ـ أن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا بدّ له أن يلي مصر فحضر في حصار بلد فقال لأصحابـه : إجعلوني في كفّـة المِنْجَنِيق وارموني إليهم ، فـإذا حصلت عنـدهم قـاتلتُ حتى أفتحَ لكم

بابَ الحِصن ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن رسول الله ﷺ ذَكَر لي أني ألي مصر ، وإلى الآن ما وَليتها ولا أموتُ حتى ألِيَها ، فهذا من قوة الإيمان ، فإن العادة تعطي في كل إنسان أن شخصاً إذا رُمي في كِفّة المنجنيق أنه يموت فالمؤمنُ أقوى الناس جأشاً ، ومن أسمائه تعالى المؤمن ، وقد ورد أن المؤمن كالبنيان يَشدُّ بعضه بعضاً من كونه مؤمناً ، فالمؤمن المخلوقُ يستعين بالمؤمن الخالقِ فيشدُّ منه ويُقَوّي ما ضعف عنه من كونه مخلوقاً ، فإن الله خلقه من ضعفٍ ثم جعل مِنْ بعد ضعفٍ قوةً ، فهي بشارة وذلك إن كان قوةُ الشباب تفسيراً فهي قوة الإيمان بما أمَرَ من الإيمان به تنبيهاً فاعلم .

وصية :

كن فقيراً من الله كما أنت فقيرٌ إليه فهو مثل قوله ﷺ : [وأعوذُ بكَ منك] ومعنى فقرك من الله : أن لا يَشَمّ منك رائحةً من روائح الربوبية بل العبوديةُ المحضَةُ ، كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية ، ويستحيل ذلك عليه فهوربٌ محض ، فكن أنت عبداً محضاً ، فكن مع الله بقيمتك لا بعينك ، فإن عينك عليه روائحُ الربوبية بما خلقك عليه من الصورة فتتصرف بالدعوى ، وقيمتك ليست كذلك ، بهذا أوصاني شيخي واستاذي أبو العباس العريني رحمه الله ، فلقيمتك التصرفُ بالحال لا بالدعوى ، فكن أنت كذلك ، فمتى قالت لك نفسُك : كن غنياً بالله فقد أمرتْكَ بالسيادة ، فقل لها : أنا فقير إلى الله وإلى ما أفقرني الله إليه ، حتى إن الله قد أفقرني إلى الملح أن يكون في عجيني .

وصية :

عليك بالرِّباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن ، فكل إنسان إذا مات يُختم له على عمله إلاّ المرابط فإنه ينمو له إلى يوم القيامة ، ويأمن فَتّاني القبر ، ثبت هذا عن رسول الله ﷺ . والرباط بأن يُلزم الإنسانُ نفسَه طاعةَ الله دائماً من غير حدٍ ينتهي إليه أو يجعله في نفسه ، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابطٌ ، والرباط : في الخير كله ، ما يختص به خيرٌ من خير ،

فالكل سبيلٌ الله فإن سبيل الله ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به ، فما يختص بملازمة الثغور فقط ، ولا بالجهاد فإن رسول الله ﷺ قال في إنتظار الصلاة بعد الصلاة : إنه رباط ، والله تعالى يقول في كتابه للمؤمنين : ﴿إصْبِروا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا الله﴾[1] يعني في ذلك كلِّه أي اجعلوه سبحانه وقاية تتقون به هذه العزائم ، وذلك معونتُه في قوله : ﴿إسْتَعِيْنُوا بالصبر والصَّلاة﴾[2] و ﴿إسْتَعِيْنوا بالله﴾[3] وقوله : تعالى : ﴿وإياك نسْتَعين﴾[4] فهذا معنى ﴿إتّقوا الله لعلكم تُفْلحون﴾[5] أي تكون لكم النجاةُ من مشقة الصبرِ والرباطِ . وينبغي لك إذا ناجيتَ رسولَ الله ﷺ - وذلك زمانَ قراءتك الأحاديثَ المرويةَ عنه ﷺ - أنْ تُقَدِّم بين يدي نجواك صدقةً أيَّ صدقةٍ كانت ، فإن ذلك خيرٌ كله ، وتَطَهَّرْ بهذا أمرت ، فإن الصدقاتِ التي نص الشرعِ عليها كثيرةٌ ، ولذلك ورد أنه يصبح على كل سلامَى منا صدقةٌ في كل يوم تَطْلُع فيه الشمس ، ثم أخبر رسول الله ﷺ أن كلّ تهليلةٍ صدقةٌ ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تسبيحة صدقة ، وكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمرٌ بمعروف صدقة ، ونهيٌ عن منكر صدقة ، فانظر حالَك عندما تريدُ قراءةَ الحديث النبوي ، وهي التي بقيت في العامة من مناجاةِ الرسول ﷺ ، فالذي يُعَيِّنُ لك حالُك عند ذلك من الصدقات تقدمها بين يدي قراءتك الحديثَ كانت ما كانت ، فقد أوسع الله عليك في ذلك فلم يَبْقَ لك عذرٌ في التخلف بعد أن أعلمك ﷺ بأنواع الصدقات ، فقدِّمْ منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالُك بلغ ما بلغ ، وحينئذ تَشرعُ في قراءة الحديث النبوي . وإياك أن تُحشَر يومَ القيامة مع المصورين الذين يصورون ذوات الأرواح من الحيوانات ، فإنك إن صورت صورةً من صور الحيوانات تبعها روحُها من عند

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٠٠ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٣ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢٨ .

(٤) سورة الفاتحة ؛ الآية : ٤ .

(٥) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٠٠ .

الله من حيث لا تشعر بذلك في الدنيا ، فإذا كـان في الآخرة يجعـل الله لكل مُصَوّر في النار لكل صورة صَوّرَها نفساً تعذبه في نار جهنم ، فإن الخلق من إختصاص الله ، فَمَنْ نازعه في خلقه فإنه يعـذبه بمـا خلق من ذلك ، والخلق لله لا لهم إذ لم يكن بإذن الله كخلق عيسى عليه السلام الطيرَ من الطين بإذن الله ونَفَخَ فيه الروحَ بإذن الله ، فلو أذن الله للمُصَوّر في ذلك لكان طاعـةً فعلُ ذلك ، فاعلم أن كل نفس يوم القيامة بما كسبت رهينة .

وصيـة :

واحـذر أن تُكَفِّر أحـداً من أهـل القبلة بـذنب ، فقـد ثبت أنـه من قـال لأخيه : كافرٌ فقد بـاء بها أحـدُهما : إن كـان كما قـال ، وإلا رجعت عليه ، ومعنى الرجوع عليه : أنه هو الكافـر فإنـه مَنْ كَفَّر مسلمـاً لإسلامـه فهو كـافر يقول الله تعالى : ﴿وإذا قِيْلَ لهم آمِنُوا كَما آمنَ الناسُ قَـالوا أنُؤْمِنُ كمَـا آمَنَ السفهـاءُ﴾(١) فقـال الله فيهم : ﴿ألا إنّهم هُمُ السفهـاءُ﴾(١) والسفيـه : هـو الضعيفُ الـرأي ، يقولـون : إنهم ما آمنـوا إلاّ لضعف رأيهم وعقلهم ، فجاز ذلـك عليهم لقول الله : ﴿ألا إنهم هُمُ السفهـاء﴾(٢) أي : هُم الذين ضَعُفت آراؤهم ، فَحـالَ ذلك الضعفُ بينهم وبين الإيمـان : ﴿ولكنْ لا يعلمون﴾(٢) فَتَحفَّظْ من الكلام القبيح وهـو : أن تنسب صفةً مـذمومـة لأخيك المؤمن وإن كانت فيه لا في حضوره ولا في غيبته ، فإنك إذا واجهته بدلك فقد عيّرته فمـا تأمنُ أن يعافيه الله من تلك الصفة ويبتلَيك بها ، وقـد ورد [لا تُظْهِـر الشماتـةَ بـأخيك فيعـافيه الله ويبتليَـك] وإن كان غـائباً فهي غِيْبَـة ، وقد نهـاك الله عن الغيبة ، فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه مما يسوءه لو قـابلته بـه فقد إغتبتـه ، وإن نسبت إليـه من القبيح مـا ليس فيـه فـذلـك البهتـانُ ، ولا بـّد أن تجني ثمـرةَ غرسِك إلاّ أنْ يعفوَ الله بإرضاء الخصم فيعودُ عليك وبالُ ما نسبتَه إلى أخيـك المؤمن مما ليس هو عليـه . وكذلـك خداعُ المؤمن فـلا تكن ممن يخادعُ الله

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣ .

فإنك إن إعتقدتَ ذلك كنت من الجاهلين بالله حيث تَخَيّلتَ أنك تُلبِّس على الحق ، وظننتَ أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون : ﴿وَذَلِكم ظَنّكُم الذي ظَنَنْتُم بِرَبّكُم أَرْدَاكُم فَأَصْبَحْتُم مِنَ الخَاسِرين﴾(١) وإن خادعت أخاك المؤمن فما تخادعُ إلاّ نفسك كَمَا قال تعالى : ﴿يُخَادِعُون الله والذين آمنوا وَمَا يَخدَعُون إلاّ أنفُسَهم ومَا يَشْعُرون﴾(٢) في خداعهم الذين آمنوا ، ولو كانوا مؤمنين بغير الحق فإنهم مؤمنون أيضاً بالباطل قال تعالى : ﴿والذين آمنوا بالباطل وَكَفَروا بالله أولئِك هُمُ الخاسِرون﴾(٣) فوصفهم بالإيمان بالباطل ، وقال في حديث الأنواء فيمن قال : مُطِرنا بنَوْءِ كذا [إنه كافرٌ بي مؤمن بالكوكب] فهذا قوله : ﴿وما يَخْدَعون إلاّ أنفسهم﴾(٤) في خداعهم الذين آمنوا ، وأما في خداعهم الله فإن الله هو خادعُهم بكونهم إعتقدوا أنهم يُخادِعون الله . وإياك والجهلَ فإنه أقبحُ صفة يتصف بها الإنسان ، فإن كنت يا ولي ذا زوجةٍ فأوصها بل «لا» تتركْها ولا أُختاً ولا بنتاًولا أيَّ إمرأة كانت ممن تحكُم عليها أو تعلمُ أنها تسمع منك ، أو أيِّ أمرأة تعرَضتْ لك فانصحها كانت من كانت أن لا تَسْتَعطرَ إذا خرجتْ بِطِيْبٍ يكون له ريح ، فإنه قد ثبتَ عن رسول الله ﷺ قال : [أيُما أمرأةٍ إسْتَعْطَرتْ فَمرّتْ على قوم لِيَجِدُوا رِيحَها فهي زانيةٌ] وقد ورد مقيَّداً في ذلك : [أيما أمرأةٍ أصابت بَخُوراً فلا تشهد معنا العشاءَ الآخرة] وذلك أن الليل آفاتُه كثيرةٌ والظلمةُ ساترة ، وما تدري إذا أصاب الرجلُ ريحَها الطيِّبَ في طريق المسجد ما تلقى منه إذا لم يتق الله ، فذلك نهاها رسول الله ﷺ عن شهودِ العشاء الآخرة . وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج بطيبٍ له رائحة لا في ليل ولا في نهار . وإياك والإستهزاء والمسخرةَ بأهل الله ، فإن الإستهزاءَ بأهل الله إستهزاءٌ بدين الله ، ولا تتخذْهُم ضحكةً فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك

(١) سورة فصلت ؛ الآية : ٢٣ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٩ .
(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٥٢ .
(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ٩ .

ويستهزيء بك ، وهو : أن يريك بالفعل جزاءَ ما فعلتَه أنت هنا ـ أعني في الدنيا ـ بالمؤمن إذا لقيتَه تقول : أنا معك على طريق الهُزء به والسخرية منه ، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلاً بقدْر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم والإيمان بما هم عليه أهلُ الله عز وجل ، وقد رأينا على ذلك جماعةً من المدرِّسين الفقهاء يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله المُخْبِرين عن الله بقلوبهم ما يَرِدُ عليهم من الله فيها ، فيأمرُ بمَنْ هذه صفته إلى الجنة حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فيُسَرّون كما يُسَرُّ أهلُ الله في حال إستهزائهم بهم ، ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم ، فإذا وفي الله جزاء عملهم وأنفقَهَتْ[1] لهم الجنةُ بخيرها أمَر الله بهم أن يُصرفوا عنها إلى النار ، فذلك إستهزاءُ الله بهم ، كما أن هؤلاء المنافقين لمّا رجعوا إلى أهليهم قالوا : إنما نحن مستهزؤون ، وقال سخروا منه : ﴿فاليوم الذين آمَنُوا مِنَ الكُفَّار يَضْحَكُون﴾[2] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين بإيمانهم ، وكذلك بعضُ المؤمنين يضحكون من أهلِ الله في الدنيا ولا سيما الفقهاءُ إذا رأوا العامة على الإستقامةِ يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم يضحكون منهم ويُظهرون لهم القبولَ عليهم ، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك ، أفلا أقلّ ـ يا أخي إذا لم تكن منهم ـ أن تسلم لهم أحوالهم ، فإنك ما رأيتَ منهم ما يُنكره دين الله ولا ما يَردّه العلمُ الصحيح النقلي والعقلي : ﴿إنّ الذين أجْرَموا كانوا مِنَ الذين آمنوا يَضحكون وإذا مَرُّوا بهم يَتَغامزون﴾[3] هكذا والله رأيت فقهاءَ الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ويُظهرون القبولَ عليهم ، وهم على غير ذلك . فاحذر مَنْ هذه صفته لئلا يَسْرِقك الطبعُ ، فما أعظمَ حسرتهم يوم القيامة ، فهم الذين إشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة والحياةَ الدنيا بالآخرة فما ربحتْ تجارتهم وما كانوا مهتدين .

---

(١) هكذا في الأصل ـ ولم نجد لهذا الفعل أصلاً في اللغة ـ ولعله يريد : انفتحت .

(٢) سورة المطففين ؛ الآية : ٣٤ .

(٣) سورة المطففين ؛ الآية : ٢٩ ، ٣٠ .

وصيـة :

واحـذر يـا أخـي أن تـكـون مـن شـرار النـاس فيتقي النـاسُ لسـانـك ، فـإن مـن شـرار النـاس الـذيـن يُكـرَمُـون إتّقـاءَ ألسنتهم ، وأنـت أعـرفُ بنـفسـك فـي ذلـك . أقبـل رجـلٌ عـلى رسـول الله ﷺ ، فقال رسـول الله ﷺ فيه قبـل أن يصل إليـه ، وقد رآه مقبلاً [بئس ابنُ العشيرة] فلما وصل إليه بَشّ في وجهه وضحك لـه ، فلمّا إنصـرف قالت له عائشةُ : يا رسول الله : قد قُلتَ فيه ما قلتَ ، ثم بَشَشْتَ في وجهه : فقال (يا عائشةُ إنْ من شِرّ الناس مَنْ أكرمَه الناسُ إتّقاءَ شَره) فاحـذرْ أن تكون مِمّن هذه صفتُه فتكونَ من شر الناس بشهادة رسـول الله ﷺ . وإن كانت لـك زوجةٌ فإياك - إذا أفضيتَ إليها وكان بينك وبينها ما كـان - أنْ تَنشر سـرّها فـإن ذلك من الكبائر عند الله ، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ (إن من شر الناس عند الله يوم القيامة الذي يُفضي إلى إمرأته وتُفْضي إليه ثم يَنْشُر سِرّها) فـذلك من الكبـائـر . وإيـاك أن تَسُبّ أبـا أحـدٍ أو أمّـه فيسبَ أبـاك أو أُمك فـذاك من العقوق . وإذا جالست مشركاً فلا تسبَّ من إتخذه إلهاً مع الله ، وإذا جالستَ مَنْ تَعْرف أنه يقع في الصحابة من الروافض فلا تتعرضْ ولا تُعَرّضْ بذكر أحدٍ من الصحابة الـذين تعلم أن جليسك يقـع فيهم بشيء من الثناء عليهم ، فـإن لَجاجه يجعله أن يقـع فيهم ، فتكونَ أنت قـد عرضتهم بـذكرك إيـاهم للوقوع فيهم ، يقول الله ﴿وَلَا تَسُبّوا الذينَ يدْعُون مَنْ دون الله فَيَسُبّوا الله عَـدْواً بغير علم﴾[1]ونهى رسـول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه ، فقيل له يا رسول الله : وكيف يَشْتُم الرجلُ والديه ؟ فقال ﷺ : [يَسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويَسُبَ أُمّه فيسب أمه] وإن من الكبـائر إسـتطالةَ الـرجل في عـرض رجل مسلم بغيـر حق ، هذا هو الثـابت عن رسول الله ﷺ . وعليـك بشهود العتمـة[2] والصبح في جماعة فإنه مَنْ شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله ، ومن شَهد الصبحَ في جماعة فكأنما قام ليله . وعليك بالشفقـة على عباد الله مـطلقاً بـل

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٨ .

(٢) العتمة : وقت صلاة العشاء . ا هـ مختار الصحاح .

على كلِّ جيوان فإنه في كل ذي كبدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ عند الله تعالى .

وصيـة :

إحذرِ أن تُرجح نظَرك على علم الله في خلقـه بمن قدمـه من الوُلاة في النـظر في أمور المسلمين وإن جـاروا ، فإن لله فيهم سـراً لا تعرفـه ، وإن ما يـدفع الله بهم من الشـرور ويُحَصِّلُ بهم من المصـالـح أكثـرُ من جَـوْرهم إن جـاروا . وهذا كثيـراً ما يقـع فيه النـاس يُرَجحـون نـظرهم على مـا فعـل الله خلقـه ، ويـأتيهم الشيـطان فيعلّق تسفيههم بـالـذين وَلّـوه ويحـول بينهم وبين الصحيـح من كون الله ولاهم ، وينسيهم أمـرَ النبي ﷺ أن لا تُخْـرِج يـداً من طاعة ، ولا تُنـازِع الأمرَ أهله ، فيُـدخِل عليهم الشيـطانُ من التأويـل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يُخرجهم بذلك من الإسلام ، ويُنْسِيهم قوله ﷺ : [فـإن جاروا فَلَكُم وَعَلَيْهم ، وإن عَدَلُـوا فَلَكُم وَلَهُم] و [إن الله يَزَعُ بـالسلطان ما لا يَـزَعُ(١) بالقـرآن] لو لم يكن في هـذه المسألة إلاّ إعتراضُ المـلائكـة على الله تعالى في خلافة آدم عليه السلام لكان كـافياً ، وقـد جعل رسـول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكاة راضيـاً عنك وإن ظلمك ، وهذا باب قد أغفله النـاس وقد أغلقـوه على أنفسهم فما تـرى أحداً إلاّ وله في ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله ، وقد رأينا على ذلك بـراهينَ من الله كثيرةً ، ومتى ذممت ـ ولا بّد ـ فذُمَّ الصفةَ بذم الله ولا تذمَّ المـوصوفَ بها أن نصحت نفسك ومتى حمـدت فأحمـد الصفة والمـوصوف معـاً فإن الله يحمدك على ذلك .

وصيـة :

أُوصِيتُ بها في مبشّرة أُرِيتُها سمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة في البقعـة المباركـة التي كلّم الله فيهـا مـوسى عليـه السـلام من بلّة(٢) على قـدر الكف كلاماً لا يكَيّف ولا يشْبه كلامَ مخلوق ، عينُ الكـلام هو عينُ الفهم من السامع ، فمما فهمتُ منه : كُنْ سماءَ وحيٍ وأرضَ ينبوعٍ ، وجبلَ تسكينٍ ،

(١) الوزع : الكف . قال الحسن : لا بـد للناس من وازع ـ أي من سلطان يكفهم . ا هـ مختار الصحاح .

(٢) هي البقعة بقدر الكف .

فإذا تحركتَ فلتَكن حركةَ إحياء وسيلة بتحريكِ عن وحيٍ سماوي ، ثم وقع في نفسي نَظْمٌ فكنت أنشد :

جَعَلْتَ فيّ الذي جَعَلْتَا وَقُلْتَ لي : أنتَ قَدْ عَمِلْتَا
وَأَنْتَ تَدْرِي بأنّ كوني ما فيه غيرُ الذي جَعَلْتَا
فَكُلُّ فِعْلٍ تَراهُ مِنيّ أنْتَ إلهي الذي فَعَلْتَا

وصية :

إذا قلتَ خيراً أو دَللت على خيرٍ فكن أنتَ أولَ عاملٍ به والمخاطب بذلك الخير ، وانصحْ نفسك فإنها آكدُ عليك ، فإن نظرَ الخلق إلى فعل الشخص أكثرُ من نظرهم إلى قوله ، والإهتداءُ بفعله أعظمُ من الإهتداء بقوله ، ولبعضهم في ذلك :

وإذا المقالُ مع الفَعَال وَزَنْتَه رَجَحَ الفَعَال وَخَفَّ كُلُّ مَقَالِ

واجهد أن تكون مِمّن يُهْتَدى بِهَدْيك فتُلحقَ بالأنبياء ميراثاً ، فإن رسول الله ﷺ يقول : [لأن يَهْتدي بُهداك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمسُ] يقول الله تعالى في نقصان عَقْل مَنْ هذه صفته : ﴿أتأمُرونَ الناسَ بالبِرّ وَتنسَوْن أنفسَكم وأنْتُم تَتْلُون الكتابَ أفَلاَ تَعْقِلُون﴾[1] ؟ فإذا تلا الإنسانُ القرآن ولا يرعوي إلى شيء منه فإنه من شرار الناس بشهادةِ رسول الله ﷺ ، فإن الرجل يقرأ القرآن والقرآنُ يلعنه ، ويَلعنُ نفسَه فيه ، يقرأ : ﴿ألا لعنةُ الله على الظالمين﴾[2] وهو يظلم فيلعن نفسه ويقرأ : ﴿لعنةَ الله على الكاذبين﴾[3] وهو يكذب فيلعنه القرآنُ ويلعن نفسَه في تلاوته ، ويمُرُّ بالآية فيها ذم الصفة وهو موصوفٌ بها فلا ينتهي عنها ، ويمر بالآية فيها حَمْدُ الصفة فلا يعمل بها ولا يتصف بها ، فيكونُ القرآن حجّةً عليه لا إله قال ﷺ في

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٤٤ .
(٢) سورة هود ؛ الآية : ١٨ .
(٣) سورة آل عمران : الآية : ٦١ .

الثابت عنه : [القرآنُ حجّةٌ لك أو عليك كلُّ الناس يَغْدُو فَبَائِعٌ نفسَه فَمُعْتِقُها أوْ مُوبِقُها] وإذا كنت يا أخي ممن يجلس مع الله بترك الأسباب فَتَحَفَّظْ من السؤال ، فلا تسألْ أحداً ، وأياك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنا بيلِ اليوم فإنهم من أدنى الناس همةً وأخَسِّهِم قدراً عند الله وأكذبهم على الله فإما يقين صادق ، وإما حرفة فيها عِزُّ نفسك ، فإن ذلك خير لك عند الله وقد ثَبَت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [لأن يَحْتزم أحدُكم حزمة من حطب على ظهره خيرٌ له من أن يسأل رجلاً] وفي حديث : [أعطاه أو منعه] فإما يقين صادق ، وإما شغل موافق .

وصية :

عليك بإكرام الضيف فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه] فإن كان الضيف مقيماً فثلاثةُ أيامٍ حقُّه عليك ، وما زاد فصدقة ، وإن كان مجتازاً فيومٌ وليلة جائزته ، ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة : كان رضي الله عنه يقول بترك الأسباب التي يُرْزَق بها الناس ، وكان قويُّ اليقين ، وكان يدعو الناس إلى مقامه والإشتغال بالأهم فالأهم من عبادةِ الله ، فقيل له في ذلك ، أي في ترك الأسباب والأكلِ من الكسب وأنه أفضلُ من الأكل من غير الكسب ، فقال رضي الله عنه : ألستم تعلمونَ أن الضيف إذا نزل بقومٍ وجب ـ بالنص عليهم ـ القيامُ بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيماً ؟ فقالوا : نعم ، فقال : فلو أنَّ الضيفَ في تلك الأيام يأكلُ من كسبه ، أليس كان العارُ يلحق بالقوم الذين نزل بهم ؟ فقالوا نعم ، فقال : إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافاً عنده فهم في ضيافة الله ثلاثة أيام ، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ، فنحن نأخذ ضيافَته على قَدْر أيامه فإذا كَمُلَت لنا ثلاثةُ أيام من أيام مَنْ نزلنا عليه ، ولا نحترف ولا نأكل من كسبنا ، عند ذلك يتوجه اللومُ وإقامةُ مثل هذه الحجّة علينا . فانظر يا أخي ما أحسنَ نظرَ هذا الشيخ وما أعظمَ موافقَته للسنة ، ولقد نوَّر الله قلبَ هذا الشيخ . فحق الضيف واجب ، وهو من شُعَب الإيمان أعني إكرامَ الضيف ، وكذلك من شعب الإيمان قولُ الخير

أو الصمتُ عن الشر ، يقول الله : ﴿لا خَيرَ في كثيرٍ من نَجْواهم إلاّ مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾[1] هذا في النجوى ومخاطبة الناس ، وذكرُ الله أفضلُ القول ، والتلاوةُ أفضل الذكر . ومن الإيمان وشعبه إجتنابُ مجالس الشرب ، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليومِ الآخر فلا يَقْعُد على مائدةٍ يُدارُ عليها الخمرُ] وعليك إذ عملتَ عملاً مشروعاً أن تحسنه ، فإنه من حَسّن عمله بَلغ أمله ، وحسنُ العمل أن تعمله كما شرع الله لك أن تعمله ، وأن ترى الله تعالى في عملك إياه فإن رسول الله ﷺ فَسّر الإحسان بما ذكرناه ، فقال في الثابت عنه : [الإحسانُ أنْ تعبدُ الله كأنك تراه] وإذا أردت أن تأتي الجمعةَ فاغتسل لها فإن الغسل وإن كان واجباً عليك يوم الجمعة لمجرد اليوم فإنه قبل الصلاة للصلاة أفضلُ بلا خلاف ، فإذا توضأت كما ذكرتُ لك في باب الوضوء من هذا الكتاب[2] ، فامْشِ إلى الجمعة ، وعليك السكينةَ والوقار ، ولا تفرقْ بين إثنين إلاّ أن ترى فرجة فتأويَ إليها ، وتَقرّبْ من الخطيب ، وانصتْ لكلامه إذا خطب ، ولا تمسح الحصى فإن مسح الحصى لغوٌ ، ولا تقل لمتكلم : أنصت ـ والإمامُ يخطب ـ فإن ذلك من اللغو ، وفرّغ قلبك لما يأتي به من الذكرى ، فإن المؤمن ينتفع بالذكرى ، ولتَلْبَس أحسنَ ثيابك ، وتَمسّ من الطيّب إن كان معك ، وَلْتُهَجِّر[3] ما إستطعت ، وإن أردت الخروجَ من الخلاف في التهجير فلتسع إليها في أول ساعة من النهار تكنْ من أصحاب البُدْن ، وتدنو من الأمام ما إستطعت . وإن كان لك أهل فلتجعلْهم يغتسلون يوم الجمعة كما إغتسلت ، وإن كنتَ جنباً فاغتسل غُسلين : غسلَ الجنابة ، وغسلَ الجمعة فهو أولى ، فإن لم تفعل فاغتسل للجنابة فعسى يجزيك عن غُسل الجمعة ، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ [مَنْ غَسّل واغْتَسل وبَكّر

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١٤ .

(٢) يعني به كتاب الفتوحات .

(٣) التهجير ، والتهجر : السير في الهاجرة ـ والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر ـ ا هـ مختار الصحاح .

وابْتَكَر] وعليك بالوضوء على الوضـوء فإنـه نورٌ على نـور ، ولقيتُ على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضؤن لكـل صلاة فـريضة وإن كـانوا على طهارة ، وأما التيمم لكل فريضة فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الضوء وإليه أذهبُ فـإن نص القرآن في ذلـك ، ولولا أن رسـول الله ﷺ شَرَع في الـوضوء مـا شرع من صـلاة فريضتين فصـاعداً بـوضوء واحـد لكان حكمُ القرآن يقتضي أن يتوضـأ لكل صـلاة ، وبالجملة فهـو أحسن بلا خـلاف فإن الوضوء عنـدنا عبـادةٌ مستقلة ، وإن كان شـرطاً في صحـة عبادة أخـرى ، فلا يخـرجه ذلـك عن أن يكون عبـادة مستقلة في نفسه مـراداً لعينـة ، وتحفَّظ أن تؤذيَ شخصاً قد صلى الصبح فإنه في ذمة الله فلا تُخْفِر[1] الله في ذمته ، وما رأيت أحداً يحفظ هذا القدر في معاملته الخلقَ ، وقد أغفله الناس ، فإنـه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [مَنْ صَلّى الصبحَ فهو في ذِمةِ الله] فإياك أن يُتْبِعَك الله بشيء من ذمته . وحافِظْ كلَّ يوم على صلاة إثنتي عشرة ركعة فـإنه قـد ثبت التـرغيبُ في ذلـك عن رسـول الله ﷺ . وحـافظ على صـلاة العصـر فـإنـه مـن تـرك الـعـصـر فـقـد حـبط عـمـله ، وإذا قـعـدت فـي مـسـجـد أو فـي مـجلسـك أو حـيـث كـنـت فـاقـعُـد عـلى طهـارة منتظراً دخـول وقت الصلاة ، واجعـل موضـعَ جلوسك مسجـدَك فـإن الأرض كلُّها مسجدٌ بالنص ، وإن كان في المسجد المعروف في العـرف كان أفضل فإنه مَنْ غدا إلى المسجد أو راح أعَدّ الله لهُ نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح ، وقـد ثبت عن رسول الله ﷺ أنـه قال : [مَنْ تَـطَهّر في بيتـه ، ثم مَشَى إلى بيتٍ من بيُـوتِ الله ليقضيَ فـريضـةً من فَـرَائِضِ الله كـانت خـطواتُـه : إحْداهُنّ تَحُطُّ عنه خَطِيْئَةً ، والأخرى تَرْفَعُ له درجـةً] . وعليك من قيـام الليل بما يُزيل عنك إسم الغفلة ، وأقلُّ ذلك أن تقوم بعشر آيات ، فإنـك إذا قمت بعشـر أيـات لم تُكتبْ من الغـافلين ، هكـذا ثبت عن المبلغِّ ﷺ عن الله ، وحـافظْ في السَّنة كلِّهـا على القيام كـلَّ ليلةٍ ولو بمـا ذكرتُ لـك ، ولا تُهْمـل

---

(١) أخفـره : نقض عهـده وغـدر ـ والإسم الخفـرة ـ بـالضم ـ وهي الـذمـة ـ ا هـ مختـار الصحاح .

الدعاء في كلّ ليلة ، واجعلْ من دعـائك السؤالَ في العفـو والعافيـة في الدين والدنيا والآخرة ، فإنك لا تدري متى تصادفُ ليلة القدر من سَنَتِك ، فإني قـد أُريتُها مراراً في غيـرِ شهر رمضـان ، وهي تدور في السنـة وأكثرُ مـا تكون في شهر رمضان ، وأكثرُ ما تكون في ليلةِ وترٍ من الشهر ، وقد تكـون في شفعٍ ، وقد أُريتُها في ليلة الثامنَ عشرَ من الشهـر ، وقد أُريتُهـا في العشر الأوسط من رمضان ، فإن زدتَ على عشر آياتٍ من قيام الليل فأنت بحسب ما تزيد ، فإن زدت إلى المئـة كُتبـتَ من الـذاكـريـن ، وإن زدت إلى الألـف كُتبتَ مـن المُقْسطين . وعليك بصيـام ستةِ أيـامٍ من شوال ولتجعلْهـا من ثاني يـومٍ من شـوال متتابعـاتٍ إلى أن تفرُغ لتخـرُجَ بذلـك من الخلاف ، وإذا قضيتَ أيـامَ رمضان من مرضٍ أو سفرٍ فاقضهِ متتابعاً كما أفطرته متتـابعاً تخـرجْ بذلـك من الخلاف ، فإن شهر رمضان متتـابعِ الأيـام في الصوم ، وإن قـدرت أن تشارك في فـطرك صائمـاً أو تُفَطّر صـائمـاً فـافعلْ ، فـإن لك أجـرَة أي مثـلَ أجـره . وعليك ـ إن كنت مجاوراً بمكةَ ـ بكثرةِ الطواف ، فإن طواف كلِّ إسبوع يَعْدل عتق رقبة ، فأعتقْ ما إستطعت تلحقْ بأصحابِ الأموال مع أجر الفقر ، واجهد أن تـرميَ بسهم في سبيل الله ، وإن تعلمتَ الـرميَ فـاحـذر أن تنسـاه ، فـإن نسيـان الرمي بعـد العلم به من الكبـائر عنـد الله ، وكذلـك مَنْ حفظ آيـةً من القرآن ثم نسيها : إمّا من محفوظه ، وإما من ترك العمل بها ، فإنـه لا يُعذّب أحدٌ من العالمين يومَ القيامة بمثل عذابه ، لأنـه لا مثل للقـرآن الذي نسيـه . وعليك بتجهيز المجاهد بمـا أمكنك ولـو برغيف إذا لم تكن أنتَ المجـاهدَ ، واخلُفِ الغـزاة في أهلهم بخيـر تكتبْ معهم وأنت في أهلك ، واحـذر إن لم تغزُ أنْ لا تحدثَ نفسك بالغزو ، فإنـك إن لم تغز ولم تحـدثْ نفسك بـالغزو كنتَ على شعبةٍ من نفاق ، واجهد في إعطاء مـا يَفضُل عنـك لِمُعْدِم ليس لـه ذلك من طعامٍ أو شـرابٍ أو لباسٍ أو مـركوبٍ . وعليـك بتعلم علم الدين ، إن عملتَ بـه عملتَ على علم ، أو علمّته أحـداً من الناس كـان ذلك التعليمُ عملاً من أعمال الخير قد أُتيْتَه ، واسألْ من الله ما تعلم أن فيه خيراً عند الله ، فإنه إن أعطاك ما سألتَ ، وإلا أعطاك أجر ما سألت ، فإنه قد ثبت عن رسول

الله ﷺ ما يؤيد ما ذكرناه ، وذلك أنه قال : [مَنْ سَألَ الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازلَ الشهداء وإن ماتَ على فِراشِه] . وعليك بالإحسان إلى كل مَنْ تعول ، وادعُ إلى خير ما إستطعت فإنك لن تدعو إلى خير إلاّ كنتَ من أهله ، ومن أجابك إليه فلك مثلُ أجره فيما أجابك من ذلك ، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [مَنْ سَنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها بعده لا يَنْقُص ذلك من أجورهم شيئاً] ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنه سَنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام ، يقرأ في الأول : [لإيلافِ قريشٍ] وفي الأخرى : [قلْ هو الله أحد] ومشت سنةً في أصحابه ، وقد ثبت أنه من دَلّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله . وعليك بصلة الأرحام ، وحافظْ على النسب الذي بينك وبين الله فإنه من الأرحام ، وعليك بإنظار المُعْسر إلى ميسرة ، فإن الله يقول : ﴿وإنْ كانَ ذو عُسْرةٍ فَنظِرَةٌ إلى مَيْسَرةٍ﴾(١) وإن وضعتَ عنه فهو أعظم لأجرك ، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [مَنْ أنظر مُعْسراً أو وضعَ عنه أظَلّه الله في ظِلّه] وإن الله يوم القيامة يتجاوز عمن يتجاوز عن عباده ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال : [مَنْ سَرّه أن ينجيه الله من كُرَبِ يومِ القيامة فلْيُنَفّسْ عن مُعْسرٍ أو يضع عنْه] . وأعلم أنّ من الإيمان أن تَسرّك حسنتُك وتسوأك سيئتُك ، واحذر من الكِبْر والغِل والدّين ، واستر عورةَ أخيك إذا أطلعك الله عليها ، فإن ذلك يَعْدل إحياء مَوْؤدة ، هكذا ورد النص في ذلك عن رسول الله ﷺ ، فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس . وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس ، وقد رأينا على ذلك جماعةً من الناس يثابرون عليه ، وهو من أفضل الأعمال ، وفرّج عن ذي الكربة كربتَه ، واستر على مسلم إذا رأيته في زلةٍ يطلبُ التسترَ بها ولا تَفْضَحه ، وأقِلْ عثرة أخيك المسلم وخذ بيده كلما عثر ، وأقِلْهُ بيْعَته إذا إستقالك ، فإن ذلك كلّه مرّغبٌ فيه مندوبٌ إليه ، مأمور به شرعاً وهو من مكارم الأخلاق . وعليك بالزهد في الدنيا ولباسِ الخَشِن ، فإنه قد ورد أنه :

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٠ .

[مَنْ تَـرَكَ لُبْس ثوبِ جمـالٍ وهو يقـدر عليـه كسـاه الله حلة الكـرامـة] وهـذا ثابت ، وكن من الكاظمين الغيظَ إذا قـدرت على إنفاذه فـإن الله قد أثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن النـاس ، وقال ﷺ : [مَنْ كـظم غيظاً وهـو قادر على أن يُنْفِذَه ملأ الله قلبـه أمناً وإيمـاناً] ، فمن الإيمـان كظمُ الغيظ ، واحمِ أخاك المؤمنَ ممن يُريـد ضره مـا إستطعت وبمـا قَدرت عليـه من ذلك ، وإذا نـزل بك ضـر فـلا تُنْـزِلَـه إلاّ بـالله ، ولا تسـأل في كشفـه إلاّ الله ، وإن قلت بالأسباب فلا يَغِبِ الله عن نظرك فيهـا ، فإن لله في كـل سبب وجهاً ، فليكن ذلك الوجهُ من ذلك السبب مشهوداً لك . واعلم أنـه ما من نبي إلا وقـد أنْذَرَ أُمتَه الدجالَ ، وأن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من فتنـة الدجـال تعليماً لنـا أن نستعيذَ من ذلك ، وفي الإستعاذة من فتنته وجهان : الوجه الواحد : الإستعاذةُ من فتنته حتى لا تُصدقـه في دعواه وأن تُعصم منـه ، ومن أراد أن يَعْصمه الله من ذلـك فليحفظْ عَشْر آيـاتٍ من أول سورة الكهف فـإنه يُعصم بهـا من فتنـة الـدجال ، والـوجه الآخـر : أن تُعصم من أن يقوم بـك من الدعـوى مـا قـام بالدجال فتدعيَ لنفسك دعوَته ، فإنك مستعدٌ لكل خيرٍ وشـرٍ يقبله الإنسان من حيث مـا هو إنسـان ، وثابـر ما إستـطعت على أن تسألِ الله الـوسيلةَ لرسـول الله ﷺ ، فإنه ﷺ قـد سأل منّا ذلك ، فـالمؤمن مَنْ أسعفه في سؤالـه مع مـا يعـود عليـه في ذلـك من الخير ، أدنـاه : وجوب الشفـاعة لـه يوم القيـامة إن إضـطر إليها ، وإذا رأيت من يتعمـل في تحصيل خيـرٍ فأعِنْـه على ذلـك بمـا إستـطعت ، ولا تمنـع رِفْـدك ممن إستَرْفَـدك . وإيـاك أن تجْلد عبـدك فـوق جنايته ، وإن عفوت فهو أصلح لك فإنـك عبدُ الله ولـك إساءةٌ تـطلب من الله العفو عنك لها ، فاعفُ عن عبـدك ، ولا تأكـلْ وحدك مـا إستطعت ولـو لقمةً تجعلها في فم خادمـك من الطعـام الذي بين يـديك إذا لم يُجْبـك إلى الأكل معك ، واستغن بالله صدقاً من حالك فإن الله لا بدّ أن يغنيك ، فإن إستغناءك بالله من القرب إلى الله ، وقـد ثبت أنه : [مَنْ تَقَرّب إلى الله شبراً تقـرب الله منه ذراعاً] الحديثَ ، وكذلك من يَسْتَعِفُّ بالله ، روي أن بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزوج فجاءه ولدٌ وما أصبح عنده شيء ، فأخـذ الولَـد

وخرج ينادي به : هذا جزاءُ من عصى الله ، فقيل لـه : زنيت ؟ فقال : لا ، وإنما سمعتُ الله يقول في كتابه العزيز : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِيْنَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حتى يُغْنِيَهُم الله مِنْ فَضْله﴾(١) فعصيْت أمر الله وتزوجتُ وأنا لا أجد نكاحاً فافتضحتُ ، فرجع إلى منزله بخيرٍ كثير . وإن قدرت على العتق فأعتق رقبة ، وإن لم تجد مالاً ويكون لك علم فاهدِ به رجلاً منافقاً أو كافراً أو رُدَّ به مسلماً عن كبيرةٍ فإنك تُعتقه بذلك من النار ، وهو أفضل من عتق رقبةٍ مِنْ ملك أحدٍ في الدنيا ، وفكاك العاني أولى من عتق العبد ، فإنه عتقٌ وزيادة . واعلم أنّ الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرضٍ ميتة فليحي أرضَ بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله تعالى ، وليحي مواضعَ الغفلة بذكر الله فيها ، وليحي العمل بإخلاصه فيه ، وإن أردت أن لا يضرك في يومك سحرٌ ولا سمٌّ فلتصبح بسبع تَمَرَاتٍ من العجوة أو تتسحر بها إن أصبحت صائماً ، فإنه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ . وعليك بخدمة الفقراء إلى الله ، ومجالسةِ المساكين ، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموماً وخصوصاً ، وصحبةِ الصالحين والتحبب إليهم ، وانوِ في جميع حركاتك خيراً مشروعاً ، فإنك لما نويت . وإذا رأيت من أعطاه الله مالاً وفَعَل فيه خيراً وحَرَمَك الله ذلك المالَ ، فلا تَحْرِمْ نفسَك أن تتمنى أن تكون مثله ، فإن الله يأجرك مثلَ أجره وزيادةً ، وإذا جلست مجلساً فاذكر الله فيه ولا بدّ ، وإياك أن تُحْرَم الرفق فإنك إن حرمت الرفق فقد حُرمت الخيرَ كلّه ، وَأجِرْ مَن إستجارك إلاّ في حَدّ من حدود الله ، فإن كان في حدٍ من حدود الخلق فأصلح في ذلك ما إستطعت بينه وبين صاحب الحق ولا تسلمه ، ولو مضى فيه جميعُ مالك .

وإذا رأيت من يستعيذ بالله فأعذه ، فإن النبي ﷺ تزوج إمرأةً فلما دخل عليها إستعاذت بالله منه لشقاوتها فقال : [عُذْتِ بِعَظِيْمٍ ، إلْحَقِي بِأهْلِكِ] فطلّقها ولم يقربها وأعاذها ، وإذا سألك أحدٌ بالله ـ وأنت قادرٌ على مسألته ـ فأعطه ، وإن لم تقدر على مسألته فادعُ له ، فإنك إذا دعوت له مع عدم القدرة فقد

---

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٣ .

أعطيته ما بلغتْ إليه يدُك من مسألتـه ، فإن الله لا يكلف نفسـاً إلاّ ما آتـاها ، وإذا أسدى إليك أحدٌ معروفاً فلتكافئْهُ على معروفه ، ولو بـالدعـاء إذا عجزت عن مكـافأتـه بمثل مـا جاءك بـه ، وإذا أسديت أنت إلى أحـدٍ معروفـاً فاسْقِطْ عنـه المكافأة ولتعْلِمْهُ بذلك ، ولتُظْهِر له الكراهةَ إن كأفاك حتى تريحَ خاطره ، ولا سيما إن كان من أهل الله ، فإن جـاءك بمكافـأةٍ على ذلك وتعلم منـه أنه يعـز عليه عدمُ قبولك لذلك فـاقبَلْه منه ، وإن علمت أنـه يفرح بـردّك عليه بعـد أن وَفّى هو ما وجب عليه من المكافأة فردَّ عليـه بسياسـةٍ وحسنِ تلطفٍ ، واجعل لك الحاجةَ عنده في قبـول ما رددت عليـه من ذلك حتى يتحقق أنـه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددت عليه من المكافأة . وإياك أن تدعي مـا ليس لك فإن ذلك ليس من المروءة ، مع ما فيه من الـوزر عند الله ، وإن رُميت بشيء مذمومٍ فلا تنتصر لنفسك واسكت ، ولا تتعرضْ لمن رماك بأنه يكذب ، ولا تقـرْ على نفسك بمـا لم تفعل ممـا نسب إليك ، وهكـذا فعـل ذو النـون مـع المتـوكل حين سـأله عمـا يقول النـاسُ فيه من رَمْيـه بالـزندقـة ، فقال يـا أمير المؤمنين : إن قلتُ : [لا] أكـذبتُ النـاس ، وإن قلتُ : [نعم] كـذبتُ على نفسي ، فاستحسـن ذلك منه أميرُ المؤمنين ، وما قَبِلَ فيه قولَ قائل وردّه مكرماً إلى مصر واعتذر لـه ، وحكايتُـه في ذلك مشهـورةٌ ذكرهـا الناس ، وقـد ثبتت الأخبار الصحيحة في إثم مَن ادّعى ما ليس له ، أو إقتـطع ما لا يجب لـه من حق الغير . واحذر في يمينك أن تحلف بملةٍ غير ملة الإسـلام ، أو بالبـراءة من الإسلام ، فإنك إن كنت صادقاً فلن ترجع إلى الإسلام سـالماً ، ولتجـدّد إسلامك إذا فعلت مثـلَ ذلك ، ومـع هذا لا تحلف إلا بـالله فإنـك إن حلفت بغيـر الله كنتَ عاصيـاً للنهي الوارد في ذلـك ، وإن حلفت على يمين فـرأيتَ غيرها خيراً منها فكفّر عن يمينك ، ولتأتِ الذي هو خير ، وإيـاك والكذبَ في الرؤيا أو الكذبَ على الله أو على رسول الله ﷺ ، أو تحدّث بحديثٍ ترى أنه كذب فتحدث به ولا تبين عند السامعِ أنـه كذبٌ ، واحـذر أن تسمع حـديثَ قـومٍ وهم يكرهـون أن تسمعه فـإنه نـوعٌ من التجسـس الـذي نهى الله عنـه ،

واحذر أن تُخَبِّبَ[1] إمرأةً على زوجها أو مملوكاً على سيده ، واحذر أن تنام على سطحٍ ما له إحتجاز ، فإن فعلت فقد برئت منك الذمةُ ، واحذر أن تحب قيامَ الناس لك وبين يديك تعظيماً لك ، وهذا كثير في هذه البلاد - أعني العراق وما جاوره - فما رأيتُ منهمْ أحداً يَسْلَمُ من حب ذلكُ مع علمهم بما فيه ، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم . فما ظَنُّك بأمتهم ؟ ، وقمتُ مرةً لأحدهم ، فقال لي : لا تفعل ، وقال لي : إن النهي قد ورد في ذلك ، فقلت له يا فقيه : أنت المخاطب أن لا تُحِبَّ ذلك ، وأن يتمثل الناسُ بين يديك قياماً ، ما أنا المخاطبُ بأني لا أقوم لمثلك ، فتعجبَ من هذا الجواب واستحسنه ، وكان من علماء الشريعة . وإياك أن تَقْبَلَ هديةَ مَنْ شفعت له شفاعة ، فإن ذلك من الزبا الذي نهى الله عنه بنص رسول الله ﷺ في ذلك ، ولقد جرى لي مثلُ هذا في تونس من بلاد إفريقية : دعاني كبيرٌ من كبرائها يقال له : ابنُ مُغيث إلى بيته لكرامةٍ إستعدها لي ، فأجبتُ الداعيَ ، فعندما دخلتُ بيته وقدّم الطعام ، طلب مني شفاعةً عند صاحب البلد ، وكنتُ مقبولَ القول عنده ، متحكماً فأنعمت في ذلك وقمتُ وما أكلتُ له طعاماً ولا قبلتُ منه ما قدّمه لنا من الهدايا ، وقضيتُ حاجته ورجع إليه ملكه ، ولم أكن بعدُ وقفتُ على هذا الخبر النبوي ، وإنما فعلتُ ذلك مروءةً وأنفةً ، وكان عصمةً من الله في نفس الأمر ، وعنايةً إلهية . وإياكِ أن تشفعَ عند حاكمٍ في حدّ من حدود الله . كُلِّم ابن عباس في رجل أصاب حداً من حدود الله أن يُكلم الحاكمَ فيه فقال ابن عباس : [لَعَنَنِي الله إن شَفعت فيه ، ولعن الله الحاكم إن قَبِلَ الشفاعةَ فيه ، لَوْ أَرَدتُم ذلك لجئتموني قبل أن يصل إلى الحاكم] وكان سارقاً ، ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ : [مَنْ حالتْ شفاعتُه دون حدٍ من حدودِ الله فقد ضَادّ الله] وإياك أن تخاصم في باطلٍ فتسخط الله عليه ، وكذلك لا تُعن على خصومة بعلمٍ تدفع به حقاً ، فإن

---

(١) خب - خباً ، وخباً - بالفتح والكسر - صار خداعاً - وخببه : خدعه وأفسده - يقال : خبب على فلان صديقه - أي أفسده عليه - والخباب : الخداع ، ا هـ منجد .

النبي ﷺ يقـول فيمن أعانَ على ذلـك إنه يَبُـوء بغضب من الله ، ولا تقل في مؤمن مـا ليس فيه ممـا يَشينه عنـد الناس ، وقـد ثبت أنـه : [مَنْ رمى مسلمـاً بشيء يُـريد شَيْنَـه حبسهُ الله على جسـر جهنم[1] حتى يخرج ممـا قال] يعني يتوب . واحذر أن تأكل الدنيا بـالدين ، أو تـأكل مـالَ أحدٍ بـإخافتـه فيعطيَـك إتقـاءً ، وإياك أن تُسَمّـعَ فيسمع الله بـك ، سمعت شيخنا المحـدّث الـزاهـدَ أبـا الحسنِ يحيىَ بنَ الصـائغ بمـدينة سبتـة ونحن بمنزلـه يقول : [أكـل الـدنيـا بـالـدف والمزمار خيرٌ لي من أني آكلها بالدِّين] وكُفّ لسانكَ عن اللعنةِ ما إستطعت ، فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعتْ عليه اللعنة ، أي بَعُدَ عنه الخيـر الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنـه ، ولقد روينـا عن رجلٍ كـان في غزاة فضاع له آلـةٌ من آلات دابته ، فسئـل عن الضائـع فقال : راح في لعن الله ، ثم إن الرجل إستُشهد في تلك الغزاة ، فرآه إنسان في النوم فسألـه : ما فعـل الله بك ؟ فقال : إن الله وزن لي كلّ ما عندي حتى روثَ الفرس وبـولَه جعله في ميزاني وأثابني به ، فلم أرَ في الميزان سرجَ الدابة الذي كـان ضاع لي ، فقلت : يا ربِ وأين سرجُ دابتي ؟ فقـال : هو حيث جعلتـه في لعنة الله حين سُئلتَ عنـه ، فحرم خيـرَه فعادت لعنـة الســرج عليـه بهـذا المعنى ، وكـان رسول الله ﷺ في سفر فسمع إمرأة تلعن نـاقتها ، فـأمر بهـا فسيِّبت ، وقال : [لا يصحبنا ملعون] فطردت من الركب ، قال الراوي : فلقد كنّا نراها تـطلب أن تلحق بالركب والناس يطردونها فتركناها منقطعة ، فكانت عقوبـةُ صاحبتهـا أن بَعُدَ عنها خيـرُها وهـو ركوبهـا ، فحالت اللعنـة عليها فـإن اللعنةَ البعـدُ .
واحذر أن تُكفِّرَ مؤمناً فإن تكفير المؤمن كقتله ، ولا تهجر أخاك فوقَ ثـلاث ، فإذا لقيتَه بعد ثلاثٍ فـابدأه بـالسلام تكنْ خيـرَ الشخصين المتهاجِـريْن ، ولمّا هجر الحسنُ محمدَ بنَ الحنفية أخاه وتهاجر ، أنفذ إليه محمدُ بن الحنفية بعد ثـلاث فقال : [يـا أخي يا ابنَ رسـولِ الله ، إنّ رسـولَ الله ﷺ يقـول : [لا يَهجُر أحدكم أخاه فوقَ ثلاثٍ يلتقيان فيصُدّ هذا ويصُدّ هذا ، وخيـرهُما الذي

---

(١) وفي نسخة أُخرى : جمر جهنم .

يبدأ بالسلام] ، وقد فرغت الثلاثُ : فإما أنْ تـأتينيَ فتبدأني بـالسلام ، فـإنك خيرٌ مني ، وإن كنا إبني رجلٍ واحدُ ، فـأنت سبطُ رسول الله ﷺ ، فـإن خير الـرجلين المتهاجـرَيْن من يبدأ بـالسلام ، وإن لم تفعـل حتتُ إليك فبـدأتُـك بالسلام] فشكره وركب دابتَه ، وقصد إلى منزلـه ، فبدأه بـالسلام ، فـانظر مـا أحسنَ هذا كيف آثرَ على نفسه مَنْ عَلِم أنه أفضـلُ منه يـرجو بـذلك المنـزلة والمحبـةَ عند رسـول الله ﷺ ، فهكذا ينبغي للعـاقل أن يحتـاط لنفسه ويـأتيَ الأفضلَ فالأفضلَ ويعرفَ الفضلَ لأهله ، وقد ثبت أنـه : [مَنْ هجر أخـاه سنة فهـو كَسَفْك دمـه] وإياكَ واللعبَ بـالنَّرْد[1] فـإن في اللعب بالنـرد معصيـةَ الله ورسولِهِ ، وفي الشِّطْرَنجِ[2] خلافٌ ، وكلُّ ما فيه خلاف فالإحتيـاط أن تخرج من الخلاف بإجتنابه ، واجتنبِ القمار بكل شيء مطلقاً ، وكلُّ ما تغفُل باللهو بـه عن أداء فرضٍ من فـروض الله عليك ، أو عن ذكـرِ الله فاجتنبه ، دخلَ بعض أهلُ الله من العلماء على قوم يلعبون الشِّطْرنج فقال : [ما هذه التماثيـلُ التي أنتم لها عاكفون] ؟ وإن كان اللعب بالشِّطْرنج حلالاً فالمصورُ لـه مأثـوم ينـطلق عليه إسْمُ المصـورين ، وأخبرني الـزكي شيخنا أحمـدُ بن مسعـودِ بنِ شـدادِ المقري المـوصلي بمدينـة المَوْصِـل سنة إحـدى وستمائـة قال : رأيتُ رسـولَ الله ﷺ في المنام فقلت لـه : يا رسـولَ الله ما تقـول في الشِّـطرنـج ؟ [يعني في اللعب بــه] قــال رســول الله ﷺ [حــلالٌ] وكــان الــرائي حنفيٌّ المذهب ، قال : فقلت : والنردِ ؟ قال : [حرام] قال : قلت : يـا رسول الله ما تقول في الغنـاء ؟ قال : [حـلال] قلت : والشَّبَّابـةِ ؟ قال : [حـرام] قال : قلت : يا رسول الله إدعُ لي فقد مستني الحاجة أو كما قـال مما هـذا معناه ، قـال ﷺ : [رزقـك الله ألفَ دينـار ، وكـلُّ دينـارٍ أربعـةُ دراهم] واستيقـظتُ

---

(١) النرد : كلمة فـارسية ، جـوالق واسع الأسفـل ، مخروط الأعلى ، يتخـذ من خـوص النخـل ـ لعبة وضعهـا أحد ملوك الفـرس ، وتعرفهـا العامـة ـ بلعب الطاولـة ـ ا هـ . منجد .

(٢) الشطرنج : لعبة مشهورة ، معرب شترنك ـ بالفارسية ـ أي : ستة ألوان ، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه . ا هـ منجد .

فدعاني الملكُ الناصر صلاحُ الدين يوسفُ بن أيوبَ رحمه الله في شُغل ، فلما إنصرفتُ من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم ، فما بِتُّ إلاّ والدراهم عندي كاملةً التي عيّنها لي في دعائه ﷺ ، قال : فاعتقدت من تلك الساعة تحليلَ الشُّطرنج الذي كنتُ أعتقد تحريمه وتحريمَ الشبابة ، وكنتُ أعتقد النقيض في هذين الشيئين . وإياك وتصديقَ الكُهّان وإن صدقوا ، واجتنب ما إستطعتَ الإستمطار بالأنواء ، وعلمُ النجوم إجتنبه مطلقاً إحتياطاً إلاّ ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات ، والوقوفُ عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيلِ السعادة ، وما نُدَنْدِنُ(١) إلاّ على ذلك ، واحذر أن تنام وفي يدك دسم أو على ظاهرِ فمك من أجل الهوامّ والشياطين ، وإياك أن تَشُقّ على أحدٍ ولا تُضارِرْه ، ولا تكن ذا وجهين تأتي قوماً بوجهٍ ، وقوماً بوجه ، واحذر من الإحتكار لإنتظارِ الغلاء لأُمة محّمد ﷺ ، ولا تتخذ كلباً إلاّ أن تكون في أمرٍ تطلب الحراسةَ فيه أو صيدٍ ، ولا تَغْصِب مسلماً شيئاً ولا ذمياً ولا ذا عهدٍ ، وإذا ضربتَ مملوكاً أو مملوكةً حداً لم يأته ، أو لطمته في وجهه فأعتقه فإن كفارةَ فعلك به ذلك عتقُه ، ولا ترمِ مملوكَك ولا مملوكَتك بالزنى من غير علم ، فإن الله يقيم الحدَّ عليك في ذلك يومَ القيامة ، واحذر من إتّباع الصيد والمداومةِ عليه ولزومِ البادية ، فإن الصيدَ يورثُ الغفلةَ ، وسكنى البادية يورثُ الجفاءَ ، وإياك وصحبةَ الملوك ، إلا أن تكون مسموعَ الكلمة عندهم فتنفعَ مسلماً أو تدفعَ عن مظلومٍ أو تردَّ السلطان عن فعلٍ ما يؤدي إلى الشقاء عند الله . وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرتَ طاعة ، فإن نذرت معصيةً فلا تعصِ الله وكفر عن ذلك كفارةَ يمين فإنه أحوطُ وأرفعُ للخلافِ ، وعليك بطاعةِ أولي الأمر من الناس ممن ولاهّ السلطانُ أمرَك ، فإن طاعة أولي الأمر واجبةٌ بالنص في كتاب الله ، وما لهم أمرٌ يجب علينا إمتثال أمرهم فيه إلاّ المباحُ لا الأمرُ بالمعاصي ، فإن غصبوك فاقبل غصبهم في بعض أحوالك ، وإن أمروك بالغصب فلا تَغْصِب ، ولا تفارقِ الجماعةَ ولا تُخْرِجْ يداً من

(١) الدندنة : أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول . وفي الحديث «حولها ندندن» اهـ مختار الصحاح .

طاعةٍ ، ولا تنازعِ الأمر أهله فتموت مِيتة جاهلية بنص رسول الله ﷺ ، ولا تَخْرجْ على الأئمة ، ولا تنازع الأمر أهله ، وقاتل مع الأعدل من الإثنين ، وأوفِ لذي العهد بعهده ، ولذي الحق بحقه ، ولا تَحْمِلِ السلاحَ في الحرم لقتالٍ وإذا دخلت السوقَ بسهام فأمسك على نصالها لا تعقر أحداً وأنت لا تشعر ، ولا تمازح أخاك بحملِ السلاح عليه ، وأكرمْ شَعْرَك وغِبّ[1] بترجيله ، واكتحل ، وإذا إكتحلت فاكتحل وتراً واشرب مصاً ولا تتنفس في الإناء إذا شربت ، وأزلِ الإناء عن فمك ، وكُلْ بثلاثةِ أصابعَ وصَغِّرِ اللقمةَ وكَثِّرْ مضْغَها ، ولا تشرعْ في لقمة أُخرى حتى تبتلعَ الأولى ، وسمِ الله عند قطع كلّ لقمة ، واحمدِ الله إذا إبتلعتها واشكره على أنه سوّغك إياها ، ولا تجلس في مجلس أحدٍ إذا قام منه بنيةِ الرجوع إليه إلاّ أن يفارقه ولا يريدَ الرجوع إليه ، وكان ابن عمرَ رضي الله عنه إذا قام أحدٌ إليه من مكانه ليجلسه فيه يمتنع عليه ولا يجلس فإن القائم أحق به بنص رسول الله ﷺ ، ولا تردَّ طِيباً إذا عرض عليك ولا لَبَناً ولا وِسادة إذا قُدّم إليك شيء من هذا كلّه ، وإذا أخذت دَيناً فانوِ قضاءه ولا بدّ فإن الله يقضيه عنك إذا نويت ذلك ، واعدلْ بين نسائك وفي رعيتك إن كنت راعياً تسعد إن شاء الله تعالى .

وصية :

والذي أوصيك به إن كنت عالماً فحرامٌ عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلُك ، ويحرمُ عليك تقليدُ غيرِك مع تمكنك من حصول الدّليل ، وإن لم تكن لك هذه الدرجةُ وكنت مقلداً فإياك أن تلتزمَ مذهباً بعينه ، بل إعمل كما أمرك الله ، فإن الله أمرك أن تسأل أهلَ الذكرِ إن كنتَ لا تعلم ، وأهلُ الذكر هم العلماءُ بالكتابِ والسنةِ فإن الذكرَ القرآنُ بالنص ، واطلب رفع الحرج في نازلتك ما إستطعت فإن الله يقول سبحانه : ﴿مَا جَعَلَ عليكم

---

(١) الغب : بالكسر . وغب كل شيء : عاقبته . وفي الحديث «أغبوا في عيادة المريض وأربعوا» يقول : عد يوماً ، ودع يوماً ، أودع يومين وعد اليوم الثالث . اهـ مختار الصحاح . وكذلك يقال في ترجيل الشعر . وترجيل الشعر : تجعيده ، أو إرساله بمشطه . اهـ مختار الصحاح .

في الدِّينِ مِنْ حرجٍ ﴾[1] وقال النبي ﷺ : [دِيْنُ الله يُسْرٌ] فاسألْ عن الـرخصة في المسألةِ حتى تجدَها ، فـإذا وجدتهـا إعمل بهـا ، وإن قال لـك المفتي : هذا حكمُ الله أو حكمُ رسوله في مسألتك فخذْ به ، وإن قال لـك : هذا رأيي فلا تأخذ به ، واسأل غيرَه ، وإن أردتَ أن تأخذ بالعزائم في نوازلك فـافعلْ ، ولكن فيما يختص بك ، ورفع الحرج هو السُّنة ، وإذا عَلِمْتَ علمـاً من علوم الشريعة فبلغْه مَنْ لا يعلمه تكن من حملة العلم لمن لا يعلم ،وإياك أن تكتم ما أنزل الله من البيِّنـات للناس إذا علمت ذلـك ، وعليك بالسماحـة في بَيْعك وابتيـاعك ، وإذا قضيت فكن سمحـاً في إقتضـائـك ، واجتنب الـوَشْمَ[2] أن تَعْمَله أو تأمرَ به ، وكذلك التنميص وهو : إزالة الشعر من الـوجه بـالنمّاص ، والنمـاص : هو الـذي يسميه العـوام التحفيف وكذلـك التفليجُ[3] فـإن رسول الله ﷺ لعن الواشمة والمستوشمة والنامصةَ والمتنمصةَ والواشرةَ والمستوشرة : [وهي التي تفلج أسنـانهـا] والـواصلة والمستـوصلةَ المغيِّـراتِ خلقَ الله ، والواصلة : هي التي تصل شعرها ، واحذر أنْ تُعيِّرَ عبـاد الله بما إبتلاهم الله به في خلْقهم وفي خُلقُهم وما قدّر عليهم من المعاصي ، واسألِ الله عز وجل العافيةَ ما إستطعت ، وكن على نفسك لا تكنْ لها إن أردت أن تُسعـدها عنـد الله ، وإيـاك ومـا تستحليـه النفسُ إلاّ أن يكـون معهـا الشـرعُ في ذلـك فهـو الميزان . وإياك أن تذبح ذبيحةً لغير الله ، ولا تأكلْ ممـا أُهِلّ[4] لغيـر الله وما لم يذكر إسمُ الله عليه فإنه فسقٌ بنص القرآن ، ولا يستملك أهلُ الذّمة إلى ما يتبـركـون بـه في دينهم ، فـإن ذلـك من الأمـور المهلكـة عنـد الله ولقـد

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٧٨ .
(٢) وشم يـده ـ من بـاب وعـد ـ إذا غـرزهـا بـإبرة ثم ذر عليهـا النؤر ـ وهـو النيلج ـ وفي الحديث «لعن الله الواشمة والمستوشمة» ا هـ مختار الصحاح .
(٣) الفلج : في الإسنـان ـ بفتحتين ـ تباعـد مـا بين الثنـايـا والـربـاعيـات . ا هـ مختـار الصحاح .
(٤) أهل المعتمر : رفع صوته بالتلبيـة ـ وأهل بـالتسمية على الـذبيحة ـ رفـع صوتـه بها ، وقوله تعالى ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي نودي عليـه بغير إسم الله تعالى ـ وأصله : رفع الصوت . ا هـ مختار الصحاح .

رأيتَ بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك ورجالُهم يسامحونَهُنّ في ذلك، وهو أنهم يأخذون الصبيان الصغارَ ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبركَ القِسُّ عليهم ويرشونهم بماء المَعْمودية بنية التبرك، وهذا قرينُ الكفر بل هو الكفرُ عينُه، وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام، ويقرّبون القرابين لذلك. واحذر أن تؤاوي محدِثاً أحدثَ في دين الله أمراً يبْعد عن الله ويرده الدين، مثلُ الذي ذكرناه، وإياك أن تغير حدودَ الأرض فإن ذلك غصبٌ، وقد لعن رسول الله ﷺ من غَيّر منارَ الأرض، واحذر أن تُمثّل بحيوان أو تتخذه غرضاً أو يتخذَه غيرُك ولا تنهاه عنه، وإياك ونكاحَ البهائم، ولقد كان عندنا رجلٌ صالح قليلُ العلم قد إنقطع في بيته فاشترى حمارةً لم تُعلم له حاجة إليها، فسأله بعضُ الناس بعد سنين وقال له: ما تصنع بهذه الحمارة، وما لك حاجة ولا تركبها؟ فقال: يا أخي ما اشتريتها إلاّ عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني، فقال له: إن ذلك حرامٌ، فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمتُ، فعليك بالبحث عن دينك حتى تعلمَ ما يحل لك أن تأتي منه مما لا يحل لك أن تأتيه في تصرفاتك.

وصية:

إذا سألت المغفرةَ: وهي طلب الستر، فاسألْ أن يسترك عن الذنب أن يُصيبك، فتكونَ معصوماً أو محفوظاً، وإن كنت صاحبَ ذنب فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبةُ الذنبُ، وإياك أن تَظْهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافه، ولقد أخبرني الثقةُ عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي، كان بمصرَ يخدمه أبو عبد الله القرشيُّ المبتلى، فدخل الشيخُ مرةً فسمعه يقول في دعائه: [اللهم يا ربِ لا تَفْضَح لنا سريرةً] فصاح فيه الشيخ وقال له: [الله يفضحُك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبدِ الله، ولأي شي تَظْهَرُ لله بأمرٍ وللناسِ بخلافه؟ أصْدُقْ مع الله عز وجل في جميع أحوالك، ولا تُضمر خلاف ما تُظهر] فتاب إلى الله تعالى من ذلك ورجع، وليس للمغفرة مُتَعَلّق إلاّ أن يسترك من الذنب، أو يستَرك من العقوبة عليه، يقول الله

سبحانه لنبيه ﷺ : [لِيَغْفِرَ لك الله ما تَقَدّم مِنْ ذَنْبكَ وَمَا تَأخّرَ][1] فما تقدّم لا يعاقبك عليه ، وما تأخر لا يصيُبك ، وهذاإخبارٌ من الله بعصمته ﷺ . أخبرني سليمانُ الديلي ـ وكان عبداً صالحاً فيما أحسَب كثيرَ البكاء ، وكان له أنسٌ بالله ـ فقعدت معه بمقصورة الدولقي زاوية عائشة بجامع دمشق ، وجرى بيني وبينه كلامٌ ، فقال لي : يا أخي لي والله أكثرُ من خمسين سنة ما حدّثتني نفسي بمعصية قطُّ ولله الحمد على ذلك . واحذر يا أخي من التنطع[2] في الكلام والتمشدق ، وإياك أن يستعبدك غيرُ الله في عرضٍ من عروض الدنيا فإنك عبدٌ لمن إستعبدك ، وإياك والتكبرّ والجبروتَ ، وتفقدْ مصالح ما عندك من الحيوانات من بهيمة وفرسٍ وجمل وهِرّة وغير ذلك . ولا تغفُل عنهم فإنهم خُرْس وأماناتٌ بأيديكم إذا أنتم حبستموها عن مصالحها ، وإياك أن تُحدّث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه فيصدقك وأنت فيه كاذبٌ ، ولا تَحْقِر أخاك شيئاً من نعم الله وإن قلّ ولا تزدرِ واحداً من عبادِ الله ، وأملك نفَسك عند الغضب ، وعليك بتحمل الأذى من عباد الله والصبر عليه ، فليس أحدٌ أصبرَ على أذى يسمعه من الله ، إنهم ليدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم ، فاجعل الحقَ إمامك وعاملْ عباده بما عاملهم به . نزل مشركٌ بإبراهيم الخليل عليه السلام فاستضافه ، فقال له إبراهيم عليه السلام : [حتى تُسْلِمَ] فقال : يا إبراهيم لا أفعل ، وانصرف ، فأوحى الله إليه : [يا إبراهيم مِنْ أجل لقمةٍ يتركُ دينه ودينَ آبائه ؟ إنه ليشركُ بي منذ سبعين سنةً وأنا أرزقُه] فخرجَ الخليلُ عليه السلام في أثرَ الرجل ، فعرَض عليه الرجوعَ فاستخبره عن ذلك ، فأخبره بعَتْبِ الله له في ذلك فأسلم المشرك . وعليك بترتيل القرآن والتغني به وذلك بأن تُحبّره[3] وتستوفيَ حروفه ، وإياك أن تدعوَ

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢ .

(٢) التنطع في الكلام : التعمق ـ وتنطع في الكلام : تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه إلى نطع الفم . والنطع : ما ظهر في داخل الفم من الغار الأعلى ، فيه آثار كالتحزيز اهـ . منجد .

(٣) تحبير الخط والشعر وغيرهما : تحسينه . اهـ مختار الصحاح .

إلى عصبيــة بـل أدعُ إلى الله ، وإذا كنتَ في سفــر فـلا تَصُم فــإن ذلـك ليس من البــر عند الله تعالى ، وإن كنتَ ولا بد صاحبَ لهو فبإمرأتِك وفـرسِك وسهـامِك ، واجتنب الإسترقاة(١) والإكتـواءَ والطِّيَرة إن أردتَ أن تكـون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حسـاب ، وعليك بفعـل البرّ في يـوم الإثنين ويوم الخميس فإنهما يومان تُعْرضَ فيهما الأعمال على الله ، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما ، ويقول : [إني أُحبُّ أنْ يُـرْفَع عَملي وَأنـا صَائِمٌ] فـإن الصوم عبادةٌ تستغرق النهارَ كلَّه ، سواءٌ غفل العبدُ عن عبادة ربه في ذلك اليوم أو لم يغفل ، فإنه في عبادة صومه بما نواه ، وإياك والشحناء فإنها نـظير الشـرك في عدم المغفرة عند الله . واعلم أن العبدَ يُبعث على ما مات عليه ، فلا تمت إلاّ وأنت مسلم ، وإيـاك وصحبةَ من تفـارقه ولا تصحب إلاّ من لا يفـارقـك وهـو العمل ، فاجعل عملك صالحاً تأنس به وتُسر ، واجعله لك لا عليك ، واعلم أن القبر خزانةُ أعمالـك فلا تخـزن فيه إلامـا إذا دخلت إليه يسـرك ما تـراه ، يقول بعضهم :

يـا مَـنْ بُـدْنَيـاهُ إشْـتَغَـلْ ... وَقَدْ غَرّهُ طُـولُ الأمَـلْ
وَلَـمْ يَـزَلْ فـي غَـفْـلَةٍ ... حَـتّـى دَنَـامِـنْـهُ الأَجَـلْ
الْـمَـوتُ يـأتـي بَـغْـتَـةً ... والـقبـرُ صنـدوقُ الْـعَـمَـلْ

يـرجع عن الميت أهله ومـاله ، ويبقى معـه عملُه ، أشقى النـاس يـوم القيامة مَن أمر بالمعروف ولم يأتِـه ، ونهى عن المنكر وأتـاه . وعليك بكسبِ الحلال وطِيْبِ المطعم ، وفرّ بِدِيْنِك من الفتن إذا وقعتْ في الناس وظهرتْ ، وإياك والحرصَ على المال ، واحذر أن تسبَّ الدهرَ فإن الله هو الـدهر ، وإن أردت به الزمانَ فما بيد الزمان شيءٌ بل الأمر بيد الله ، لا تقل : مالي ، وهل لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبستَ فأبليت ، أو تصدقتَ فأمضيت ؟ ومـا بقي بعـد ذلــك فعليـك لا لـك ، وأنت مسؤول عمـا جمعت ، من أين

---

(١) الرقية : معروفة ـ والجمع : رقى ، واسترقاه فرقاه ، يرقيه رقية (بـالضم) فهو راق ا هـ مختار الصحاح .

جمعتَ ؟ وفيم أنفقتَ ؟ ولم إختزنت ؟ لا تتزوج من النساء إلاّ ذاتَ الدين فإن من أعظم النعم على العبد المرأةَ الصالحة تُعين على الدِّين ، ولا تَكْفُر العشير ، كُنْ من حملة العلم تكنْ عدلاً بشهادة رسول الله ﷺ فإنه قال : (يَحْمِل هذا العلَم مِنْ كُلّ خَلَفٍ عُدُولُه) إبدأ بالسلام على مَنْ هو أكبرُ منك ، وابدأ بالسلام على الماشي إن كنت راكباً ، وعلى القاعد إن كنت ماشياً ، ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء رضي الله عنه ذات يوم ، كنا نمشي ومعنا جماعة ، وإذا بالخليفة مقبلٌ فتنحينا عن الطريق ، وقلت لأصحابي : مَنْ بداه بالسلام أبخسْته ، فلمّا وصل وحاذانا بفرسه ، إنتظرْنا أن نسلم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاءِ والملوكِ ، فلم نفعل ، فنظر إلينا وقال : سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُه بصوت جهير ، فقلنا له بأجمعنا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقال : جزاكم الله عن الدِّين خيراً وشكرَنا على فعلنا وانصرف، فتعجب الحاضرون . لا تَؤُمَّنَّ رجلاً في سلطانه ، ولا نقعدْ على تَكْرِمَتِه إلاّ بإذنه ، ولا تدخل بيته إلاّ بإذنه ، ولا تَجُزُّ[1] مقدم دابته إلاّ بإذنه وليكن إمامَ القوم أقرؤهم لكتاب الله .

هذه وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

إذا إستيقظت من نومك فامسح النومَ من عينيك، واذكر الله تَحُلَّ بذلك عقدة واحدة من عقد الشيطان ، فإنه يَعْقد على قافيةَ رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عقد ، يضرب مكانَ كلِّ عقدة : عليك ليلٌ طويل فارقد ، فإذا ذكرتَ الله إنحلت عقدة ، فإذا توضأتَ حللت بوضوئك العقدةَ الثانية ، فإذا صليت حللت العقد كلَّها . إياك أن تطلب الإمارة فتوكل أُليها ، وعليك بالصباغ[2] واجتنب السواد فيه ، فإن رسول الله ﷺ أمر به ورغّب فيه وأعجبه ، واعلم أن القلوب بيد الله بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ، وقلوب الملوك بيد الله كذلك يقبضها عنا إذا شاء ، ويُعَطِّفُها

---

(١) اجتز الصوف أو العشب أو النخل ؛ قطعه ا هـ منجد .

(٢) أي استعمل الحناء لشعرك .

علينـا إذا شاء ، ليس لهم من الأمـر شيءٌ فاعـذروهم وادعوا لهم ، ولا تقعـوا فيهم ، فإنهم نواب الله في عباده وهم من الله بمكان فـاتركـوا وُلاتَه لـه تعالى يعاملهم كيف شاء ، إن شاء عفا عنهم فيما قصّروا فيـه ، وإن شاء عـاقبهم ، فهو أبصرُ بهم ، وعليـك بالسمـع والطاعـة لهم وإن كان عبـداً حبشياً مجـدَّع الأطـراف . دخل رجـل نصراني مشـركٌ بعضَ البلاد ، فبينمـا هـو يمشي وإذا بـالناس يُهـرعون من كـل مكان ويقـولون : هـذا السلطانُ قد أقبـل ، فـأقبـل المشـرك ليراه فـإذا هو أسـودٌ ، كان مملوكـاً لبعض النـاس ، وأعتقـه مجـدَّعَ الأطـراف أقبحَ النـاس صورةً ، فلمـا نظر إليـه قال : أشهـد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له في مُلكه يفعلُ مـا يُريـد ويَحكم ما يـريد ، فقيـل له : مـا الذي دعاك إلى الإسلامِ والتوحيد ؟ فقال : سلطنةُ هذا العبدِ الأسود ، فـإني رأيتُ من المحال أن يجتمعَ إثنان على توليةِ مثلِ هـذا على الناس والأشـراف والعلمـاءِ وأربابِ الـدِّين ، فعلمتُ أن الله واحدٌ يَحكُم بعلمـه في عبـاده كيف يشاء ، لا إله إلاّ هو ، ورأيت هذا أنـا من تصديق الله تعـالى رسولَـه ﷺ فيما مَثّل به لنـا في قولـه : [وإن كان عبـداً جبشياً مُجَـدّعَ الأطراف] فـإني جربتُ المُخبـرين عن الله إذا ضربـوا الأمثال بـأمرٍ مـا ، فإنـه لا بـدّ من وقـوع ذلـك المضروب به المثلُ ، كان أبو يزيـد البسطامي رضي الله عنـه يُشير عن نفسـه أنه قطب الوقت ، فقيل له يوماً عن بعض الرجال : إنـه يقال فيـه : إنه قـطبُ الـوقت ، فقال : الـولاةُ كثيرون ، وأميـرُ المؤمنين واحـدٌ ، لـو أن رجـلاً شقّ العصا وقام ثائراً في هذا الموضعِ ـ وأشار إلى قلعـةٍ معينة ـ وادّعى أنـه خليفة قُتل ولم يتمّ له ذلك ، وبقي أمير المؤمنين أميـرَ المؤمنين فما مـرّت أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر أدّعى الخلافة فقتل ، وما تم له ذلك ، فوقع ما ضربَ به أبو يزيدَ المثلَ عن نفسه ، فإياك والـوقوعَ في ولاة أمـورِ المسلمين ، وإياك أن تُنزل أحداً من الله منزلة لا تَعْرفه فيها إلاّ بتزكيةٍ عند الله فيها أو بتجريـح ، إلاّ أن تكونَ على بصيرةٍ من الله تعـالى فيه ، فـإن ذلك إفتـراءٌ على الله ، ولو صـادفتَ الحق فقد أسـاتَ الأدب ، وهـذا داءٌ عُضـال ، بـل حسّن الـظنَ بـه وقـل : فيما أحسَب وأظن هـو كـذا وكـذا ، ولا تُـزَكِ على الله أحـداً ، فهـذا

رسول الله ﷺ ـ ولا يدري ما يُفعل به ولا بنا ، بل يَتّبعُ ما يوحى إليه ـ فما عُرّف به من الأمور عَرّفها ، وما لم يعرف به من الأمور لم يُعرفه وكانت فيه كواحد من الناس ، فكم من رجلٍ عظيمٍ عند الناس يأتي يومَ القيامة لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ ، وفكّرْ في يوم القيامة وهَوْله وما يلقى الناسُ فيه ، وهو يوم التنادي ، يوم تُولون مدبرين ما لكم من الله عاصم تلجؤون إليه ، ولقد ثبت أن العَرَق يوم القيامة ليذهبُ في الأرض سبعين ذراعاً ، وإنه ليبلغ أفواه الناس . وعليك بالدعاء أن يُعيذكَ الله من فتنةِ القبر ، ومن فتنة الدجال ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر ما صنعتَ ، ومن شر ما خلَق ، وقد أوصيتُك بتغطية الإناء فإنه ثبت : [إن لله في السنة ليلةً غيرَ معينةٍ يَنزل فيها وباءٌ لا يمر بإناء ليس عليه غطاءٌ ، أو سِقاء ليس عليه وِكاءٌ إلاّ دخل فيه من ذلك الوباء] وإن للشيطان فتنةً فاستعذْ بالله منها ، وراقبْ قلبك وخواطرَك ، وزِنْها بميزانِ الشريعة الموضوعِ في الأرض لمعرفةِ الحقِ فإنك إذا فعلت ذلك كنتَ في أُمورك تجري على الحق ، فإن إبليس يضع عرشه على الماء لِما علم أن العرش الرحماني على الماء ، يُلَبّس بذلك على الناس أنه الله ، كما فعل بابن صياد ، وقد قال له رسول الله ﷺ : [ما ترى] ؟ قال : أرى عرشاً على البحر ، فقال : [ذلك عرشُ إبليس] يقول الله تعالى في عرشه : ﴿وكان عرشُه على الماء﴾(١) ثم قال : ﴿ليبلوكم﴾(١) والإبتلاء : فتنة ، فابليس ما له نظر إلاّ في الأوضاع الإلهية الحقيقة فيقيم في الخيال أمثلتَها ليقال : هي عينُها فيغترُّ بها من نظر إليها ، وما ثم شيء ، فإن الله تعالى قد أعطاه السلطنةَ على خيال الإنسان ، فيخيل إليه ما يشاء ، فإذا وضع عرشَه على الماء بعث سراياه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلى قلوب بني آدم ، إلى الكافر ليثُبت على كفره ، وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه ، وأدناهم من إبليس منزلة أعظمهم فتنةً ، فنعوذ بالله من الشيطان الرحيم .

---

(١) سورة هود ؛ الآية : ٧ .

وصيـة :

إدعُ الله أن يجعلك من صـالحي المؤمـنيـن تكـنْ وليٌّ رسـول الله ﷺ وناصرَه ، فإن الله قرن صالحَ المؤمنين مع نفسه وجبريلَ والملائكةِ في نصرة رسـول الله ﷺ(١) ، وقال رسـول الله ﷺ : [إنما وليِّيَ الله وصـالـحُ المؤمنين] وإن كنت والياً فلتساوِ في إقامة حدود الله الشرعيـة على من تعينتْ عليه ، بين شريفٍ ووضيعٍ ، ومن تحبه أو تكرهُه ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : [إنما هَلَك مَنْ كان قَبْلَكم أنهم كانوا يُقيمـون الحدودَ على الـوضيعِ ويَتْـركون الشـريف] ، وإياك يـا أخي أن تحجر عنـايـةَ الله عن إمـاء الله لمـا سمعتَ أن للرجال عليهن درجةً ، فتلك درجة الإنفعال بحكم الأصل ، فإن حـواء خلقتْ من آدم ، فلما إنفعلت عنه ، كان له عليها درجة السبقِ ، فكـل أنثى من سبق ماء المرأة وعلوه على ماء الرجل ، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ . فاعلم ذلـك فللرجال عليهن درجـة ، فإن الحكم لكـل أنثى بمـاء أمهـا ، وهنـا سرٌّ عجيب دقيق روحاني من أجله كان النساء شقائقَ الرجال ، فخلقتِ المـرأة من شِق الرجل فهـو أصلُها فله عليهـا درجة السببيـة ، ولا تقل : هـذا مخصوص بحـواء فكل أُنثى كمـا أخبرتُـك من مائهـا أي من سبق مائهـا وعلوه على مـاء الرجل ، وكـل ذكرٍ من سبق مـاء الرجـل وعلوه على ماء الأُنثى ، وكـل خنثى فمن مسـاواة الماءين وامتـزاجهما من غيـر مسابقـة . واحـذر من فتنـة الـدنيـا وزينتهـا ، وفرِّق بين زينـةِ الله ، وزينة الشيـطان ، وزينة الحيـاة الـدنيـا ، إذا جاءت الزينة مهملةً غيرَ منسوبة إلى أحد فلا تدري مَنْ زينها لك ، فانظر ذلك في موضع آخر واتخذه دليلاً على ما أُنْبَهَم عليك مثل قوله تعالى : ﴿زيَّنَّا لهم أعمالهم﴾(٢) ومثل قوله : ﴿أفَمَنْ زُيِّنَ له سوءُ عمله﴾(٣) ولم يذكرْ مَنْ زَيْنه ، فتستـدلُ على من زينـه من نفس العمـل ، فـزينـةُ الله غيـرُ محـرمـة ، وزينـة

---

(١) حيث يقـول سبحان : ﴿وإن تـظاهرا عليـه فإن الله هـو مولاه ، وجبـريـل ، وصـالـح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ الآية . سورة التحريم ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ٤ .

(٣) سورة فاطر ؛ الآية : ٨ .

الشيطان محرّمة ، وزينة الدنيا ذاتُ وجهين : وجه إلى الإباحةِ والندبِ ، ووجه إلى التحريم ، والحياةُ الدنيا موطنُ الإبتلاء ، فجعلها الله حُذْوة خضرة واستخلف فيها عباده فناظرٌ كيف يعملون فيها ، بهذا جاء الخبر النبوي فاتق فِتْنَتَها وميزّ زينتها وقل : ربِ زدني علماً ، وإذا فَجَأكَ أمرٌ تكرهه فاصبر له عندما يَفْجَؤُكَ فذلك هو الصبرُ المحمود ، ولا تتسخطْ له إبتداءً ، ثم تنظرُ بعد ذلك أن الأمرَ بيد الله وأن ذلك من الله فتصبر عند ذلك ، فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حَرّض عليه رسول الله ﷺ . ولقد مَرّ رسول الله ﷺ بأمرأةٍ وهي تَصرخ على ولدٍ لها مات ، فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبرَ ، ولم تعرف أنه رسولُ الله ﷺ فقالت له : إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي ، فقيل لها : هذا رسولُ الله ﷺ ، فجاءت تعتذرُ إليه مما جرى منها ، فقال لها رسول الله ﷺ : [إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى][1] وعليك برحمةِ الضعيف المتضعف ، فإنه قد ثبت : [إن الله ينصر عباده ويرزُقهم بضعفائهم] ، وإذا إقترضت من أحدٍ قرضاً فأحسنِ الأداء ، وأرجحْ إذا وزنت له واشكره على قرضه إياك ، وانظر الفضلَ له ولكل مَنْ أحسن إليك أو أهدى إليك هديةً أو تصدقّ عليك ولو بالسلام ، فإن له الفضلَ عليك بالتقدم . وما عَرَف مقدارَ السلام الذي هو التحيةُ إلاّ الصدرُ الأول ، فإني رأيت أنهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرةٌ وهما يمشيان في الطريق فإذا تركاها والتقيا سَلّم كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه ، لمعرفته بسرعةِ تقلب النفوس وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس ، فيكون السلامُ بشارةً لصاحبه أنه سَلِمَ من ذلك ، وأنه معَه على ما إفترقا عليه من حُسن المودة ، فانظر إلى معرِفتهم بالنفوس رضي الله عنهم . ومن قال لك : إنه يحبُّك فلو أحببْته ما عسى أن تحبه لن تبلغ درجةً تقدمه في حبه إياك ، فإن حُبّك نتيجةٌ عن ذلك الحب المتقدم ، وما قلتُ لك ذلك إلاّ أني رأيت وسمعتُ من فقراء زماننا ، من جهالهم لا من علمائهم ، يرون الفضلَ لهم على الأغنياء حيث كانوا فقراء لِمَا

---

(١) ينبه ـ ﷺ ـ العبد أنه لا يزال حاضراً مع الله أبداً ، فهو أولى به . وفي نسخة أُخرى كذا وكذا .

يأخذونه منهم ، إذ لولا الفقرُ ما صح لهم هذا الفضل ، وهذا غلطٌ عظيم فإن الثناء على المعطِي ما هو من حيث ما وَجَد من يأخذ منه ، وإنما هو لقيام صفة الكرم به ووقايته شحَ نفسه ، سواءٌ وجد مَنْ يأخذُ منه ، أو لم يجد ، ألا ترى إلى النص الوارد في المتمني فعلَ الخير مع العدم ، إذا تمنى ويقول : لو أنّ لي مالاً م فعلتُ فيه من الخير مثلَ ما فعل هذا المعطي ، فإن أجرهما سواءٌ وزاد عليه بارتفاع ! الحساب عنه والسؤال ، ولهذا قلنا بأن ترى الفضل عليك لمن أعطَى بما أعطَى فهو أولى بك ، وإن اليدَ العليا هي خير من اليد السفلى ، واليدُ العليا هي المنفقة ، واليدُ السفلى هي السائلة هذا السؤال ، ولكن إذا لم تر الله في سؤالها لأن الحق قد سأل عباده في أمره إياهم أن يُقرضوه وَيذكروه ، وهنا أسرار في التنزل الآلهي في عباده .

وصية :

إذا قرأت فاتحةَ الكتاب فَصلْ بَسْمَلتَها بالحمدُ لله إلى آخر السورة في نَفَسٍ واحد من غير قطعٍ ، فإني أقول : بالله العظيم : لقد حدثني أبو الحسن عليُّ بن أبي الفتح المعروفُ والده بالكناري ، الطبيبُ بمدينة المَوصل بمنزلي سنة إحدى وستمئة وقال : بالله العظيم لقد سمعتُ شيخنا أبا الفضلِ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ عبدِ القاهر الطوسيُّ الخطيبَ يقول : بالله العظيم لقد سمعتُ والدي أحمدَ يقول : بالله العظيم لقد سمعت المباركَ بنَ أحمدَ بنِ محّمدٍ النيسابوريُّ المقرىء يقول : بالله العظيم لقد سمعتُ من لفظ أبي بكرِ الفضلِ بنِ محّمدٍ الكاتبِ الهَرَوي ، وقال : بالله العظيم لقد حَدّثنا أبو بكر محمدُ بن علي الشاشي الشافعيُ مِن لفظه ، وقال : بالله العظيم لقد حدثني عبدُ الله المعروفُ بأبي نصر السرخسي وقال : بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكرِ محمدُ بنُ الفضل وقال : بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبدِ الله محمّد بن علي بنِ يحيى الوراقُ الفقيهُ وقال : بالله العظيم لقد حدثني محّمدُ بنُ يونسَ الطويلُ الفقيهُ وقال : بالله العظيم لقد حدثني محّمدُ بنُ الحسنِ العلويُّ الزاهدُ وقال : بالله العظيم لقد حدثني موسى بنُ عيسى وقال : بالله العظيم لقد حدثني أبو بكرِ الراجعيُّ وقال : بالله العظيم لقد حدثني عمارُ بنُ موسى

البَرْمَكي وقال : بالله العظيم لقد حدثني أنسُ بنُ مالك وقال : بالله العظيم لقد حدثني عليٌّ بنُ أبي طالبٍ وقال : بالله العظيم ، لقد حدثني أبو بكرٍ الصديقُ وقال : بالله العظيم لقدْ حدثني محّمدٌ المصطفى ﷺ تسليماً وقال : [بالله العظيم لقد حدثني جبريلُ عليه السلام ، وقال : بالله العظيم لقد حدثني ميكائيلُ عليه السلام ، وقال : بالله العظيم لقد حدثني إسرافيلُ عليه السلام ، وقال : قال الله تعالى لي : يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجُودي وكرمي مَنْ قرأ بسمِ الله الرحمنِ الرحيم متصلةً بفاتحة الكتاب مرةً واحدة إشهدوا عليَّ أني قد غفرتُ له وقَبِلتُ منه الحسناتِ وتجاوزت عنه السيئآت ، ولا أُحرق لسانَه بالنار ، وأجيره من عذاب القبر وعذابِ النار وعذابِ القيامة والفزعِ الأكبر ويلقاني قبل الأنبياءِ والأولياء أجمعين] .

وصيـة :

كن غيوراً لله تعالى ، واحذر من الغَيْرة الطبيعية الحيوانية أن تَسْتَفِزّك[1] وتُلَبّس عليك نفسك بها ، وأنا أعطيك في ذلك ميزاناً وذلك أن الذي يغار لله ديناً إنما يغار لإنتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره ، فكما يغار على امّه أن يزني بها أحدٌ ، كذلك يغارُ على أُمّ غيره أن يزنيَ بها هو ، وكذلك البنتُ والأختُ والزوجةُ والجاريةُ ، فإن كلَّ إمرأةٍ يزني بها قد تكون أُماً لشخص وبنتاً لآخرَ وأُختاً لآخر ، وزوجةً لآخر ، وجاريةً لآخر ، وكلُّ واحد منهم لا يريد أن يزني واحدٌ بأمه ولا بأخته ولا بابنته ولا بزوجته ولا بجاريته كما لا يريد هذا الغير الذي يزعم أنّه يغار لله دِيناً ، فإن فعل شيئاً من هذا وزنى وادّعى الغَيْرة في الدِّين أو المروءة فاعلم أنه كاذب في دعواه ، فإنه ليس بذي دِيْنٍ ولا مروءة مَنْ يكرهُ لنفسه شيئاً ولا يكرهه لغيره ، فليس بذي غَيْرة إيمانية ، يقول النبي ﷺ في سعدٍ والحديثُ مشهور : [إن سعداً لغيور وإني لأغْيَرُ من سعدٍ وإنّ الله لأغيرُ مني ، ومِن غَيرته حَرّم الفواحشَ] ولقد مات رسول الله ﷺ وما مست يده يد إمرأةٍ لا يحل له لمسها ، وهو رسولُ

---

(١) استفزه الخوف : استخفه ، وقعد مستفزاً : أي غير مطمئن . اهـ مختار الصحاح .

الله ﷺ ، وما كانت تبايعه النساءِ إلاّ بالقـول وقولـه للواحدة قـولُه للجميـع ، فاجعل ميزانَك في الغَيْرة للدين هذا ، فـإنْ وفيت به فـاعلم أنك غيـور للدِّين والمـروءة ، وإن وجدتَ خـلافَ ذلك فتلك غَيْـرَة طبيعية حيـوانية ليس لله ولا للمروءة فيها دخـولٌ حتى تغار منـك ، كما تغـار عليك ، وقـد ثبت : [ما من أحدٍ أغيرَ من الله أن يزنيَ عبدُه أو تزنيَ أَمته] وإذا أصابتك مصيبـةٌ فقل : [إنّـا لله وإنّا إليه راجعون] فلا تُنْزل ما تجدُ منها إلاّ بالله ثم قل : اللهم أَجِـرْني في مصيبتي واخلُف لي خيـراً منهـا فـإنه ثبت عن رسـول الله ﷺ : [إن العبد إذا قال هذا أخلفَ الله له خيراً منها] ولقد مات أبو سلمةَ فقالت إمرأتهُ هـذا القولَ وهي تقول : وَمَنْ خيرٌ من أبي سَلَمـةَ ؟ فأخلفهـا الله خيراً من أبي سلمـة وهو رسولُ الله ﷺ فتزوجَ بها وصارت من أُمهـات المؤمنين ، ولم يكن أصلُ هـذه العناية الإلهية بها إلاّ هذا القولَ عندما أُصيبت بموت زوجها أبي سلمة ، وإذا مات لك ميت فاجهد أن يصليَ عليه مائةُ مسلمٍ أو أربعون ، فإنهم شفعاءُ لـه عنـد الله ، ثبت في ذلك عنِ رسـول الله ﷺ : [ما مِنْ مسلم يصلي عليـه أُمَّةٌ من المسلمين يَبْلغون مائة كلُّهم يشفعون له إلاّ شفِّعوا فيـه] وحديثٌ آخـرُ قال قال رسول الله ﷺ : [مـا من رجلٍ مسلم يمـوت يقومُ على جنـازته أربعـون رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلاّ شفّعهم الله فيه] ومعنى لا يشركون بـالله شيئاً : أي لا يجعلون مـع الله إلهاً آخـر ، وروينـا عن بعض العـرب أنـه مَـرَّ بجنـازة يصلي عليها أُمَّة كثيرةٌ من المسلمين ، فنزل عن دابته وصلّى عليها ، فقيـل له في ذلـك : فقال : إنـه من أهل الجنـة ، فقيل : ومَنْ بـذلك ؟ فقـال : وأيُّ كريم يأتي إليه جماعة فيشفعون عنـده في شخص فيردُّ شفـاعتهم ؟ لا والله لا يـردهـا أبـداً ، فكيف الله الـذي هـو أكـرمُ الكـرمـاء وأرحمُ الـرحمـاء ؟ فمـا دعاهم ليشفعوا فيه إلاّ ويقبلُ شفاعتَهم إذ الكريمُ يقبلهـا ، وإن لم يدعهم إلى الشفاعة فيه ، فكيف وقد دعاهم ؟ .

أعلم أن الله أمـرك أن تتقيَ النار فقـال : ﴿واتقوا النـار﴾[1] أي إجعـلْ بينك وبينها وقايةً حتى لا يصلَ إليك أذاها يومَ القيامة ، فـإنه ثبت أنـه (ما من

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٣١ .

أحدٍ إلّا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تَـرْجُمان فينـظر أيمنَ منه فـلا يرى إلاّ مـا قَدّم ، ويَنْظُر أشأم منه فلا يرى إلاّ ما قَدّم ، وينظُر بين يديـه فلا يـرى إلاّ النار فاتقوا النارَ ولو بِشِقّ تَمْرَةٍ . ولقد وُشي ببعض شيوخنا بـالمغرب عنـد السلطان بأمرٍ فيه حَتْفُه ، وكان أهل البلد قد أجمعوا على مـا وُشي به ومـا قيل فيـه مما يؤدي إلى هلاكه ، فأمر السلطان نائبَهَ أن يجمع الناس ويُحضر هذا الـرجل ، فـإن أجمعـوا على مـا قيـل فيــه ، يـأمــر الـواليّ أن يقتله ، وإن قيــل غيـرُ ذلك خَلي سبيله ، فجمع النـاس لميقات يـومٍ معلوم وعَرفـوا ما جُمعـوا له ، وكلُّهم على لسانٍ واحد أنه فاسق يجبُ قتله بلا مخالف ، فلما جيء بالـرجل مَرّ في طريقه بخبّاز فـاقترضَ منـه نصفَ رغيف فتصدقَ بـه من ساعتـه ، فلما وصـل إلى المحفِل ، ـ وكـان الوالي من أكبـرِ أعدائـه ـ أُقيم في الناس وقيـل لهم : ما عندكم في هذا الرجل وما تقولون فيـه ؟ وسَمُّوه ، فمـا بقي أحدٌ من النـاس إلاّ قال : هـو عدلٌ رضـا ، عن آخـرهم ، فتعجبَ الـوالي من قـولهم خلافَ ما كان يعلمه منهم وما كانوا يقولون فيه قبـل حضوره ، فعلم أن الأمـر إلهيٌ والشيخُ يضحك ، فقال الوالي : مم تضحك ؟ فقال : من صِدْقِ رسول الله ﷺ تعجباً به وإيماناً ، والله مـا منٍ أحدٍ من هـذه الجماعـة إلا ويعتقد فيَّ خـلافَ ما شهـد به ، وأنت كـذلك ، وكلُّكم عليّ لا لي ، فتـذكـرتُ النـار ورأيتهـا أقـوى غضباً منكم ، وتـذكـرتُ نصفَ رغيف ورأيتـه أكبَـر من نصف تمـرةٍ ، وسمعتُ عن رسـول الله ﷺ يقـول : [اتّقـوا النـارَ ولــو بشقِ تَمْـرةٍ] فـــاتقيتُ غضبكم بنصف رغيف ، فـدفعتُ الأقـل من النـار بـالأكثـر من شِقّ التمـرة .

وعليك يا أخي بالصدقة فإنهـا تطفيء غضبَ الـرب ولها ظـلٌ يوم القيـامة يقي من حَـرِّ الشمس في ذلك المـوقف ، وإن الرَجـل يكون يـومَ القيامـة في ظـل صدقته حتى يُقْضى فيه بين الناس ، وما من يومٍ يصبـح فيه العبـد إلاّ وملكان ينزلان ، كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ يقـول أحدهمـا : اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُه﴾(١) ويقـول الآخر :

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٩ .

اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً يدعو له بالإنفاق مثلَ الأول المنفق ، لا يدعو عليه ، فإنهم لا يدعون إلّا بخير ، فهم الذين يقولون : ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعِلماً﴾[1] وهم الذين قال الله فيهم : إنهم يستغفرون لمن في الأرض ، فما أراد المَلَك بالتلف في دعائه إلّا الإنفاقَ ، وهذا خلاف ما يتوهمه الناسُ في تأويل هذا الخبر ، وليس إلّا ما قلناه ، فإن النبي ﷺ يقول في الرجل الذي أعطاه الله مالاً فسلطه على هَلَكَتِه فيتصدقُ به يميناً وشمالاً فجعل صدقَتَه هلاكَ المال ، وهذا معنى تلفِه ، والإنفاق ليس إلّا هلاكَ المال ، فهو من نَفَقَتِ الدابة إذا هلكت فالمال المنفوق هو الهالك لإنه هلك عن يد صاحبه بإخراجه ، ولهذا دعا للمنفق بالخلَف وهو العِوَض لما مَرّ منه مع إدّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة إذا قصد به القربة واقترنت بعطائه النية الصالحة .

وصية :

إحذر أن يراك الله حيث نهاك ، أو يفقِدك حيث أمرك ، واجهد أن يكون لك خَبيِّةُ عملٍ لا يعلمُ بها إلّا الله ، فإن ذلك أعظمُ وسيلةٍ لخلوص ذلك العمل من الشَوْب ، وقليلٌ مَنْ يكون له هذا . وعليك بصيامِ يومِ عرفة ، ويومِ عاشوراء ، وثابر على عمل الخير في عَشْر ذي الحجّة ، وفي عشر المُحَرّم ، وإذا قدرتَ على صومِ يومٍ في سبيل الله بحيث لا يؤثر فيك ضعفاً في بلائك بالعدو فافعل ، وإذا علمت أن النفس تحب أن تمشي في خدمتها فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك وتضعَ أجنحتها لك في طريقك ، وذلك أن تكون من طلاب العلم ، وإن كان بالعمل فهو أولى وأحق وأعظمُ عند الله وهو قوله : ﴿إن تتقوا الله يجعلْ لكم فُرْقاناً﴾[2] وكذلك إذا خرجت تعود مريضاً ممسياً أو مصبحاً ، فإنك إذا خرجت من عنده خرج معك

---

(١) سورة غافر ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٢٩ .

سبعونَ ألفَ ملكٍ يستغفرون لك ، إن كان صباحاً حتى تمسيَ وإن كـان مساءً حتى تصبحَ . واجهد أن تقـرأ في كلّ صبـاحٍ ومسـاءٍ ﴿أعـوذُ بـالله السميـعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيم . هو الله الذي لا إله إلاّ هو عالمُ الغيبِ والشهادةِ هو الرحمنُ الرحيمُ هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملكُ القُدّوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العـزيزُ الجبـارُ المتكبرُ سبحـانَ الله عمّا يُشْـركون ، هـو الله الخـالقُ البـارىءُ المصورُ ، لـه الأسماءُ الحسنى يُسَبِّـح له مـا في السمواتِ والأرضِ وَهُوَ العزيزُ الحكيم﴾(١) تقرأ ذلك ثلاثَ مـرات على صورةِ مـا قلناه ، تتعـوذ في كلٍّ مرة بالتعوذ الذي ذكرناه . وكذلـك بعد صـلاة المغرب ، وبعـد صلاة الصبح قبل أن تتكلم وعند ما تسلم من الصلاة تقول : [اللهم أجِرْني من النارُ سَبْع مرارٍ ، وكـذلك إذا صليتَ المغـربَ بعد أن تُسَلّم وقبـل أن تتكلم تصلي ستَ ركعات : ركعتان منها تقرأ في كلٍّ ركعة منها : [فاتحـةَ الكتاب] و [قـل هو الله أحد] ستَّ مرات [والمعوذتين] في كل ركعة من ركعتين ، وإذا سلمت فقـل عقيب السلام : اللهمَ سـدّدني بالإيمـان واحْفَظْه عليْ في حيـاتي وعنـد وفاتي وبَعْد مماتي ، وكذلك تقول في إثـر كل صـلاةٍ فريضـة إذا سلمت منها وقبل الكلام : اللهم إني أُقدّم إليك بين يدي كلِّ نَفَسٍ ولمحةٍ ولحظةٍ وطَـرْفَةَ يَطْرُف بها أهلُ السمواتِ وأهلُ الأرضِ وكلِّ شيء هو في علمك كـائنٌ أو قد كان اللهم إني أُقدّم إليك بين يدي ذلك كلّه : ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيومُ لا تأخذه سنَةٌ ولا نَوْمٌ له ما في السمواتِ وما في الأرض ، مَنْ ذا الـذي يَشْفَعُ عِنْده إلاّ بإذنه ؟ يَعْلم ما بَيْن أيـديهم وَمَا خَلْفَهم ولا يُحيـطون بشيء مِنْ علمه إلاّ بمـا شاء وَسِـع كُرْسِيّـه السمواتِ والأرضَ ولا يَؤُدُهُ حِفْـظُهُمـا وهـو العليُ العظيم﴾(٢) وإياك والإصرارَ ـ وهو الإقامةُ على الـذنب ـ ، بل تب إلى الله في كل حال ، وعلى إثر كل ذنب ، ولقد أخبرني بعضُ الصالحين بمدينـة قرطبـة من أهلها قال : سمعتُ أنّ بمرسية رجلاً عالماً أعرفه ورأيتُه وحضـرتُ مجلسَه

---

(١) سورة الحشر ، الآيات : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٥٥ .

سنةَ خمسٍ وتسعينٍ وخمسمئة بمرسية ، وكان هذا العالم مسرفاً على نفسه ، وما منعني أن أُسَمِّيَه إلاّ خوفي أن يُعْرف إذا سميتهُ ، فقال لي ذلك الفقير الصالح : قصدتُ زيارةُ هذا العالم ، فامتنع من الخروج إليّ لراحةٍ كان عليها مع إخوانه ،فأبيتُ إلاّ رؤيتَه ، فقال : أخبروه بالذي أنا عليه ، فقلت : لا بدّ لي منه ، فأمرني فدخلتُ عليه ، وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر ، فقال له بعض الحاضرين : إكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئاً من الخمر ، فقال : لا أفعل أتريدون أن أكونَ مُصِرّاً على معصية الله ، والله ما أشربُ كأساً إذا تناولته إلاّ وأتوب عقيبَه إلى الله تعالى ، ولا أنتظرُ الكأس الآخر ، ولا أُحَدِّث به نفسي ، فإذا وصل الدَّوْرُ إليّ وجاء الساقي بالكأس ليناولني إياه ، أُنظرُ في نفسي ، فإن رأيت أتناوله تناولتُه وشربته وتبتُ عقيبه ، فعسى الله أن يَمُنَّ عليّ بوقتٍ لا يخطر لي فيه أن أعصي الله ، قال الفقير : فتعجبتُ منه مع إسرافه كيف لم يَغْفَل عن مثل هذا ، ومات رحمه الله .

وصية :

إذا صليتَ فلا ترفعْ بصرَك إلى السماء ، فإنك لا تدري يرجعُ إليك بصرُك أم لا ، وليكن نظرُك إلى موضع سجودك أو قِبْلتك ، وحافظْ على تسويةِ الصف في الصلاة ، وإذا رأيت مَنْ بَرَزَ بصدره عن الصف ترُدّه إليه ، واحذر أن تأتي أمراً إلاّ عن بصيرة وعلمٍ ، ولا تدخلْ في عملٍ لا تعرف حكَمه عند الله ، وأدّ الحقوقَ في الدنيا فإنه لا بدّ من أدائها ، فإن أدّيتَها هنا شكرَ الله فعلَك وأفلحتَ . وعليك بمخالفةِ أهل الكتاب وكلِّ مَنْ ليس على دينك ولو كان خيراً فاطلب على ذلك في الشرع ، فإذا وجدته مجملاً أو معيّناً فاعملْ به من حيث ما هو مشروع لك تكنْ مؤمناً ، وإذا رأيت ما تكرهه ولا تعرفه فسلمه إلى صاحبه ولا تعترض عليه فإن الله ما ألزمك إلاّ بما تعرف حكم الله فيه فتحكم فيه بحكم الله ، ولا تنظرْ إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به ، فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف ، ورأيتُ كثيراً من الناس يقعون في مثل هذا . وإياك والإعتداء في الدعاءِ والطهور فإن ذلك مذموم وليس بعبادة ، ومثلُ الإعتداء في الدعاء أن تدعوَ بقطيعةِ رحمٍ وشبهِ

ذلك ، والإعتداء في الطهور : الإسرافُ في الماء والزيادةُ على الثلاث في الوضوء ، وإذا توضأتَ فاعزم أن تجمَع بين مسحِ رجليك وغَسْلِهما فإنه أولى ، ولا تَتْرك شيئاً من سنن الوضوء ، فإن من سننه ما فيه خلافٌ بين وجوبه وعدم وجوبه ، كالمضمضة والإستنشاق . وإذا صليتَ فاسْكُنْ في صلاتك ، ولا تلتفتْ يميناً وشمالاً ولا تَعْبَثْ بلحيتك في الصلاة ولا بشيء من ثِيَابك ، ولا تشتمل الصَّماء[1] في الصلاة ، وليكن ظهرك مستوياً في ركوعك ، ولا تدبج[2] كما يدبج الحمار ، واحذر أن تكونَ مكاساً وهو : العَشّار ، أو مدمنَ الخمر أو مصراً على معصية ، وإياك والغُلُول[3] والرِّبا ، وعليك بالدعاء بينِ الأذان والإقامة وعليك بذكر لفظة : [الله الله] من غير مزيد فإن نتيجة هذا الذكرِ عظيمةٌ ، قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا ـ وكان ذكره الله الله من غير مزيد ـ فقلت له : لم لا تقول لا إله إلاّ الله ؟ أطلبُ بذلك الفائدةَ منه ، فقال لي : يا ولدي أنفاسُ المتنَفِّس بيد الله ، ما هي بيدي ، وكلُّ حرف نَفَس فأخاف إذا قلت : [لا] أريد : لا إله إلاّ الله ، فربما يكونُ النَّفَس بـ : [لا] آخرَ نفسي فأموت في وحْشَة النفي ، وكلمةُ الله فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها ، فإنه ما ثَمَّ كلمةٌ تَحْذِف منها حرفاً فحرفاً إلاّ ويَخْتَلُّ ما بقي ، إلاّ هذه الكلمةَ كلمةَ-الله ، فلو زال الألف بقي [لله] كلمةٌ مفيدةٌ ، ولو زالت اللام الأولى بقي [له] وقد قال تعالى : ﴿لله

---

(١) قال أبو عبيد : اشتمال الصماء : أن يجلل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ، وهو : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً . وذكر أبو عبيد أن الفقهاء يقولون : هو أنْ يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه . اهـ مختار الصحاح .

(٢) دبج الرجل تدبيجاً : إذا بسط ظهره وطأطأ رأسه ، فيكون رأسه أشد انحطاطاً من أليتيه . وفي الحديث : (أنَّه نهى أن يدبج الرجل في الركوع كما يدبج الحمار) اهـ مختار الصحاح .

(٣) أغل الرجل : خان . وفي الحديث (لا إغلال ولا أسلال) أي : لا خيانة ولا سرقة ، وقيل : لا رشوة اهـ مختار الصحاح .

ما في السموات وما في الأرض﴾[1] وقال : ﴿له مُلك السموات والأرض﴾[2] فلو زال اللامان والألف بقي الهاء ، وهو قولك : ﴿هــو﴾ وقد جاء ﴿هو الله﴾[3] ، وفي غير هذه الكلمة فيما أظن ما تجد مثلَ هذا ، وكان رجلاً أمياً من عامة الناس وكان نظره مثلَ هذا واعتباره . وعليك بالتباهي في الأمور الدينية وتزيينِ المصاحف والمساجدِ ، ولا تنظرْ إلى قولِ الشارع في ذلك : إنه من أشراط الساعة كما يقول من لا علم له ، فإن رسول الله ﷺ ما ذَمّ ذلك ، وما كلُّ علامة على قرب الساعة تكون مذمومةً ، بل ذكر رسول الله ﷺ للساعة أموراً ذَمها ، وأموراً حَمِدَها ، وأموراً لا حمدَ فيها ولا ذمَ ، فمن علامات الساعة المذمومةِ : أن يَعُق الرجلُ أباه ويَبَرُّ صديقَه ، وارتفاعُ الأمانة ، ومن المحمودةِ : التباهي في المساجد وزخرفتُها ، فإن ذلك من تعظيم شعائر الله وما يغيظ الكفار ، ومما ليس بمحمودٍ ولا مذموم كنزول عيسى عليه السلام، وطلوعِ الشمس من مغربها وخروج الدابة، فهذه من علامات الساعة لا يقترن بها حمدٌ ولا ذم، لأنها ليست من فعل المكلف وإنما يتعلق الحمد والذم بفعل المكلف، فلا تجعل علاماتِ الساعة من الأمور المذمومة كما يفعله مَنْ لا عِلْم له ، ورأيتُ من القائلين بذلك كثيراً . وحافظْ على الصف الأول في الصلاة ما إستطعت ، فإنه قد ثبت [لا يزالُ قومٌ يتأخرون الصف الأول حتى يؤخرَهم الله في النار] ، وإذا دعوت الله فلا تستبطىء الإجابةَ ، ولا تقلْ : إن الله ما إستجاب لي ، فإنه الصادق وقد قال : ﴿أُجِيْبُ دَعْوَةَ الداعي إذا دعاني﴾[4] فقد أجابك إن كان سَمْعُ إيمانك مفتوحاً فقد سمعته ، وإلاّ فإتّهمْ إيمانك بذلك ، فإن دعوت بإثم أو قطيعةِ رحم فإن مثلَ هذا الدعاءِ لا يستجيبُ الله لصاحبه ، فإنه تعالى قد شرع لنا ما ندعوه فيه ، وهذا هو الإعتداء في الدعاء ، وإن الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبدُ الداعي بما يجوز فيه الدعاء : لم يُستجب لي ، فإنه إذا قال : لم يُستجب لي فقد كذّب الله في قوله : ﴿أُجِيْبُ دعوةَ الداعي إذا دعاني﴾[4] ومن كَذّب

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٤ .
(٢) سورة الحديد ؛ الآية : ٢ .
(٣) سورة الحشر ؛ الآية : ٢٢ .
(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٦ .

فليس بمؤمن ، وله الويلُ مع المكذِّبين إلاّ أن يتوب . وعليك إذا لم تواصلْ صومك بتعجيلِ الفطر وتأخيرِ السحور ، وإن العبد إذا صلى أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفتْ أعرضَ الله عنه ، وكان لِمَا إلتفت إلاّ إذا إلتفت لأمر مشروع ليقيم بذلك الإلتفات أمراً يختص بالصلاة ، كالتفات أبي بكر لمّا سبّح به عند مجيء رسولِ الله ﷺ فذلك ما أعرض عن الله . واجتنب دخول المسجد إن كنت جنباً ، وقراءةَ القرآن ومَسّ المصحف ، وكذلك الحائضُ فإنه أخرجُ عن الخلاف ، وكلما قدرت أن لا تفعل فعلاً إلاّ ما يكون الإجماع فيه فهو أولى ما لم تضطر إليه ، مثلُ إجتنابِ أكلِ ثمنِ الكلبِ وكسبِ الحجام وحُلوان الكاهن ومَهْرِ البَغي ، ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غنى أو قادراً على الكسب ، وإياك أن تتقدمَ على قومٍ إلاّ بإذنهم ، ولا تروّع مسلماً بما يروعه منك أيّ شيء كان ، وعليك بمجالس الذكر ، ولا تتصدقْ إلاّ بطيّب أعني . بحلال ، وإن كنت مجاوراً بالمدينة فلا يُخْرِجَنك منها ما تلقاه من الشدة فيها من الغلاء واللأواء ، ولا تُرِدْ أهلَ المدينة بسوء ، بل ولا مسلماً أصلاً ، وإذا أصبت من جهةٍ فاجتنبها وانظر في محاسن الناس ، ولا تنظرْ من إخوانك من المؤمنين إلاّ محاسِنَهم ، فإنه ما من مسلم إلاّ وفيه خلقٌ سيء وخلقٌ حسن ، فانظر إلى ما حَسُن من أخلاقه وَدَعْ عنك النظَر فيما يَسوء من أخلاقه ، وإذا صليت فأقم صُلْبَك في الركوع والسجود ، واشكر الله على قليل النعم كما تشكره على كثيرها ، ولا تستقلل من الله شيئاً من نعمه ، ولا تكن لعّاناً ولا سبّاباً ، وإياك وبغضَ من يَنْصُر الله ورسولَه أو يحب الله ورسولَه ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنةَ تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان وكان قد بلغني عن رجل أنهُ يبغض الشيخَ أبا مدين ، وكان أبو مدين من أكابر العارفين ، وكنتُ أعتقد فيه على بصيرة ، فكرهتُ ذلك الشخصَ لبغضه في الشيخ أبي مدين ، فقال لي رسول الله ﷺ : [لِمَ تكرهُ فلاناً] ؟ فقلت لبغضه في أبي مدين، فقال لي : [أليس يحبُّ الله ويحبني]؟ فقلت له: بلى يا رسول الله إنه يحب الله تعالى ويحبُّك ، فقال لي : [فلِمَ تبغضه لبغضه أبا مدين ، وما أحببته لحبه في الله ورسوله] ؟ فقلت له : يا رسول الله من الآن إني والله

زَلَلت وغَفَلتُ ، والآن فـأنـا تـائبٌ وهـو من أحب النـاس إلي فلقـد نَبَّهتَ ونصحتَ صلى الله عليك ، فلما إستيقظتُ أخذتُ معي ثوباً لـه ثمنٌ كثير ، ونفقـةً لا أدري ، وركبت وجئت إلى منزلـه فـأخبـرتُـه بمـا جـرى فبكى وقَبِـل الهدية ، وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله تعالى فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبّه ، فأردت أن أعرف سبب كراهتـه في أبي مدين مـع قولـه بأن أبـا مدين رجـل صالـح ، فسألته فقال : كنت معـه ببجايـة ، فجاءتـه ضحايـا في عيـد الأضحى فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً ، فهذا سبب كراهتي فيه ووقـوعي والآن قد تبت ، فـانظر مـا أحسنَ تعليمَ النبي ﷺ ، فلقد كـان رفيقاً رقيقاً . وإذا إسترعاك الله رعيةً مسلمين أو أهلَ ذمةٍ فإياك أن تَغُشَّهم ولا تُضمر لهم سـوءاً ، وانـظر فيمـا أوجب الله عليـك من الحقـوق لهم فـأدِّهـا إليهم ، وعاملهم بها ظاهراً وباطناً سراً وعلانية ، ولا تجعل ذمياً خصمَك يوم القيامة ، وإذا رأيت من أحدٍ حالةً سيئة يـطلب أن تُسْتَر عليـه فاستـره فيها ، ولـو لم يرد الستـر فاستـرها أنت عليـه على كل حـال ، وإذا أكلت طعامـاً فلا تـأكل إكْلَةَ الجبارين متكئاً ، وَكُلْ كما يأكل العبدُ فإنـك عبد على مـائدةِ سيـدك فتأدب ، وإذا رأيتَ من يطلب ولايةَ عمـلٍ فلا تسع له في ذلـك ، فإن الـولاية منـدمة وحسـرة في الآخرة ، وقـد أمرك الله بـالنصيحة ، وإذا رأيت قـوماً وَلَّـوْا أمرَهم إمرأةً فلا تدخلْ معهم في ذلك .

وصيـة :

لا تُسْبَقْ إلى فضيلة إذا وجـدتَ السبيلَ إليهـا ، وانـظرْ في الـدنيـا نـظرَ الراحل عنها والمطالَبِ بمـا نال منهـا ، وإذا نكحت فأوْلم بمـا قدرتَ عليـه ، وإذا نمت أو دخلتَ أو أكلتَ أو شربتَ أو فعلت فعلاً فسمِّ الله عليـه واذكره ، وتناولْ بيمينك أمورَك كلَّها ، إلاّ ما ورد فيه النهي من الشـارع ، أو ما يجـري مجـرى النهي ، مثـلُ الإستنجـاء ومسِّ الـذكـرِ بـاليمين أيضـاً عنـد البـول والإمتخاط ، فافعل ذلك كلَّه بيسـارك ، وإذا أكلتَ مع جمـاعة طعـاماً واحـداً فكُلْ مما يَليك ، وإذا إختلف الطعام فكُلْ من حيث تشتهي ، وقَلِلِ النظر إلى من يأكلُ معك ، وصَغِّر اللقمةَ وشَدِّدِ المضـغ ، وسَمِّ الله في أول كلِّ لقمـة ،

واحمدِ الله في آخرها إذا إبتلعتها ، واشكرِ الله حيث سَوَّغكها ، ولا تكثرِ الشره في الأكل ، ولا تسرعْ إلى لقمة أخرى حتى تبلغَ الأولى ، وتعاهد المشي إلى المساجد مساجدِ الجماعات في أوقات الصلوات ولا سيما العتمةُ والصبحُ من غير سراج ، تُبَشَّرْ بالنور التام يوم القيامة ، وإذا سمعت من يَعْطِس وحمد الله فشمّته ، وإن لم يحمد الله فذكّره بحمد الله ، فإذا حمد الله فشمّته ثلاثَ مرات ، فإذا زاد في العطاس على ثلاثةً فهو مزكوم فادعُ الله له بالشفاء . وإياك أن تخون من خانك ، ولا تعتدِ على من إعتدى عليك ، فإنّ ذلك أفضل لك عند الله ، واعذُر ولا تعتذر فإن إعتذارَك يتضمن سوء ظنك بمن إعتذرت له ، وأبدأ في المعاملة مع الخلق بالأولى فالأولى ، وإذا تساوتِ الأمور وبدأ الله بذكر شيء منها فابدأ بما بدأ الله به ، كما فعل رسول الله ﷺ في حَجّته لمّا أراد أن يسعى بين الصفا والمروة [الذي هو] من شعائر الله فقال : [أبدأ بما بدأ الله به سبحانه] ، وإذا قمتَ في عبادةِ الله فأعمل نشاطك ، وإذا كسلت فاترك إلاّ ما أوجب الله عليك فعله ، ولا تعبد الله

بكسلٍ فإن ذلك إستهانة بجناب الله ، ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى ، وإذا صليت وأحدٌ ينظر إليك فانوِ في تحسين صلاتك تعليمَه ، وأخلص لله عبادتَك فإنه ما أراد أن تعبده إلاّ مخلصاً ، وافعلْ ما أوجب الله عليك فعلَه ولا بدَّ ، سواء كسلت أو كنت نشيطاً ، وإنما أمرتك بالترك في النوافل ، ولا تعبدِ الله بكسل وانتقل إلى نافلةٍ غيرها ، ولا تُحَسّن صلاتك في الملأ دون الخَلاَ ، فإنْ فَعَلَ ذلكَ مَنْ فعله فإن ذلك الفعلَ إستهانةٌ إستهان بها رَبه ، وكذا ثبت ، وإن كنتَ ممن يَصلُح للإمامة فصلِ خلف الإمام فإنه إن أحدث الإمام في الصلاة إستخلفك ، وإن لم تكن من أهلها فصلِ يمينَ الصف أو يسارَه ، وحافظْ على الصف الأول ، وإذا رأيت فُرجةً في الصف فَسدَّها بنفسك ، فلا حرمةَ لمن رآها وتركها ، وتَخَطَّ رقابَ الناس إليها ، وسارع إلى الخيرات وكنْ لها سابقاً ، ونافس فيها قبل أن يُحال بينك وبينها ، وإياك أن تتخلى في طريق الناس أو في ظِلّهم ولا تحتَ شجرةٍ مثمرة ، ولا في مجالس الناس ، ولا تَبل في هواء ولا في جُحْر ولا في ماء دائم ثم تتوضأ

منه أو تغتسل فيه ، واتقِ الله في زوجتك وولدِك وخادمِك وفي جميع مَنْ أمرَك الله بمعاملته ، واحذر فتنةَ الدنيا والنساءِ والولدِ والمالِ وصحبةَ السلطان ، واتق الله في البهائم ، واجعل من صلاتك في بيتك ، وَعيّن في بيتك مسجداً لك تتنفل فيه وتصلي فيه فريضتك إن إضطُررت إلى ذلك ، وأكثر من قراءة القرآن بتدبرٍ إن كنت عالماً ، فإنه أرفعُ الأذكار الإلهية ، وإن كنتَ في جماعة يقرؤن القرآن فاقرأ معهم ما إجتمعتم عليه فإن إختلفوا[1] فقم عنهم ، وحافظْ على قراءة الزهراوين : البقرةِ وآل عمران ، وإذا شرعت في سورةٍ من القرآن فلا تتكلمْ حتى تختمها ، فإن ذلك دأبُ العلماء الصالحين ، ولقد حدثني غيرُ واحد بقرطبة عن الفقيه ابن زرب صاحب الخصال أنه كان يقرأ في المصحف سورةً من القرآن ، فمرّ عليه أميرُ المؤمنين بقرطبة زمانَ بني أمية ، فقيل للخليفة عنه ، فمسك رأسَ فرسه وسلّم عليه ، وسأله فلم يكلمْه الشيخُ حتى فرغ من السورة ، ثم كلمه ، فقال له الخليفة في ذلك فقال : ما كنتُ لأتركَ الكلام مع سيدك وأكلمك وأنت عبده ، هذا ليس من الأدب ، ثم ضرب له مثلاً به وبعبيده ، فقال : أرأيتَ لو كنتُ في حديثٍ معك وكلمني بعضُ عبيدك أيَحْسُن مني أن أتركَ الكلامَ معك وأقطعَه وأكلمَ عبدك ؟ قال : لا ، قال : فإنك عبدُ الله فبكى الخليفةُ . ولقيتُ جماعة على ذلك من شيوخنا ، منهم أبو الحجاج الشربلي بإشبيلية ، وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلا بنفسه .

وإذا دخلتَ على مريض أوميتٍ فاقرأ عنده سورة يس فإنه إتفق لي فيها صورةٌ عجيبةٌ وهي : أني مرضتُ فغشي علي في مرضي بحيث أني كنتُ معدوداً في الموتى ، فرأيتُ قوماً كريهي المنظرِ يُريدون أذيتي ، ورأيتُ شخصاً جميلاً طيّبَ الرائحةِ شديداً يُدافعهم عني حتى قهرهم ، فقلت له : من أنتَ ؟ فقال : أنا سورةُ يس أدفعُ عنك ، فأفقتُ من غشيتي تلك ، وإذا بأبي رحمه الله عند رأسي يبكي وهو يقرأ يس وقد ختمها ، فأخبرتُه بما

---

(١) وفي نسخة أخرى : فإن اختلفتم .

شهدتُه ، فلما كان بعد ذلك بمدة رويت[1] في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (إقرَؤا على موتَاكُم يس) . وعليك بالصلاة في النعال إذا لم يكن بها قذرٌ ، والمشيِ في النعال ، واستوصِ بطالب العلم خيراً وبالنساء خيراً ، واعتدلْ في السجود إذا سجدتَ في الصلاة أو في القرآن ولا تبسُط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلبُ ، ولا تكلف نفسك من العمل ما لا تُطيقه وتعلمُ أنك تدوم عليه ، وإذا حضرت عند ميت فلَقِّنه : [لا إله إلاّ الله] ولا تسيءِ الظنَ به إذا لم يقل ذلك أو تراه يقول : [لا] ، فإني أعلمُ أن شخصاً بتونس جرى له مثلُ هذا ، وكان مشهوراً بالصلاح ، فلما أفاق قيل له في ذلك ، فقال : ما كنتُ معكم وإنما جاءني الشيطانُ في صورة مَنْ سلف ودرجَ من آبائي وإخواني ، فكانوا يقولون لي : إياك والإسلامَ ، مُتْ يهودياً أو نصرانياً ، فكنتُ أقولُ لهم : [لا] حتى[2] سمعتموني أقولُ لهم : [لا] إلى أن عصمني الله منهم . وإذا كان لك صاحبٌ فعُدْه إن مَرِض ، وصَلِّ عليه إن مات ، وشَيِّعْ جنازته ، وإذا شيعتَ جنازته : فإن كنت راكباً فامشِ خلفها ، وإن كنت ماشياً فامشِ بين يديها ، وإذا حضرتَ دفن ميتٍ من المسلمين فلا تنصرف عن قبره ، وقِفْ ساعةً قدْرَ ما يُسأل ، فإنه يجدُ لوقوفك أنْساً ، وإن حملتَ جنازةً فأسرع بها فإن كانَ خيراً سارعت بها إليه ، وإن كان شراً حططته عن رقبتك ، ولا تذكر مساويَ الموتى ، وغطِ الإناء الذي تشربُ منه ، وأوْكِ السقاء فإنك لا تدري لعل حيواناً مُضراً ذا سم شربَ منه ، وأطفىء السراج عند نومك ، وأغلقْ بابك إذا أردت النومَ فإن الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً ، وإذا أغلقت بابك فسمِّ الله عند غَلْقه ، واقرأ آيةَ الكرسي عند نومك ، وسدِّد في الأمور وقاربْ ، ما إستطعت فاعملِ الخيرَ ولا تقل : إن كان الله كتبني شقياً فأنا شقي ، وإن كان كتبني سعيداً فأنا سعيدٌ فلا أعمل ، فاعلم أنك إذا وُفِّقت لعملِ الخير فهو بُشرى من الله أنك من السعداء ، فإنه لا يُضيع أجرَ مَنْ احسن عملاً ، وإن الله يقول : ﴿فأمّا مَن

(١) لعل صوابه رأيت .

(٢) وفي نسخة أخرى : حين .

أَعْطَى واتَّقى وَصَدَّقَ بالحُسنى فَسَنُيَسِّرُه لليُسرى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنى وَكَذَّبَ بالحُسنى فَسَنُيَسِّره لِلعُسْرَى﴾(١) وقال ﷺ : [إعْمَلوا واتَّكلوا ، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لـه] فَمَنْ خُلق للنعيم فسنيسره لليسرى ، ومن خلق للجحيم فسنيسره للعسرى ، وعليك بذكرِ محاسن مَنْ تعرفُ من الموتى ، والكفِ عن ذكر مساويهم ، وأنزلْ كلَّ أحدٍ منزلته تكنْ عاقلاً عادلاً منصفاً ، واتركْ حقك لأخيك ما إستطعت ، وأَقِلْ عثرات أهلِ المروءاتِ والهيآتِ ، إلاّ في إقامة الحدودِ المشروعة إن كنتَ حاكماً ذا سلطان ، وإن كنتَ ذا ثروةٍ وحظٍ من الدنيا فارتبطْ فرساً أو جملاً في سبيل الله وامسحْ بنواصيها وأعجازها وقلّدها ، ولا تقلدها وتراً ، ولا تعلق عليها جرساً ، وجاهدْ بمالك ونفسِكَ مَنْ أشرك بالله تعالى ، واشفع إلاّ في حدٍ إذا بلغَ إلى الحاكم ، وألبس البياض من الثياب ، فإنّه خيرُ لباس المؤمن وأطهرُه وأطيبُه ، وكفِّن الميتَ فيه ، وإذا جاءك سائلٌ في العلم أو غيره فلا تنهرْهُ ، ولا تخيب مَنْ جاء يَسْترفدك مما فضّلك الله عليه به من الرزق ولو بشق تمرة . وأكثرْ من زيارة القبور ، ولا تكثرْ من الجلوس عندها ، ولا تقل هجراً بل إجلس ما دمتَ تعتبر وتَذْكُر الآخرة ، ولا تؤذِ أصحاب القبور بالحديث عندها في أُمور الدنيا ، وبلغْ عن رسول الله ﷺ ولو خبراً واحداً أو آيةً فإنك تُحشر بذلك في زمرة العلماء المبلغين ، ومر الصبي بالصلاةِ لسبع سنين ، واضربه عليها لعشر سنين ، وفرق بين الصبيان في المضاجع . وإياك أن تفضي إلى أبيك أو أخيك في الثوب الواحد ، وتابعْ بين الحج والعمرة ، وإن جاورتَ بمكة فأكثِر من الإعتمار والطوافِ إذا قدرتَ على ذلك ولا سيما في رمضان ، فإن عمرةً في رمضان تَعْدِل حجة ، هذا هو الثابت ، وأكثر من أكلِ الزيت والإدّهان به ، وإذا إشتريت طعاماً فاكْتَله ، واجتنب السبعَ الموبقات وهي : الشركُ بالله ، والسحرُ ، وقتلُ النفس التي حَرّم الله إلاّ بالحق ، وأكلُ مال اليتيم ، وأكلُ الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات .

---

(١) سورة الليل ؛ الآيتان : ٦ ، ٧ .

وصيـة :

عليك بكثرةِ السجود وعليكَ بـالجماعـةِ ، وإن قدرت أن تسكن الشـامَ فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : [عليكم بالشام فإنه[1] خِيْرَة الله من أرضه ، وإليها يجتبي خيْرَته من عباده] وإياك والحديثَ بالظن ، فإن الظن أكـذبُ الحديث ، وإيـاك والحسدَ ، ولا تجلس على الـطرقات ، ولا تـدخل على النسـاء المغنيات ، وإذا بِعْتَ فـلا تكثر من اليمين على سلعتـك ، وإياك أن تتقلد أمراً من أُمور المسلمين ، فإن ألجئت إلى ذلك فـلا تَحْكم بين إثنين وأنت غضبـان ، ولا وأنت حاقن أو حـاقِبٌ[2] ولا جائـع ولا وأنت مستوفز[3] لأمرٍ لا بدّ لك منه ، واعدلِ بين رِجْلَيْك إذا إنتعلت أو وضعت إحدى رجليك على الأُخـرى ، وإذا ركبت فـلا تـرحِ الـواحـدة وتتعب الأُخـرى ، واعلم أنّ جوارحك من رعيتك ، فاعدل فيها ، فإن الله أمرك بالعدل فيما إسترعاك فيه ، وإن كنتَ مملوكـاً فلا تقـلْ لمالكـك : ربي وقـلْ : سيـدي ، وإن كـان لـك مملوك أو مملوكةٌ فلا تقل : عبدي ولا أُمتي ، وقـل : غلامي وجـاريتي ، ولا تقـل لأحدٍ : مـولاي ، فـإن المـولى هـو الله ، وقـد نهيتَ أن تقـول : خُبثت نفسي ، وقـل : لِقسَت نفسي[4] ، وإذا طلب منكَ جـارُك أن يَغْرِز خشبـة في جـدارك فـلا تمنعـه ، ولا تنـظر إلى عـورة أحـدٍ ولا في بيتـه إلاّ بـإذنـه ، ولا تصحْب إلاّ مَنْ تجدُ في صحبتـه الـزيـادةَ في دينـك وإيمـانـك ، وقـدمّ في معروفك كـلّ تقي ، ولا تُعْطِ الفاجـرَ ما يستعين بـه على فجوره . وإن كـانت لك زوجةٌ وضربَتها لأمر طرأ منها فلا تجامِعْها من يومها ، وإياك أن تسأل بوجهِ الله شيئاً إلاّ الله في جنته ورؤيته ، وأما في شيء من عَـرضَ الدنيـا فلا ، وإن

---

(١) وفي نسخة أُخرى : فإنها .

(٢) حقب : كفرح ، والحاقب : من تعسر عليه البول ا هـ قاموس .

(٣) استوفز في قعدته ، إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن . ا هـ مختار الصحاح .

(٤) لقس ، لقساً ، ولقست نفسه من الشيء : غثت وخبثت ، فهي لقسـة ، ولقست نفس فـلان إلى الشيء : نازعتـه إليـه ، وتلقست نفسـه من الشيء : ضـاقت . واللقس : الشره النفس ، الحريص على كل شيء ، من لا يستقيم على وجه . ا هـ منجد .

ركبتَ البحر فلا تـركبه إلا حـاجاً أو معتمـراً ما إستـطعت ، ولا تخطُبِ إمـرأةً على خِـطبة أخيـك ، ولا تَسُم على سومـه حتى يَـذرَ ، وإن كنتَ ضيفاً عنـد قوم ٍ فلا تَصُم إلاّ بإذنهم ، وإن كنت في خدمةِ شيخ فـلا تَصُم ولا تتحرك إلاّ بإذنه ، والمرأةُ لا تصوم إلاّ بإذن زوجها صومَ النافلة أو قضـاءَ شهر رمضـان ، ولا تـأذنُ في بيت زوجها إلاّ بـإذنه إذا كـان حاضـراً ، ولا تسألُ المـرأةُ طلاقَ أُختهـا لتنكح بعلهـا ، ولا تسافـر إمرأة فـوقَ ثـلاث إلاّ مـع ذي محـرم ، وإذا دعـوت الله بالمغفـرة فاعـزم المسئلة ولا تقـل : إغفـر لي إن شئت ، واطلب رحمةَ الله وغفرانَه ، ولا تستكثر شيئاً تسأله من الله ، فإنِ الله كبيرٌ عنده فوق ما تأمله ، وإياك أن تتصرف في مال أخيك إلاّ بإذنه ، وإذا أصبحتَ في كل يـوم فقل : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك ، اللهم مَنْ آذاني أو شتمني أو أغضبني أو فعل معي أمـراً يُفضي إلى الحكم فيه أُشهـدك يـا رب أني قـد أسقطتُ طلبي عنه في ذلك دنيا وآخرة ، وإذا شربت ماء فاشرب قاعـداً ، ولا تقل : يا خيبةَ الدهر فإن الله هو الدهر ، هذا ثابت عن رسول الله ﷺ ، وإياك أن تُبرز فخذك حتى يُرى منك ، ولا تنظر إلى فخذِ حي ولا ميت ، وإيـاك أن تقعد على قبرٍ ، ولا تصلِ وأنت تستقبله أو تستقبلُ إنساناً في صلاتك ووجْهُـه إليك ، ولا تتخذِ القبر مسجداً ولا تتمنَّ الموتَ لضُر نزلَ بك بـل قل : اللهم أحيني مـا كانتِ الحيـاةُ خيراً لي ، وتـوفني إذا كانت الـوفـاةُ خيـراً لي ، وإذا أردتَ بقوم ٍ فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتون ، والله أعلم بالصواب .

وصيـة :

لا تكن وصياً ولا رسولَ قوم ولا سيما بين الملوك ، ولا شاهداً ، واحذر إذا إغتسلت أن تبـول في مستحمك ، بـل إعتزل عنـه ، وتحفظْ من النذر مـا إستطعت ، فإذا نذرت فأوفِ بنذرك ، فإن رسول الله ﷺ قد شهد بالبُخْل لمن نـذر ، وإياك أن تتمنى لقـاءَ العدو ، فـإذا لقيته فـاثبُت ولا تفرّ ، وإيـاك وسبَّ المؤمنين ولا سيمـا الصحـابـةُ على الخصـوص، فـإنـك تؤذي النبي ﷺ في أصحابه، ولا تسُبَّ الـريح فـإن الريـح من نَفَس الرحمٰن، ولكن سـلِ الله خيرَهـا وخيرَ ما أرسلت بـه، واستعذ بـالله من شرهـا وشر مـا أرسلت به، وإذا لبستَ ثـوباً

جديداً فسمِ الله وقل : اللهم أعطني خيرَه وخَير ما صُنع له ، واكفني شرَّه وشرَ ما صنع له ، ولا تصلِّ إلى النائمين إذا كانوا في قِبلتك ، وإذا صليت فلا تُصل وفي قِبلتك نائم أو متحدث ، وإياك ولباسَ ما حَرّم الشرعُ عليك لباسَه كالحرير والذهب ، ولا تجلس على الحرير ، وإذا لقيت ذمياً فلا تَبْداه بالسلام ، واضطره إلى أضيق الطريق ، وانْتَهِ أن تسمّي العِنَبَةَ الكرمَ بل قل : العنبة والحبَلَةُ ولا تقل : الكرم ، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك : [لا تُسَمّوا العنبَ الكرمَ ، فإن الكرم الرجلُ المسلم ، فلا تقولوا الكرمُ وقولوا العنبُ والحَبَلة][1] وإياك أن تُصَرِّيَ[2] الإبلَ والغنم إذا أردتَ بيعها إلاّ أن تُعْلم المشتري بأنها مصراة ، وإياك أن تحلف بغير الله جملةً واحدة ، ولا تُكفر أحداً من أهل القِبلة بذنب إلاّ من كَفّره رسول الله ﷺ ، وإن كانت له زوجةٌ تريدُ الصلاة في مسجدِ الجماعة فلا تمنعها من ذلك : ولكن عَرّفها أنّ بيتَها خيرٌ لها وأفضلُ لها ، واحذر أن تدعُو على نفسك في غيظ ولا غيرِ غيظ ، ولا على ولدك ولا على خادمك ، ولا على مالك ، ولا تُكره المريضَ على الطعام ، وإياك أن تعذبَ بالنار أحداً ، وإذا أكلت لحماً فانهَشه ولا تقطعه بسكينٍ .

وصيـة :

إذا حضر الطعامُ والصلاةُ فابدأ بالطعام ، وإياك والصلاةَ وأنت حاقن تُدافعُ الأخْبَثَين ، وإذا أمرك مَنْ فَرَضَ الله تعالى عليك طاعتَه بمعصية فلا تطعه ، وإياك وما يُعْتذر منه ، فما كُلُّ مَنْ أورثْتَه تكريهاً أو سعتَه عذراً ، وأصغِ إلى من يُحدثك وإن كان قذراً ، فإن لكل أحد عند نفسه قدراً ، فإنك آخذٌ بقلبه بذلك ، ويكون لك لا عليك ، وإن الله قد أمرك بالتحبب إلى

---

(١) الحبلة ـ بالضم ـ الكرم أو أصل من أصوله ـ ويحرك ـ والحبل ـ محركة ـ شجر العنب ، وربما سكن . اهـ قاموس .

(٢) صرى الشاة تصرية : إذا لم يحلبها أياماً حتى يجتمع اللبن في ضرعها . اهـ مختار الصحاح .

النـاس ، وهذا من التحبب إلى النـاس ، وإذا كـانت لأحـدٍ عنـدك شهـادة لا يعرفها ، وقد إضطُرّ إليها فعرّفـه بها واشهـدْ له ، وامنـحْ أخاك الفقيـرَ مِنْحةً مـا قدرت عليها فإن أجرها عظيم ، وليكن خـوفك من الله ورجـاؤك فيه بـالإيمان علـى السواء ، وغلّب الرجـاءَ وحسّن الظنَ بـالله ، واطمع في رحمتـه ، فإنـه ثبت عن رسـول الله ﷺ : [لَـوْ يَعلمُ الكـافـرُ مـا عنـد الله من الـرّحْمَـةِ مَـا قَنِطَ مِنْ جَنّتـه أحـدٌ] . وإيـاك أن تـرد الهـديـةَ ولا تحقـرهـا ولـو كـانت ما كانت ، وعليك بالتوبة إلى الله مـع الأنفاس ، وإذا شـاركتَ أحداً في شيء فلا تَخُنْه ، وإذا فعلت فعلاً فحسّنه ، فإن الله كتب الإحسان على كل شيء ، وعليك بالتواضع وعدمِ الفخر على أحـد ، قال عليٌّ بنُ أبي طـالبِ القَيْرَوانيُّ في ذلك :

النـاسُ من جهـةِ التمثيـلِ أكْفـاءُ ... أبـوهُـمُ آدمٌ والأمُ حـوّاءُ
فـإنْ يكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهِمْ نَسَبٌ ... يُفَـاخِـرُون بـه فـالـطينُ والمـاءُ
مـا الفضـلُ إلاّ لأهـلِ العلمِ إنَهُمُ ... على الهُـدى لِمَن إسْتَهْدَى أدِلاّءُ
وَقَـدْر كُلِّ إمـرىءٍ مـا كـانَ يُحْسنه ... والجـاهلونَ لأهْـلِ العلمِ أعـداءُ

لا فَخْـرَ إلاّ بتقوى الله فـإنـه نسبُ الله الـذي بينـه وبين عبـاده . وإيـاك والقِيْلَ والقالَ فيما لا ينبغي ولا يَعني ، ولكن في إيصال الخير خاصة ، وإياك وكثرةَ السؤال إلاّ في البحث عن دينك الذي في علمك به سعادتُك ﴿فاسـألوا أهلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُون﴾(١) وقد علمت أنه ما لأحدٍ حـركةٌ ولا سكـون ولا دخولٌ ولا خروجٌ إلاّ وللشرع فيها حُكم من أحـدِ الأحكام الخمسـةِ ، فإذا لم تعلم فاسأل عَنْ كلِّ شيء يكونُ الحكمُ فيـه ما حكمَ الشـرعُ فيه ، واطلب على دفـع الحرج مـا إستطعت ، وغلّب الحـرمـة ، وخـذ بـالعـزائم في حق نفسك ، وإياك وإضاعةَ المال وهو : إنفـاقه في معصيـة الله ، ومن إنفاقـه في معصية الله إعطاؤه لمن يعلمُ منه أنه يُخرجه فيما لا يرضي الله ، فـإن لـم يعلم ذلك فلا بأس . ولا تفارق أحداً وهو على ما لا يرضي الله وتعتقد فيه أنـه باق

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٤٣ .

على ما فارقته عليه لا سبيل إلى ذلك ، وإنما ذلك في الأحكام المشروعة ، فإنهم يَرَوْن إستصحاب الحال المعلومة من الشخص حتى يقومَ لهم دليلٌ على زوالها ، فيستصحبون الحال أيضاً فيما رجع إليه حتى يدل دليل على ذهابه ، وإياك أن تكون مُعَنِّتاً أو متعنتاً ولا منفراً ولا معسراً وكن ميسراً ومعلماً ومبشراً ، وإياك أن تأتيَ الفواحشَ الظاهرةَ والباطنة ، فإن الله أحقُّ مَنْ يستحيا منه ، ولا تَغْتَرَّ إذا كنتَ على طريقة غير مرضية بما يُملي الله لك فإن الله يقول : ﴿إنما نُمْلي لَهُم ليَزْدَادُوا إثماً وَلَهُم عَذَابٌ مُهين﴾[1] فاحذر مكرَ الله بك في ذلك ، ولا تيأس من رَوْح الله ، إنه لا ييأسُ من رَوْح الله ألاّ القوم الكافرون ، وإياك وكلَّ مزيل للعقل مثل شربِ الخمر وغيره ، وإياك والتصنيعَ في الكلام ، ولا تقرأ القرآن في صلاتك راكعاً ولا في حال سجودك ، بل قلْ في ركوعك [سبحان ربّيَ العظيم وبحمده] وَعَظِّم ربّك فيه ، وفي سجودك [سبحانَ ربيِّ الأعلى وبحمده] وأدنى القولِ ثلاثُ مرات إلى ما فوقها .

وصية :

عليك بكثرة الإستغفار ولا سيما بالاسحارِ في حقك وفي حق غيرك ، فلله ملائكةٌ يستغفرون لمن في الأرض عموماً ، ولله ملائكةٌ يستغفرون للذين آمنوا خصوصاً ، في كل حال وعند القيام من مجالس تَحَدُّثِك . وعليك بالصدقِ في المواضع المشروع لك الصدقُ فيها ، ولا تجُبن ولا تخف ، واجتنب الكذب في الموضع المشروع لك إجتنابُه ، وخَفْ ثلاثةً : خَفِ الله ، وخفْ نَفْسَك ، وخَفْ مَنْ لا يخافُ الله ، وإن كنت خطيباً فَقَصِّر الخطبة وأطل صلاةَ الجمعة فإن ذلك من فِقْه الرجل ، وعليك بالحضور مع الله والنيةِ الصالحة في كل ما تعمله من عمل ، وعليك بإكرام ذي الشيبة ، فإن الله يستحيي من ذي الشيبة . وعليك بإكرام حَمَلة القرآن ، وعليك بإكرام الحاكم العادل ، وإياك والدَّين فإنه فِكْرة بالليل وذِلة بالنهار ، واحذر أن يُقيمك لعبادة ربك شيءٌ من زينة الحياة الدنيا فإنك لما أقامك ، ولاَ

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٨ .

لأغراضِ النفوس ، فإن الأغراض أمراضٌ حاضـرة ، فإنـه مما رَوَيْنـا في مثل ذلك أن رجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه فَمرّوا على روضةٍ خضراءَ فيها عينٌ خَرّارةٌ ، فاشتهى أحـدُهم أن يتوضـأ من ذلك المـاءِ ويصليَ في تلك الـروضـةِ لمـا أعجبـه من ذلـك ، فسقط مِنْ بَيْن الجمـاعـة وتـركـوه وانصرفوا ، وانحطّ عن رتبته بهذا القدر ، فانـظر في هذا السـر ما أعجبـه فإن فيـه معنى دقيقـاً ، وقـد وعـظك الله بهـذه الحكـايــة إن كنتَ إتعـظت ، وإن إستـطعتَ أن لا تمر عليـك ساعـةٌ من ليلٍ أو نهـارٍ إلاّ وأنتَ داعٍ فيهـا ربّـك فافعلْ ، وإذا أديتَ زكاةً فانوِ في أدائها أداءَ حقٍ تدفعه لوكيل صـاحبِ الحق ، وهو العامل عليها الذي نصبه الحق ، ولا تدفع زكاتَك لغيرِ عاملِ السلطان إلاّ بأمرِ السلطان ، فتكونَ أنت عينَ العاملِ عليها ، فلا تبرأ ذمتك إلاّ إن فعلت ما ذكرتُه لـك ، وإنْ ظَلَمَ العامـل أربابهـا فهو المسؤول عن ذلـك لا أنت ، وقد دخَلتْ على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلاّ في الدار الآخرة ، واحـذر أن تتصـدق على شريف من أهـل البيت ، ولكن إنوِ فيمـا توصله إليهم الهـديةَ لا الصدقةَ ، فإنك إنْ نـويتَ الصدقـةَ عليهم أثِمْتَ إلاّ أن تعرفهم بـذلك ، فـإن أكلوا صدقَتَك بعد تعريفـك فقد أثمـوا بأكلهـا ، وأثمت حيث أعطيتَهم مـا لا يجوز لك أن تعطيه إياهم وتخيّلتَ القربَ في عين البعـد . وإياكَ أن تخـوض في مـال الله بغير حق ، وإيـاك أن تنتفي عن أبيـك كـان من كـان ، ولا تتبـع عـوراتِ الناس ولا مثـالبهم واشتغلْ بنفسـك وحَسّن أدبَ إبنك واسمَـه ، وإن ابتُليت بصحبـة الزوجـة فَدَارِهـا وتَنَزّلْ من عقلك إلى عقلهـا ، فـإن ذلـك من كمال عقلك ، فإنها لن تستطيع أن تبلغ المرأةُ درجتـك فلا تـطلبها بـاستقامـة الرجال ، فـإن أصلها على ذلـك ، فعامـل كلَّ شخصٍ من حيث هـو ، لا ما أنت عليـه فإن الغـالب على النسـاء أنهن لا يستـطعن أن يَبْلُغن مبلغَ الـرجـال الكُمّلِ إلاّ من جاء النص بكما لهما وهما : مريمُ بنتُ عمران ، وآسيةُ إمـرأةُ فـرعون ، فـإن النص ورد فيهما بـالكمال من النبي ﷺ ، وعليـك بالعـدل في الحكم ، واطفاءِ النار إذا فرغت من حاجتك إليها ، وعليـك باستعمـال الحبّة السوداءِ وهي الشونيزُ في جميع أمراضك ، فإنها شفاءٌ من كل داء إلاّ السّام ،

والسام : الموتُ . ولقد أُبتُلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجذام ، وقال الأطباءُ بأجمعهم لمّا أبصروه ، وقد تمكنتْ العِلّةُ منه : ما لهذا المرضِ دواءٌ ، فرآه رجل من أهلِ الحديث من بني عفير من أهل لبلة[1] يقال له : سعد السعود ، وكان عنده إيمان بالحديث عظيمٌ يقطع به ، فقال له : يا هذا لم لا تطب نفسك ؟ فقال له الرجل : إن الأطباء قالوا : ليس لهذه العلة دواءٌ ، فقال : كذبتِ الأطباء ، والنبيُّ ﷺ أصدقُ منهم ، وقد قال في الحبة السوداءِ [إنها شفاءٌ من كل داء] وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك ، ثم قال : عَليّ بالحبةِ السوداءِ والعسلِ ، فخَلط هذا بهذا ، وطلى بهما بدنه كلّه ورأسَه ووجهَه إلى رجليه ، وألعقه من ذلك ، وترَكه ساعةٍ ، ثم إنه غَسّل ذلك عنه ، فانسلخ من جلده ونبت له جلدٌ آخرُ ونبت ما كان قد سقط من شعره ، وبرىء وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته ، فتعجب الأطباء والناسُ من قوة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ ، وكان ـ رحمه الله ـ يستعمل الحبةَ السوداء في كل داء يصيبه ، حتى في الرمد ، إذا رمدت عينه إكتحل بها فيبرأ من ساعته .

وصية :

إدفع عنِ عرْض أخيك المسلمِ ما إستطعت ولا تخذله إذا إنتُهكت حرمته ، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ : [مَا مِنْ إمرىءٍ مُسْلمٍ يخذل إمرأ مسلماً في مَوْضعٍ تُنْتَهك فيه حرمتُه ويُنْتقصُ به من عِرْضه إلاّ خَذَلَه الله في موضعٍ يُحب نصرته] . وما رأيت أحداً تحقق بمثل هذا في نفسه مثلَ الشيخ أبي عبد الله الدقاقِ بمدينة فاس من بلاد المغرب ، ما إغتاب أحداً قطُّ ، ولا إغتيب بحضرته أحدٌ قطُّ ، وكان يقول هذا عن نفسه ، وربما كان يقول : لم يكن بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه صديقٌ مثلي ، ويذكر هذا وكان نِعْم السيد ، خَرّج ذكْرَه ومناقبه شيخُنا أبو عبد الله محمد بنُ قاسمٍ بنِ عبد الرحمنِ بنِ عبد الكريم التميميُّ الفَاسيُّ الإمامُ بالمسجد الأزهر بعين الخيل

(١) وفي نسخة أُخرى : أيلة .

من مدينة فاس في كتاب له سماه : [المستفادَ في ذكر الصالحين من العُبّاد] أو في ذكر العُبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد ، سمعنا هذا الكتاب عليه بقراءته أظنُّ سنةَ ثلاث وتسعين وخمسمائة . وإذا لقيت أحداً من المسلمين فصافِحْه إذا سلمتَ عليه ، ولا تنحن له كما يفعله الأعاجم ، فإن ذلك عادةُ سوءٍ ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قيل له : إذا لقي الرجلُ الرجلَ أينحني له ؟ قال : [لا] قيل له : أيصافحه ؟ قال : [نعم] وقد ثبت أنه قال : [مَا مِنْ مُسْلِمَيْن يتصافحان إلاّ غفرَ لهما قبل أن يتفرقا] وأوصِ أهلَك وبناتِك ونساءَ المؤمنين أن لا يخلعن ثيابَهن في غير بيوتهن ، وإياك أن تبيتَ ليلةً إلاّ ووصيتُك عند رأسك مكتوبةً ، فإنك لا تدري إذا نمت هل تصبح في الأحياء أو في الأموات ، فإن الله يُمسِك نفس الذي قضى عليه الموتَ في النوم إذا هو نام ، ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى ، والتواضع للخلق رفعةٌ عند الله ، ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان ، فإنه ينقص من عقلك بقدْر ما تنزل إلى عقولهم ، مع الفتنة التي تَخاف منها في مجالسة النساء ، وأوصِ نساءك أن لا يخضعن في القول فيطمعَ الذي في قلبه مرض ، وأن يقعدن في بيوتهن ويَغْضضن من أبصارهن ، ولا يبدين زينتهن إلاّ حيث أمرهن الله ، وإياك ودخولَ الخدام على نسائك ، فإنهم من أُولي الإرْبة ، واحجب نساءك عنهم كما تحجبهم عن فحولِ الذُكرانِ فإنهم من الرجال ، وكن نِعْم الجليس للمَلك القرين الموكل بك ، وأصغِ إليه ، واحذر من الجليس الثاني الذي هو الشيطان ، ولا تَنْصر الشيطانَ على الملك بقبولك منه ما يأمرك به ، واخذله واستعنْ بقبولك من المَلك عليه ، وأكرمْ جلساءك من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك فلا تُمْلِ عليهم إلاّ خيراً فإنك لا بد لك أن تقرأ ما أمليته عليهم ، واحذر مِنْ بسط الدنيا عليك إذا بسطها الله أن تتصرف فيها أو تصرفها في غير طاعة الله ، ولا تعصِ الله بنعمهِ ، فإن من شكر النعمة أن تطيع الله بها وتستعين بها على طاعة الله ، وإياك والتنافسَ في الدنيا ، واقلل منها ما إستطعتَ ، ومن صحبةِ أهلها فإن قلوبهم غافلةٌ عن الله بحبها ، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذكر الله ، إلاّ إن ذكره في يمين لا يكون فيها باراً أو فيما لا يجوز له أن يذكره فيه مما يمقته الله على ذلك الذكر .

وصيـة :

إياك والبطنةَ فإنها تَذْهبُ بالفطنـة ،وكُلْ لتعيش وعِشْ لتـطع ربك ، ولا تَعش لتـأكـل ، ولا تـأكـل لتسمن ، فمـا مُلِيء وعـاءٌ شـرٌ من بـطنٍ مُلىءٍ من حـلال ، وعليك بلقيمـاتٍ يُقِمْن صُلْبَك ، وإذا صليتَ خَلْفَ إمـام فـاقتـدِ بـه واتبعه ، فلا تكبّر حتى يكبّر ، ولا تركعْ حتى يـركعَ ، ولا تـرفعْ حتى يـرفعَ ، ولا تسجـدْ حتى يسجدَ ، وإذا أمّنَ بعـد الفراغ من الفـاتحة فـأمّنْ ولا تختلف عليـه ، وإذا كنت إمامـاً فاقتـدِ بأضعف القـوم ولا تُطِلْ عليه حتى تُكَـرّهَ إليه الصلاة ، بل خفف في تمام ركوعٍ وسجـودٍ ، وإذا قرأت آيـةً فانـظر أين أنت منها ، وإذا سمعت الله يقول : ﴿يـا أيها النـاس﴾ أو ﴿يا أيهـا الذين آمنـوا﴾ فكن أنت المخاطبَ ، وافتح لـه أُذنَ فهمك لِمَـا يقول لـك في هذا التـأبيه ، فكن في قبولك ذلك بحسب ما يقول ، إن نهاك فانته ، وإن أمـرك فافعـل منه ما إستطعت ، فإذا سمعت منه أمـراً لا تستطيـع فعله فما أنت المـأمور بـه في تلك الحال فاعلم هذا : ﴿فاتّقوا الله ما اسْتَطَعْتُم واسْمَعُوا وأطِيْعُـوا﴾[1] وإذل قال الإمام) [سمع الله لمن حمده] فاعتقد أن ذلك القول قاله الله على لسـان عبده فقل أنت : [ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربنـا ويرضى ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهمـا وملءَ مـا شئتَ من شيء بعدُ ، أحقُّ ما قال العبد ، وكلُّنا لك عبدٌ ، لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لمـا منعتَ ولا ينفعُ ذا الجد منك الجد] وقل في ركوعك ثلاثَ مرات [سبحان الله العـظيم] أو سبحـان ربي العـظيم وبحمـده] وقـل في سجـودك ثـلاثَ مـرات (سبحـانَ ربيَ الأعلى وبحمده) وذلـك أدناه ، وقـد ذهب ابن راهويـه إلى أن الـمـصـلي إذا لـم يـقـل ذلـك ثـلاثَ مـرات فـي ركـوعـه وثـلاث مـرات في سجـوده لم تَجُـز صلاتـه ، وقـد قـدمتُ إليـك بـالـوصيـة أن تخـرج من الـخـلاف مـا استـطعـت ، وإذا أردت الحـج فـإن كـان لك هَدْيٌ فأحرم بالحج أو قارنْ بين الحج والعمـرة ، وإن لم يكن لك هَـدْيٌ فأحرم بعُمرة ولا بدَّ متمتعـاً واخرُج من الخـلاف إذا فعلت هذا ، وإن جهلتَ

(١) سورة التغابن ؛ الآية : ١٦ .

وأحرمتَ بالحج وما معك هديٌ فافسخ وردّها عمرةً ، هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابَه في حجة الوداع ، أمرَ بالفسخ لِمَنْ لم يكن له هـدي ، وإذا حضرتَ عنـد مريض أو ميت فـلا تقل إلاّ خيـراً ، وإذا رأيت إناء قـد وَلَغ[1] فيـه كلب فأهرقـه ولا تتوضـأ بذلـك الماء ، واغسـلِ الإناء الـذي ولغ فيـه الكلب سبع مـراتٍ ، إحداهن بـالتراب ، ولا تُـدْخل يـدك في إناء وضـوئـك إذا قمت من النوم ، واجتنب النجاساتِ أن تَمَسّ ثيابك ، وإذا بُلْتَ فاستتر من بولك ، وإذا كنت في سفـر وجئت فـلا تـطرق أهلك ليـلاً ، وأبـدأ بـالمسجـد فصل فيـه ركعتين ، وحينئذٍ تنصرف إلى بيتك ، ولا تَفْجأهم بالقدوم عليهم ، وقَدّم بين يديك مَنْ يُعَرّفهم ليلقَوْكَ بمـا يسرك ، ويصلحوا من شـأنهم ما تكـره أن تراهم فيـه ، وإذا كان بين يديك طعامٌ فوقع فيه ذبابٌ فلا تُزِلِ الـذبابَ عنـه حتى تَغْمِسه فيـه ، فـإن في جناحـه الواحـدِ داءٌ وفي الأخر دواءٌ لـذلك الـداء ، وهو أبـداً يـرفـع الجناح الذي فيه الدواء ، وإذا ضربت أحداً أو قاتلته فاجتنب ضربَ الـوجه ، وإذا أحببت أحداً فأعلمه بحبك إياه فإنك تجلب بذلك الإعلام محبتَـه إياك ، فيحبك بلا شك ويرى لك ذلك . وإن مات لك ميت تتولى شأنَه فأحسن كَفَنَه وتكفينه ، واجعل في غُسله سـدراً[2] ، وإن قُدّم إليـك طعام في قصعـة فكُلْ من جانبها ، ولا تأكل من أعلاها ، وإذا مشيت إلى الصلاة فبوقـار وسكينةٍ من غيـر كِبْرٍ ، وامشِ كـأنك تَنْحَطُّ مِن صَبَب[3] ، فـإن ذلك أنفى للكبـر وأسرعُ لقضاء الحاجة ، واحذر أن تصلي وأنت تدفع النـوم ، بل نَمْ فـإذا ذهب النوم فَصَلِّ ، ولقد كنتُ ليلةً أُصلي وأنا أدفع النـومَ فذهبتُ لأقـرأ ، فسمعتُني أسُبُّ نفسي بدلاً من القراءة ، فتركتُ الصلاة ونمت ، ولا تَنَم قبـل صلاة العتمـة ، ولا تتحدث بعدها . وإذا ركعت ركعتي الفجرِ فاضطجع على شِقِّك الأيمنِ ، وحينئذ تصلي الصبح ، وإذا قعدتَ للتشهد فصـلِّ على محمدٍ ، واستعـذ بالله من عـذاب القبـر وعـذابِ النـار ، وفتنـةِ المسيـح الـدجـال ، وفتنـةِ المحيـا

---

(١) ولـغ الكلب في الإناء ـ يلغ ـ بفتـح اللام فيهمـا ـ من بـاب نفـع : إذا شـرب مـا فيـه بأطراف لسانه . اهـ مختار الصحاح .

(٢) السدر : شجر النبق اهـ مختار الصحاح .

(٣) أي من فوق اهـ منجد

والممات ، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرجَ من الخلاف بفعلك ما أمرتُك ، فإني ما أمرتُك بأمر تَفعلُه من عباداتك إلاّ لِمَا أعرفُ في تركه من الخلاف بين العلماء ، وأريد أن تأتي العبادةَ على أتم وجوهها مما لا إختلاف فيه ، هذا غرضي في هذه الوصيةِ بمثل هذه الأمور ، فلا تُهمل شيئاً مما وصيتك به .

وصية :

إياك أن تقترفَ ذنباً وأنت صائمٌ ، فإنه يُبطل صومك ، فالصوم لله لا لك ، فلا يراك هو في عملٍ هو له على ما لا يرضاه منك ، فلتكن على أحسنِ الحالات في صومك . وإن شاتَمك أحدٌ أو قاتَلك فقلْ : إني صائم ، فلا تجازه بفعله ، وإن كان لك مالٌ فاجهد أن تكون لك صدقةٌ جاريةٍ تنفقها[1] على الناسِ لا تَخُصُّ بها طائفةً ، بل على المسلمين الذين تلفظوا بالشهادة ، أو ولدوا في الإسلام ، فإن هذه الأوقافَ إن لم تكن على حَدِّ ما ذكرتُها لك ، وإلاّ أكلَ الناسُ حراماً ، ويكونُ الواقفُ هو الذي أساء في حقهم حيث إشترط شرطاً معيناً سوى الإسلامِ ، فإن إشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلبِ أحواله ، وكذلك إن كان لك علمٌ نافع في الدين فَبُثّه في الناسِ لينتفع به كلُّ سامعٍ إلى يوم القيامة .

يا أخي إذا كان في يدك سيفٌ مُصْلَتٌ فأراد أحدٌ أن يتناوله منك فلا تناوْله إياه حتى تُغْمِدَه ، فالله الله ، إذا رأيتَ أحداً على عملٍ يكرهه الشرعُ من المسلمين فاكره عملَه ولا تكره المسلمَ الذي هو العاملُ ، وإن كنتَ صادقاً في كراهيتك عملَه فلا تعملْ بمثله ، فإن عملتَ بمثله وكرهتَه من غيرك فأنت مراءٍ بما ظهرتَ به من الكراهة لذلك ، وهنا سرٌ خفيٌّ ومكرٌ دقيقٌ يؤدي إلى ترك تغيير المنكر . وإذا كنت في سفر وأردتَ التعريسَ[2] بالليل فاجتنبِ الطريق ، فإن الهوام بالليل تقصد الطريقَ ، فربما يؤذيك شيء منها ، وقل إذا نزلتَ منزلاً ﴿أعوذُ بكلماتِ الله التامّاتِ كلِّها مِنْ شرِّ ما خَلقَ﴾ فإنه لن يَضرك

(١) وفي نسخة أُخرى : توقفها .

(٢) التعريس : نزول القوم في السفر من آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للإستراحة ثم يرتحلون . والموضع : بالتشديد . اهـ مختار الصحاح .

شيٌ ما دمت في ذلك المنزل . أخبرني صاحبي عبدُ الله بـدرٌ الحبشيٌّ الخادمُ عن الشيخ ربيعِ بنِ محمـودِ الحطابِ المـارديني قال : بِتْنا ليلةً برأسِ العَيْنِ بمسجـدٍ ، وبرأس العين عقـاربُ تسمى الجراراتِ لا تـرفع أذنـابَهـا إلاّ عنـدَ الضـرب ، وهي قتالـةٌ ، ما ضـربتْ أحـداً فعـاش ، فجـاء شخصٌ فبـات في المسجدِ وذكَر هذه الإستعاذةَ ، فضربَته العقربُ في تلك الليلةِ ، فقال للشيـخ ربيعِ حديثَه ، فقال له : صح الحديثُ ، فإن الله قد رفع عنك الموتَ ، فإنها مـا ضـربتْ أحـداً إلاّ مـاتَ ، وقـد رأيتُ أنـا مثـلَ هـذا من نفسي : لـدغتني العقـربُ مرةٍ بعـد مرةٍ في وقت واحـد ، فمـا وجـدتُ لهـا ألمـاً ، وكنتُ قـد ذكـرت مثـل هـذه الإستعـاذة إلاّ أنّـه كـان في جِـزامي بنـدقتـان ، وكنتُ قـد سمعت أن البندقَ بالخـاصية يـدفع ألمَ الملسـوع ، فلا أدري هـل كان ذلـك للبنـدقِ أو للدعاء ، أولهما معاً ؟ إلاّ أنـه تورم رجلي ، وحصـل فيـه خَـدر ، وبقي الورم ثلاثةَ أيام ولا أجد ألماً ألبتة ، وعليـك بـالتسميـة في كـل حـال تَشرع فيـه ، من أكـل وشـرب ، ودخـولٍ وخـروج ، وترحـالٍ ، وحركـةٍ وسكون ، وإذا دخلت بيتَ الله فـابدأ بـرجلك اليمنى ، وإذا خرجتَ فاخرُجْ برجلك اليسـرى ، وإذا انتعلتَ فابـدأ باليمنى ، وإذا خلعتَ فابدأ باليسرى .

وصيـة :

لا تسـاررْ صاحبَـك بشيءٍ ومعكما ثـالثٌ دونه ، فـإن ذلك يـوحشُه بـلا شك ، ومقصودُ الحق من عبـاده تَألُّف القلوب والمحبـةُ والتوددُ ، وإن الله قـد جعـلِ الألفة منّـة منه على رسـول الله ﷺ فقال : ﴿**لَـوْ أَنْفَقْتَ مـا في الأرضِ جميعـاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ الله أَلَّفَ بينهم**﴾(١) وكـذلـك لا تتكلمْ معـه بلسانٍ لا يعرفه الثالثُ ، فإنه لا فرق بينه وبين المسـاررة . والتزم الصّـدقَ في حـديثك أبـداً وفي أفعالـك تكنْ أصـدقَ النـاس رؤيـا ، وإذا سمعـت صيـاحَ الدّيكَةِ فسلِ الله من فضله فإنها رأت مَلَكاً ، وإذا سمعتَ نهيقَ الحمـار فتعوذْ بالله من الشيطان الرجيم ، فإن الحمار لا ينهق إلاّ إذا رأى شيطانـاً ، والديـك لا يَصيحُ إلاّ إذا رأى ملَكـاً . وقـد روينـا [إن لله ديكـاً في السمـاء إذا صـاحَ

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٣ .

وسمعتْهُ الديوكُ في الأرضِ صاحتْ لِصِيَاحِه] . كن في كل حالٍ ذانيةٍ حميدةٍ مع الله يرضاها الله منك ، وعلى عملٍ صالح ولا سيما إذا كثُر الفسادُ في العامة ، فما تدري لعل الله يُرسلُ عليهم عذاباً يَعُمُّ الصالحَ والطَّالحَ فتكونَ ممن يحشرُ على عملٍ خيرٍ كما قبضِتَ عليه ، يقول الله : ﴿واتّقوا فِتْنَةً لا تُصِيْبَنَّ الذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّةً ، واعْلَمُوا أنّ الله شديدُ العقاب﴾(١) ولا تشمت عاطساً لم يحمد الله ، ولكن ذَكّره أن يحمدَ الله ، ثم شَمِّته ، وإياك إذا غلب عليك التثاؤبُ أن تُصَوِّت فيه ، واكْظُمه ما إستطعت ، وإياك أن تمدحَ أحداً في وجهه فتخجله ، وإذا مدحك أحدٌ في وجهك ، فاحْثُ الترابَ في وجهه برفقٍ ، وصورةُ حَثْوِ التراب أن تأخذ كفاً من ترابٍ وترميَ به بين يديه ، وتقولُ له : ما عسى أن يكونَ مَنْ خُلِقَ من تراب ، وَمَنْ أنا ، وَمَا قَدْرِي ؟ تُوَبِّخُ بذلك نفسَك وتعرِّفُ المادحَ بقدْرِك وقدرِه ، هكذا فلتحثُ التراب في وجوه المداحين ، وكان شيخُنا عبدُ الحليمِ العماديُّ بمدينة [سلا] إذا رأى شخصاً راكباً ذا شارةٍ يُعظِّمه الناسُ وينظرون إليه ، يقول له ولهم : ترابٌ راكبٌ على ترابٍ ، ثم ينصرفُ ويُنْشد :

حَتّى مَتى ، وإلى مَتى تَتَوَانى ... أتَظُنُّ ذَلِكَ كلّه نسْيَانا ؟

وكان الغالبُ عليه التَوَلّهَ ، وإذا كان لك ولدٌ صغير وجاءت فَحْمة العشاء(٢) فأمسكه عن التصرف ، فإن الشياطين منتشرةٌ حينئذٍ فلا تأمنُ عليه أن يصيبَه لَمَم ، فإن الشرع قد أمر بذلك ، وإذا صَنَع لك خادمُك طعاماً وأتاك به فأجْلِسه معك ، فإن أبي وتأدبَ فأذِقْه منه ولا بدّ ولو لقمةً ، وإياك أن تأكلَ وعينٌ تنظرُ إليك من غير أن يأكل معك ، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلمُ والإمامُ يخطُب فلا تَقُل له : أنصت ، فإن قلت له ذلك فأنت ممن لغا في جُمُعَتِه ، ولا تَعْبَث بشيء ، لا بالحصى ولا بغيره ، والإمامُ يخطُب ، فإنه لغو ، وإذا كنتَ صائماً وأفطرتَ فأفطر على تمرٍ إن وجدتَ ، فإن لم تجد فعلى حَسَوَاتٍ من ماءٍ ، وليكن ذلك وتراً ، وعجِّلْ بالفطر ، ثم صَلِّ بعد ذلك ، إلاّ إن حضرَ الطعام ، فإن حضرَ الطعام فابدأ به قبلَ الصلاة ، إن

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ٢٥ .

(٢) فحمة العشاء : ظلمته . اهـ مختار الصحاح .

كنتَ آكـلاً ولا بدّ ، وإذا حـدثك إنسـانٌ وتراه يلتفتُ ، فحـديثُـه إيـاك أمـانـةٌ أودعك إياها فلا تَخُنْه فيه بـالإفشاء ، وراقب قلبَـك في الناس ، فمهمـا خطر لك تغيرٌ في أحـد من المؤمنين في قلبك فـأزِلْه وظنَّ خيـراً وأقم له عـذراً فيما تغير له ، وإن حالت بينك وبين المـاشي معك ، شجـرةٌ أو جدارٌ ثم تـلاقَيْتُما فسلِّم عليه حتى يَعْلَم أنك على الوُدّ الذي فارقتَه عليه .

وصيـة :

عاملْ كلَّ من تصحبُه أو يصحبُك بما تُعْطيه رتبَتُه ومنزلتُـه ، فعامـلِ الله بالوفاء لما عاهدتـه عليه : من الإقـرار بربـوبيته عليـك ، وهو الصـاحبّ بقول رسول الله ﷺ ، وعامل الآياتِ بالنظر فيها . وعامـل ما تـدركُه الحـواسُّ منك بالإعتبارِ ، وعاملِ الرسلَ بالإقتداء بهم ، وعاملِ الملائكةَ بالطهارةِ والذكـرِ ، وعاملِ الشيـطانَ إذا علمت أنه شيـطانٌ من إنس وجَانّ بـالمخالفـةِ ، وعامـلِ الحفَظَةَ بحُسْن ما تملي عليهم ، وعامل مَنْ هو أكبرُ منـك بالتـوقير ، ومَنْ هـو أصغرُ منك بالرحمةِ ، ومن هو كفؤُك بالتجاوز والأنصاف والإيثارِ ، وأن تطالِبَ نفسَك بحقه عليك ، وتركِ حقـك له ، وعـاملِ العلمـاءَ بالتعـظيم ، وعامـلِ السفهاء بالحِلم ، وعاملِ الجهال بالسياسة ، وعاملِ الأشرارَ ببسط الوجهِ وما تتقي به شَرّهم ، وعاملِ الحيوانَ بالنظر فيما يحتاجون إليـه ، فإنهم خُـرْس ، وعاملِ الأشجارَ والأحجارَ بعدم الفضول ، وعـاملِ الأرض بـالصلاة عليهـا ، وعاملِ الموتى بالـدعاء لهم وذكْـرِ محاسنهم والكفُّ عن مسـاويهم ، وعامـلِ الصـوفيةَ أهـلَ الكشف والوجـودِ منهم أصحاب الأحـوال بـالتسليم ، وعـامـل الإخــوان في الله بـالبحث عن حــركـاتهم وسكنــاتهم في مـاذا يتحــركــون ويسكنـون ، وعامـلِ الأولادَ بالإحسـان ، وعـامـلِ الـزوجـةَ بحسنِ الخلق ، وعمل أهلَ البيت بالمودةِ ، وعامل الصلاةَ بالحضورِ ، وعامـلِ الصوم بـالتنزه عن الذنوب ، وعامل المناسكَ بـذكر الله والتعـظيم ، وعامـلِ الزكـاةَ بسرعـةِ الأداء ، وعاملِ التوحيدَ بالإخلاص ، وعامل الأسماء الإلهيةَ بما تُعْطيه حقيقةُ كلِّ إسم إلهي من الأخلاق ، فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بهـا ، وعامـلِ الدنيا بالرغبةِ عنها ، وعاملِ الآخرةَ بالرغبةِ فيها ، وعامـلِ النساءَ بـالحذر من

فِتْنَتِهِنَّ ، وعاملِ المالَ بالبذل ، وعاملِ النارَ والحدودَ بالتقوى والرهبةِ ، وعاملِ الجنّةَ بالرغبة ، وعاملِ الأولياءَ بما تزيد ولايتُهم ، وعاملِ الأعداء بما تَكفُّ أذاهم ، وعاملِ الناصحَ بالقبول ، وعاملِ المحدِّثَ بالإصغاء إلى حديثه ، وعاملِ الموجوداتِ كلَّها بالنصيحة ، وعاملِ الملوك بالسمع والطاعة ، والأخذ على أيدي الظلمة منهم ما إستطعتَ بطريقة تكتفي بها شَرَّهُمْ ، وإياك وصحبةَ الملوك ، فإنك إن أكثرتَ مخالطةَ المَلِك مَلَّكَكَ[1] ، وإن تركته أَذَلَّك ، فخذْ وأعطِ إن بُليت بصحبتهم ، وعاملِ قارىءَ القرآنِ بالإنصات ما دام تالياً ، وعاملِ القرآن بالتدبر ، وعاملِ الحديثَ النبويَّ بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعَرْضِه على الأصول ، فما وافق الأصول فخذْ به ، وإنْ لم يصح الطريقُ إليه ، فإن الأصل يعضُده ، وإذا ناقضَ الأصول بالكلية فلا تأخذْ به ، وإن صح طريقه ، ما لم تعلم أن له وجهاً ، فإن أخبارَ الآحاد لا تفيد سوى غلبةِ الظن ، وعليك بالسنة المتواترة وكتابِ الله ، فهما خيرُ مَصْحوبٍ وخيرُ جليس ، وإياك والخوضَ فيما شَجَرَ بين الصحابةِ ، ولتُحبَّهم كلَّهم عن آخرهم ، ولا سبيل إلى تجريحِ واحدٍ منهم ، فعنهم نأخذُ الدين الذي تَعَبَّدنا الله به ، وعاملهم بالعدالةِ في الأخذ عنهم ، ولا تتهمْهُم فهم خيرُ القرون ، وعاملِ بيتَك بالصلاةِ فيه ، وعاملِ مجلسك بذكر الله فيه ، وعاملِ فُرْقَتَك من كلِّ مجلس بالإستغفار ، والضابطُ للصحبة أن تعطي كلّ ذي حق حقّه ، ولا تتركْ مطالبة لأحدٍ عليك بحقٍ يتوجه له قِبَلك ، وعامل الجانيِ عليك بالصفح والعفو ، وعاملِ المسيءَ بالإحسان ، وعاملْ بَصَرك بالغضِّ عن محارم الله ، وسمعَك بالإستماع إلى أحسن الحديث والقولِ ، ولسانَك بالصمت عن السوء من القول ، وإن كان حقاً لكن كَرِهَ الشرعُ أو حَرّم النطقَ به ، وعاملِ الذنوبَ بالخوف ، وعاملِ الحسنات بالرجاء ، وعامل الدعاة بالاضطرار ، وعاملْ نداءَ الحق إياكَ بالتلبيةِ لمّا ناداك إليه من عملٍ أو تركٍ .

---

(١) وفي نسخة أُخرى (مللك) .

وصايا نبوية

روينا عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه أنه قال : أوصاني رسولُ الله ﷺ فقال :

يا علي : أوصيك بوصيةٍ فاحْفَظْها ، فإنك لا تزالُ بخيرٍ ما حَفِظْتَ وصيتي .

يا علي : إن للمؤمن ثلاثَ علامات : الصلاةُ والصيامُ والزكاةُ وللمتكلف ثلاثُ علاماتٍ : يتملقُ إذا شهد ، ويغتابُ إذا غاب ، ويشْمَتُ بالمصيبة ، وللظالم ثلاثُ علاماتٍ : يَقْهر مَنْ دونة بالغلبةِ ، ومَنْ فوقه بالمعصيةِ ، ويُظاهر الظلمةَ ، وللمرائي ثلاثُ علاماتٍ : يَنْشَط إذا كان عند الناس ، ويفتُر إذا كان وَحدْه ، ويحب أن يُحْمدَ في جميع الأُمور ، وللمنافق ثلاثُ علاماتٍ : إن حَدّث كذبَ ، وإن وعدَ أخلفَ ، وإن إئتُمِنَ خان .

يا علي : وللكسلان ثلاث علاماتٍ : يتوانى حتى يُفَرّطَ ، ويفرطُ حتى يُضِيّع ، ويضيع حتى يأثمَ ، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاثٍ : مرمةٍ لمعاشٍ ، أو لذةٍ في غير محرم ، أو خطوة لمعاد .

يا علي : إنَّ من اليقين أن لا تُرْضِيَ أحداً بسخط الله ، ولا تحمدنَّ أحداً على ما آتاك الله ، ولا تذمنَّ أحداً على ما لم يؤتِكَهُ الله ، فإن الرزقَ لا يجره حرصُ حريصٍ ، ولا يصرفه كراهيةُ كارهٍ ، وإنّ الله سبحانه وتعالى جعلَ الرَوح والفرجَ في اليقين والرضا بقَسَم الله ، وجعلَ الهمَّ والحزَنَ في السخط بقَسْم الله .

يا علي : لا فقرَ أشدُّ من الجهل ، ولا مالَ أعوزُ[1] من العقل ، ولا وحدة أوحشُ من العُجب ، ولا مُظاهرةَ أوثقُ من المشاورة ، ولا إيمان كاليقين ، ولا ورعَ كالكفّ ، ولا حسبَ[2] كحسن الخلق ، ولا عبادةَ كالتفكر .

---

(١) وفي نسخة أُخرى أجود .

(٢) وفي نسخة أُخرى ولا حسن .

يـا علي : إن لكـل شيء آفـةً ، وآفـةُ الحـديثِ الكـذبُ ، وآفـةُ العلم النسيـانُ ، وآفةُ العبـادةِ الريـاءُ ، وآفـةُ الـظّرْف الصلَف[1] ، وآفـةُ الشجـاعـة البغي ، وآفةُ السماحةِ المَنُّ ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاءُ ، وآفـةُ الحسبِ الفخرُ ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ ، وآفةُ الكرمِ الفخرُ ، وآفةُ الفضلِ البخلُ ، وآفـةُ الجودِ السرفُ ، وآفةُ العبادةِ الكبرُ ، وآفةُ الدِّينِ الهوى .

يـا علي : إذا أُثني عليك في وجهـك فقل : اللهم إجعلني خيـراً ممـا يقولون ، واغفرْ لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني فيما يقولون تسلم مما يقولون .

يـا علي : إذا أمسيتَ صائمـاً فقل عند إفـطارك : اللهم لـك صمتُ ، وعلى رزقكَ أفطرتُ ، يكتبْ لك أجرُ مَنْ صـام ذلك اليـومَ من غير أن ينقُص من أجورهم شيءٌ ، واعلم أن لكل ـ صائم دعوةً مستجابةً ، فإن كان عند أول لقمة يقول : بسم الله الرحمنِ الرحيم ، يا واسعَ المغفـرةِ إغفرْ لي ، فـإنه من قالها عند فِطْره غُفِر له ، واعلم أن الصوم جُنَّةٌ من النار .

يـا علي : لا تستقبلِ الشمسَ والقمـرَ واستدبـرْهما فـإن إستقبالَهمـا داءٌ واستدبارهما دواءٌ .

يا علي : إستكثرْ من قراءة يس ، فإن في قـراءة يس عشر بـركات ، مـا قرأها قطُّ جائعٌ إلاّ شبـع ، ولا قرأهـا ظمآن إلاّ روي ، ولا عـارٍ إلاّ إكتُسي ، ولا مـريضٌ إلاّ بـرىء ، ولا خـائفٌ إلاّ أمنَ ، ولا مَسْجُـونٌ إلاّ إنفـرج ، ولا أعزبُ إلاّ تزوج ، ولا مسافرٌ إلاّ أعين على سفـره ، ولا قرأهـا أحدٌ ضَلَّت لـه ضَـالَّةٌ إلاّ وجـدها ، ولا قـرأها على رأس ميت حضـر أجلُه إلاّ خُفِّفَ عليـه ، ومن قرأها صباحاً كان في أمان إلى أن يمسي ، ومن قرأها مساءً كان في أمانٍ حتى يُصبح .

يا علي : إقرأ (حم الدخان) في ليلة الجمعةِ تصبحْ مغفوراً لك .

---

(١) الصلف : مجاوزة قدر الظرف ، والإدعاء فـوق ذلك تكبـراً . والظرف : الكيـاسة اهـ مختار الصحاح .

يا علي : إقرأ آية الكرسي دُبُركلِّ صلاةٍ تُعْطَ قلوبَ الشاكرين ، وثوابَ الأنبياء ، وأعمال الأبرار ، يا علي : إقرأ سورةَ الحشر تحشرْ يومَ القيامة آمناً من كل شرٍ .

يا علي : إقرأ (تباركَ والسجدةَ) ينجيانك من أهوال يوم القيامة .

يا علي : إقرأ(تباركَ) عند النوم تدفعْ عنك عذابَ القبر ومسألةَ منكرٍ ونكيرٍ .

يا علي : إقرأ (قل هو الله أحد) على وُضوء تنادَ يومَ القيامة : يا مادحَ الله قمْ فادخلِ الجنةَ .

يا علي : إقرأ (سورة البقرة) فإن قرأتها بركةٌ ، وتركَها حسرةٌ ، وهي لا تُطيقها البَطَلة ، يعني السحرَة .

يا علي : لا تُطِلَ القعودَ في الشمس فإنها تُثير الدّاءَ الدَّفِيْن ، وتُبلي الثيابَ ، وتُغير اللونَ .

يا علي : أمانٌ لك من الخوف[1] أن تقول : سبحانك ربي لا إله إلاّ أنتَ ، عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرش العظيم .

يا علي : أمانٌ لك من الوسواس أن تقرأ (وإذا قرأتَ القرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حجاباً مَسْتُوراً)[2] إلى قوله تعالى : (وَلَّوْا على أَدْبَارِهِم نُفُوراً) .

يا علي : أمانٌ لك من شرّ كل عائنٍ[3] أن تقول : ما شاء الله كانَ ، وما لم يَشأ لم يكن ، أشهدُ أن الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأنّ الله قد أحاطَ بكل

---

(١) وفي نسخة أخرى الحرق .

(٢) تمام الآية : ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ اهـ . سورة الإسراء ؛ الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) عانه : من باب باع ـ أصابه بعينه ، فهو عائن . اهـ مختار الصحاح .

شيءٍ علماً ، وأحصى كلّ شيءٍ عدداً ، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلاّ بالله .

يا علي : كُلِ الزيتَ وادّهِنْ بالزيت ، فإنه مَنْ أكلَ الزيتَ وادّهنْ بالزيت لم يَقْرَبْه الشيطانُ أربعين صباحاً .

يا علي : إبدأْ بالملح واختم بالملح ، فإن الملح شفاءٌ من سبعين داءً ، منها الجنونُ ، والجذامُ[1] ، والبرصُ ووجعُ الحلقِ ، ووجعُ الأضراس ، ووجع البطن .

يا علي . إذا أكلتَ فقل : بسمِ الله ، وإذا فرغت فقل : الحمد لله ، فإن حافِظَيْك لا يستريحان يَكْتُبان لك الحسناتِ حتى تنبذه عنك .

يا علي : إذا رأيتَ الهلالَ في أولِ الشهرِ فقل : الله أكبر (ثلاثاً) و : الحمدُ لله الذي خلقني وخلقك وقدَّرك منازلَ وجعلك آيةً للعالمين ، يباهي الله بك الملائكةَ يقول : (يا ملائكتي إشهدوا أني قد أَعْتَقْتُ هذا العبدَ من النار) .

يا علي : إذا نظرتَ في المرآةِ فقل : اللهم كما حَسّنتَ خَلْقي فحسّن خُلُقي ، وارزُقني .

يا علي : وإذا رأيتَ أسداً واشتدّ بكَ الأمرُ فكبّرْ ثلاثاً وقل : الله أكبرُ وأجلُّ وأعزُّ مما أخاف واحذرُ ، اللهم إني أُدْرأ بك في نَحْره ، وأعوذُ بك من شرّه ، فإنك تُكْفَى بإذن الله ، وإذا رأيت كلباً يهِرُّ فقل : يا معشرَ الجنّ والإنس إنِ اسْتَطْعتُم أنْ تَنفذُوا مِنْ أقطارِ السمواتِ والأرض فانفذُوا لا تنفذُون إلاّ بسلطان .

يا علي : إذا خرجتَ منْ منزلك تريدُ حاجةً فاقرأْ آية الكرسي ، فإن حاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى ،

يا علي : وإذا توضأتَ فقل : بسم الله والصلاةُ على رسول الله ، يا

---

(١) الجذام : داء ، والإجذام : المقطوع اليد ، اهـ مختار الصحاح .

علي : صَلِّ من الليل ولو قدرَ حلب شاةٍ ، وادعُ الله سبحانه بالأسحار لا تردُّ دعوتُك ، فإن الله سبحانه يقول : (والمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحَار)[1] .

يا علي : غسِّل الموتى ، فإنه مَن غسَّل ميتاً غُفِر له سبعونَ مغفرةً ، لو قسمتْ مغفرةٌ منها على جميعِ الخلق لو سعتهم ، فقلتُ يا رسول الله : ما يقول مَنْ غسل ميتاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : يقول : غفرانك يا رحمنُ حتى يفرغ من الغسل .

يا علي : لا تخرج في سفرٍ وحدك ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعدُ .

يا علي : إن الرجل إذا سافر وحده غاوٍ[2] والإثنان غاويان ، والثلاثةُ نفرٌ[3] .

يا علي : إذا سافرت فلا تنزلِ الأودية ، فإنها مأوى السباع والحياتِ .

يا علي : لا تردفنَّ[4] ثلاثةً على دابة ، فإن أحدهم ملعونٌ وهو المقدم .

يا علي : إذا وُلد لك مولودٌ : غلامٌ أو جاريةٌ فأذِّن في أُذنه اليمنى ، وأقم في أُذنه اليسرى ، فإنه لا يضره الشيطان أبداً .

يا علي : لا تأتِ أهلك ليلةَ الهلال ، ولا ليلةَ النِّصف فإنه يتخوف على ولدك الخبلُ[5] ، قال عليٌّ : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأن الجن يُكثرون غشيان نسائهم ليلةَ النصف وليلةَ الهلال ، أما رأيت المجنون يُصرع ليلةَ النصف وليلةَ الهلال ؟ .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧ .
(٢) الغي : الضلال والخيبة ، وقد غوي فهو غاو ـ أي ضال ا هـ مختار الصحاح .
(٣) النفر ـ بفتحتين : عدة رجال ، من ثلاثة إلى عشرة . ا هـ مختار الصحاح .
(٤) أردفه ، أركبه خلفه ، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه . ا هـ مختار الصحاح .
(٥) الخبل : بسكون الباء : الفساد . وبفتحها : الجن . ا هـ مختار الصحاح .

يا علي : وإذا نزلتْ بك شدةٌ فقل : اللهم إني أسألك بحقّ محمدٍ وآل محمد عليك أن تُنجيني ، وإذا أردتَ الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تُعاينها[1] : اللهم إني أسألك خيرَ هذه المدينةِ وخيرَ ما كتبت فيها ، وأعوذ بك من شرِّها ومن شرِّ ما كتبت فيها ، اللهم إرزقني خيرها ، وأعذني من شرها ، وحببنا إلى أهلها ، وحببْ صالحي أهلها إلينا .

يا علي : إذا نزلتَ منزلاً فقل : اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خيرُ المُنزلين ، ترزق خيره ويدفعْ عنك شرُّه .

يا علي : وإياك والمراءَ فإنه لا تُعقل حكمته ولا تُؤمنُ فتنته .

يا علي : وإياكَ والدخولَ إلى الحمام بلا مئزر ، فإنه ملعونٌ الناظرُ والمنظورُ إليه .

يا علي : لا تتختم بالسبابة والوسطى ، فإنه مِنْ فعل قومِ لوط .

يا علي : لا تلبس المُعَصْفَر ، ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محتضرةُ الشيطان .

يا علي :لا تقرأ وأنت راكعٌ ولا ساجدٌ .

يا علي : إياك والمجادلة ، فإنها تُحبط الأعمالَ .

يا علي : لا تنهر السائلَ ولو جاءك على فرسٍ ، وأعطه فإن الصدقة تقعُ بيد الله قبل أن تقع بيد السائل .

يا علي : باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقةَ .

يا علي : عليك بحُسن الخلُق ، فإنك تُدرك بذلك درجة الصائم القائم .

يا علي : إياك والغضب ، فإن الشيطانُ أقدرُ ما يكون على ابنِ آدم إذا غضبَ .

---

(١) عاين الشيء معاينه : رآه بعينه : اهـ مختار الصحاح .

يا علي : إياك والمزاحَ فإنه يُذهب بهاء ابنِ آدم ونشاطَه .

يـا علي : عليك بقـراءةَ (قلْ هـو الله أحدٌ) فـإنها منهـاةٌ للفقر ، وإيـاك والربا فإن فيه ستَّ خصالٍ ، ثلاثـةٌ منها في الـدنيا وثـلاثةٌ في الآخـرة ، فأمـا التي في الدنيا : فتعجـلُ الفناءَ وتُـذهب الغنى وتمحق الرزقَ ، وأمـا التي في الآخرة : فسوءُ الحساب ، وسخط ربِّ الأرباب عـز وجل ، والخلودُ في النـار أو الخلوة (شك الراوي) .

يا علي : وإذا دخلتَ منزلك فسلم على أهل بيتك يكثرْ خيرُ بيتك .

يا علي : أحبَّ الفقراءَ والمساكين يحبّك الله .

يا علي : لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرَك الملائكة يومَ القيامة .

يا علي : عليك بالصدقة فإنها تدفعُ عنك السوء .

يـا علي : أنفقْ وأوسعْ على عيـالـك ، ولا تخشَ من ذي العـرشِ إقلالاً .

يا علي : إذا ركبتَ دابة فقل (الحمدُ لله الـذي كَرّمنـا وهدانـا للإسـلام ومَنّ علينا بمحمّد عليـه بمحمـجد عليـه الصلاة والسـلامُ ، والحمدُ لله الـذي سخر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقْرِنينَ[1] وإنا إلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبونَ) .

يا علي : لا تَغضَبْنَ إذا قيل لك : إتقِ الله فيسوءَك ذلك يومَ القيامة .

يـا علي : إن الله يَعْجب من عبده إذا قـال : اللهم إغفـرْ لي إنـه يغفـرُ الذنوبَ إلاّ أنت ، يقول الله (يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفـرُ الذنـوبَ غيري ، إشهدوا أني قد غفرتُ له) .

يـا علي : إذا لبست ثـوبـاً جـديـداً فقـل : بسم الله والحمـدُ لله الـذي

---

(١) اقرن له : اطاقه وقوي عليه ، قـال الله تعالى «ومـا كنا لـه مقرنين» أي مطيقين ا هـ مختار الصحاح .

كساني ما أُواري به عورتي وأستغني بـه عن الناس ، لم يبلغِ الثـوبُ ركبتَيْك حتى يُغْفَر لك .

يا علي : مَنْ لبس ثوباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عرياناً أو مسكيناً ، كان في جوار الله وأمنِه وحفظِه ما دام عليه منه سِلْك .

يا علي : إذا دخلتَ السوقَ فقل حين تدخل : بسم الله وبالله أشهـد أن لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنّ محمـداً عبدُه ورسـولهُ ، يقـول الله تعالى : عبـدي[1] ذكرني والناسُ غافلون ، إشهدوا أني قد غفرتُ له .

يا علي : إنّ الله يَعجبُ ممن يذكره في الأسواق .

يـا علي : إذا دخلتَ المسجـدَ فقـل : بسم الله والسـلامُ على رســول الله ، اللهم إفتح لي أبواب رحمتـك ، وإذا خرجتَ فقـل : بسم الله والصلاة على رسول الله اللهم إفتح لي أبواب فضلك .

يا علي : وإذا سمعتَ المؤذنَ قل مثلَ مقالتِه يكتبْ لك مثلُ أجره .

يا علي : وإذا فرغت من وُضوئك فقل : أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأشهد أن مـحمــداً رســول الله ، الـلهم إجعلنـي من الـتــوابيـن ، واجعلني مـن المتطهرين ، تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أُمُّـك ، وتفتح لـك ثمانيـة أبوابِ الجنة ، يقال : أُدخلْ من أيِّها شئت .

يا علي : إذا فرغت من طعامك فقل : الحمد لله الـذي أطعمنا وسقـانا وجعلنا مسلمين .

يا علي : إذا شربتَ مـاء فقل : الحمـد لله الذي سقانا ماءً جعله عـذباً فراتاً[2] برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا ، تكتبْ شاكراً .

يـا علي : إياك والكـذب فإن الكـذب يسود الـوجه ، ولا يـزال الرجـل

---

(١) وفي نسخة أُخرى عبدي هذا .

(٢) الفرات : الماء العذب . وماء أجاج ملح مر . اهـ مختار الصحاح .

يكذب حتى يسمّى عند الله كاذباً ، ويصدقُ حتى يسمى عند الله صادقاً ، إن الكذب يجانب الإيمان .

يا علي : لا تغتابَنّ أحداً ، فإن الغيبة تفطّر الصائم ، والذي يغتاب الناس يأكلُ لحمه يوم القيامة .

: يا علي : إياك والنميمة فلا يدخل الجنة قتات [يعني النمام] .

يا علي : لا تحلفْ بالله كاذباً ولا صادقاً .

يا علي : لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم(١) فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً .

يا علي : أملك عليك لسانك وعوّده الخير ، فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيءٌ أشدُّ خيفةً من لسانه .

يا علي : إياك واللجاجة(٢) ، فإنها ندامة .

يا علي : إياك والحرصَ فإن الحرص أخرج أباك من الجنة .

يا علي : إياك والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكلُ النار الحطب .

يا علي : ويل لمن يكذب ليُضحك الناس ، ويلٌ له ويلٌ له .

يا علي : عليك بالسواك فإنه مطهرةٌ للفم ، ومرضاةٌ للرب تعالى ، ومجلاةٌ للأسنان .

يا علي : عليك بالتخلل فإنه ليس شيءٌ أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً ، فقال علي رضي الله عنه : فقلت يا رسول الله

---

(١) جعلت فلاناً عرضة لكذا : أي نصبه له ، وقوله تعالى «ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم» أي نصباً ، اهـ مختار الصحاح .

(٢) لج لجاجة : عند في الخصومة تمادى في العناد إلى الفعل الزجور عنه اهـ منجد .

أخبرني عن قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدمُ منْ ربِّه كلماتٍ فتابَ عليه﴾(١) ما هؤلاء الكلمات ؟ فقال النبي ﷺ : [إن الله تعالى أهبط آدمَ عليه السلام بأرضِ الهند ، وحواء بجدة ، والحية بأصفهان ، وإبليس ببيْسان ، ولم يكن في الجنة أحسنُ من الحية والطاووس ، وكان للحية قوائم كقوائم البعير ، فلما دخل إبليس ـ لعنه الله ـ جوفَها أغوى آدمَ عليه الصلاة والسلام وخدَعه ، فغضب الله تعالى على الحية ، فألقى عنها قوائمها ، وقال : جعلت رزقك من التراب ، وجعلتك تمشين على بطنك ، لا رحم الله من رحمك ، وغضب الله تعالى على الطاووس ، فمسخ رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة ، فمكث آدم عليه الصلاة والسلام بأرض الهند مائة سنة لا يرفعُ رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته ، وقد جلس جِلسة الحزين ، فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام ، فقال : السلام عليك يا آدم ، الله عز وجل يقرئُك السلامَ ويقول لك : ألم أخلقْك بيديَّ ، وأنفخْ فيك من روحي ، ألم أُسجد إليك ملائكتي ، ألم أُزوِّجْك حواء أَمَتي ؟ ما هذا البكاءُ ؟ قال : يا جبريلُ وما يمنعني من البكاء وقد أُخْرِجتُ من جوار ربي ؟ قال جبريل عليه الصلاة والسلام : يا آدم تكلم بهؤلاء الكلمات ، فإن الله تعالى غافرٌ ذنْبكَ ، وقابلٌ توبتك ، قال : فما هي ؟ قال : قل : اللهم إني أسألك بحق محمدٍ وآل محمدٍ سبحانك اللهم وبحمدِك عَمِلتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلاّ أنتَ فارحمني وأنت خير الراحمين ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنتَ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فتُب عليّ إنك أنتَ التواب الرحيم ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين ، فهؤلاء الكلمات] .

يا علي : وأنهاك عن حيَّات البيوت إلاّ الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان .

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٧ .

يـا علي : وإذا رأيت حيّة في رحْلِك فـلا تقتلهـا حتى تُحَـرِّجَ[1] عليهـا ثلاثاً ، فإن عادت الرابعة فاقتلها .

يا علي : وإذا رأيت حيّة في الـطريقِ فاقتلهـا ، فإني قـد إشترطتُ على الجنّ أن لا يظهروا في صورة الحياتِ في الطريق ، فمن فعل خلّى بنفسه للقتل .

يـا علي : أربعُ خصـالٍ من الشقاء : جمـودُ العين ، وقسـاوةُ القلب ، وبُعد الأمل ، وحبُّ الدنيا .

يـا علي : أنهـاك عن أربـع خصـالٍ عـظامٍ : الحسـد ، والحـرص ، والغضب ، والكذب .

يـا علي : ألا أُنبئك بشـرِّ الناس ؟ قـال : قلت : بلى يـا رسـول الله ، قال : مَن أكل وَحْدَه ، ومنع رِفْده ، وضرب عبْدَه ، ألا أنبئك بشـرّ من هؤلاء جميعـاً ؟ قال : قلت : بلى يـا رسول الله ، قـال : من لا يُـرجى خيـرُه ، ولا يُؤمن شره .

يـا علي : إذا صليت على جنازةٍ فقـل : اللهم هذا عبـدُك وابنُ عبـدِك وابنُ أَمَتِكَ ، ماضٍ فيـه حكمُك ، خلقتَـه ولم يكن شيئاً مـذكوراً ، نـزل بك وأنتَ خيـرُ منزولٍ بـه ، اللهم لقّنْه حُجّتـه ، وألحِقْه بنبيّـه ﷺ ، وثبّتْه بـالقول الثـابت ، فإنـه إفتقرَ إليـك وإستغنيتَ عنه ، كـان يشهـد أنْ لا إلـه إلاّ أنت ، فاغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده ، اللهم إن كان زاكياً فزكّـه ، وإن كان خاطئاً فاغفر له .

يا علي : وإذا صليت على جنازة إمرأة فقل : اللهم أنتَ خلقتهـا وأنت أحييْتها ، وأنت أمتّها ، تعلمُ سِرَّها وعلانيتها ، جئناك شفعاءَ لهـا ، فاغفـر لها وارحمها ، ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنّا بعـدها ، وإذا صليت على طفـل فقل : اللهم إجعله لوالديه سلفاً ، واجعله لهما ذخراً ، واجعله لهما رشداً ، واجعله

(١) حرج عليه : ضيق عليه ـ وفي الحديث : فليخرج عليها : هو أن يقول لهـا : أنت في حرج ـ أي ضيق ـ إن عدت إلينا ، فلا تلومينـا أن نضيق عليك بـالتتبع والـطرد والقتل اهـ نهاية .

لهما نوراً ، واجعله لهما فرطاً[1] ، وأعقب والديه الجنة ، ولا تحرمْهُما أجـرَه ولا تفتِنهما بعده .

يا علي : إذا توضـأت فقل : اللهم إني أسـألك تمـام الوضـوء ، وتمام مغفرتِك ورضوانِك .

يا علي : إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنةً أمّنه الله من البـلايا الثـلاثة : الجنـونِ والجذامِ والبـرصِ ، وإذا أتت عليـه ستـون سنـةً فهـو في إقبال ، وبعد الستين في إدبـارٍ ورزقه الله الإنـابة فيمـا يجب ، وإذا أتت عليه سبعـون سنةً أحبـه أهلُ السمـوات وصـالحـو أهـلِ الأرض ، وإذا أتت عليـه ثمانون سنة كتبت له حسنـاتُه ، ومحيت عنـه سيئاتـه ، وإذا أتت عليه تسعـون سنةً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإذا أتت عليه مـائة سنـة كتب الله إسمَـه في السماء : أسيـرُ الله في أرضه، وكان جليسَ الله تعـالى ، يـا علي : إحفظ وصيتي ، إحفظ وصيتي ، إنك على الحقّ ، والحق معك .

ومن وصايا الصالحين

قال رجل لِذي النونِ : والله إني لأحبك ، فقال لـه ذو النون : إن كنت عرفت الله فحسبك الله ، وإن كنت لم تعـرفه فـاطلب مَن يعرفُـه حتى يَدُلُّـك على الله وتتعلمَ منـه حفظَ الحـرمـة لمـولاك ، وفي معنى مـا قـالـه ذو النـونِ وأوصى به ما إتفق لنا مع صاحبِنا عبـدِ الله بن الأستاذ المـروزي . . وكان من كبار الصالحين . . كان له أخٌ مات ، فرآه في المنام ، فقال له : ما فعـل الله بـك ؟ فقال : أدخلني الجنّـة آكلُ وأشـربُ وأنكِحُ ، قـال له : ليس عن هـذا أسألُك ، هل رأيتَ ربَّك ؟ قـال : لا ما يـراه إلاّ مَن يعرفـه واستيقظ ، فركب دابتـه وجاء إلينـا إلى أشبيلية ، وعـرّفني بالـرؤيا ، ثم قـال لي : قد قصـدتُك لتُعرّفني بالله ، فلازمني حتى عرف الله بالقدْر الذي يمكن للمُحْدَث أن يعـرفَه

---

(١) أي أجراً يتقدمهما حتى يردا عليه . ا هـ مختار الصحاح .

به من طريق الكشف والشهود ، لا من طريق الأدلة النظرية رحمه الله . وقـال بعضهم في وصية : إصحب الذين وصفهم الله في كتـابه وهم : أهـلُ التقوى الـذن هم على سَمْتٍ مَحَجّتِـه[1] ، لعلك أن تـرقى في ملكـوت السمـوات ، فتكونَ للأبرار جليساً ، وللأخيار في أمنِ ذلك المقيل أنيساً ، وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاءَ النجـاءَ فيمابقي من عُمـرُك ،وقال بعض العلمـاء : تزودمن الـدنيا لـلآخرة وطـريقِها ، فـإن خير الـزاد التقوى ، وسـارع إلى الخيـرات ، ونافسْ في الدرجات قبل فناء العمر وتَقاربِ الأجل والفوتِ .

وصيـة :

قيل لبعض العلماء : أوْصِنـا ، قال : إيـاكم ومجالسـةَ أقوامٍ يتكلفـون بينهم زُخرُفَ القول غروراً ، ويتملقون[2] في الكلام خداعاً ، وقلوبهم مملوءة غشـاً وغلاً ودَغَـلاً[3] وحسداً وكبـراً وحـرصـاً وطمعـاً وبغضـاً وعـداوة ومكـراً وختـلاً[4] ، دينهم التعصبُ ، واعتقـادُهم النفـاقُ ، وأعمـالهم الـريـاءُ ، واختيارُهم شهوات الدنيا ، يتمنون الخُلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيـلَ لهم إلى ذلـك ، يجمعون مـا لا يأكلون ، وَيَبْنـون ما لا يسكنـون ، ويؤمّلون ما لا يُـدركون ، ويكسبـون الحـرام ، وينفقـون في المعـاصي ويمنعـون المعـروف ويركبون المنكر .

وصيـة :

روينا عن يوسف بْنِ الحسين قـال : قلت لذي النـونِ في وقت مفارقتي إيـاه : مَن أجالسُ ؟ قـال : عليك بصحبـةِ مَن يُذَكِّـرُكَ الله عَزّ وجـلّ رؤيتُـه ،

---

(١) السمت : الـطريق وهـو أيضـاً : هيئـة أهــل الخيـر . والمحجـة : بفتحتين : جـادة الطريق . ا هـ مختار الصحاح .

(٢) تملق له : أي تودد إليـه وتلطف له ، ورجـل ملق : يعطي بلسـانه مـا ليس في قلبه . ا هـ مختار الصحاح .

(٣) الدغل : بفتحتين : الفسـاد .

(٤) ختله : خدعه ـ من باب ضرب . ا هـ مختار الصحاح .

وتقعُ هيبته على باطنك ، ويزيد في عملك منطقُه ، ويزهدُك في الدنيا عمله ، ولا يعصي الله ما دمت في قربه ، يعظك بلسان فِعْلِهِ ، ولا يعظك بلسان قوله ، وهو تاركٌ لما يَدُلُّك عليه ، أي هو خالٍ من الفضائل التي نعظك بها لأن الرجل قد يكون على عملٍ من أعمال البر يقتضيه حالُه ، ويدلك بقوله على عمل من أعمال البر يقتضيه حالُك ولا يقتضيه حاله في الوقت ، فيريد بقوله بلسان فعله ، أي أفعاله مستقيمةٌ ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿أتَأمُرونَ النّاسَ بالبرّ﴾ ؟ وما عَيَّنَ بِرّاً من برّ ﴿وَتَنْسَوْنَ أنفُسَكم وَأنْتم تَتْلونَ الكِتابَ أفلا تَعقِلون﴾[1] .

وصية نبوية عيسوية :

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : يا بني إسرائيل إعلموا أن مَثَل دنياكم مع آخرَتِكم كمَثَل مَشْرِقِكم مع مغربكم ، كلما أقبلتم إلى المشرق بَعُدتم من الغربِ ، وكلما أقبلتم إلى المغرب إزددتم من المشرق بُعداً ، أوصاهم بهذا المثَل أن يقربُوا من الآخرة بالأعمال الصالحة .

وصية :

أوصى بعضُ العلماء ، قال ، إياكم أن تكونوا من قومٍ يتمردون وفي طُغيانهمَ يَعمهون ، لا يستمعون النداءَ ، ولا يُجيبون الدعاء ، تراهم مُوَلِّين مُدبرين ، عن الآخرة معرضين ، وعلى الأعقاب ناكصين ، وعلى الدنيا مكبِّين ، يتكالبون تكالب الكلاب على الجِيَف ، منهمكين في الشهوات ، تاركين الصلاة ، لا يسمعون الموعظة ، ولا ينفعهم التذكرة ، لاجرَمَ أنّ مَن هذه صفتُه يُمهلون قليلاً ويتمتمون يسيراً ، ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كانوا منه يحيدون ، شاؤوا أم أبَوْا ، فيفارقون محبوَبهم على رغمٍ منهم ، ويتركون ما جمعوه لغيرهم ، يتمتعُ بمال أحدِهم حليلُ زوجته ، وإمرأةُ إبنه ، وبعلُ إبنته ، وصاحبُ ميراثه ، للوارث المهنأة وعليهم الوبال ،

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٤٤ .

ثقيلٌ ظهره بأوزاره ، معذَّبُ النفس بما كسبت يداه ، يا حسرةً عليه إذا قامت على أبنائها القيامة ، فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء ، وكونوا من الذين أخذوا من عاجلهم لآجلهم ، ومن حياتهم لموتهم كما قال ﷺ فيهم : [صَحِبُوا الدنيا بأجسادٍ أرواحُها معلقةٌ بالمحلّ الأعلى] .

وصية :

قال بعض الصالحين يوصي إنساناً : إحذر أن تنقطعَ عنه فتكونَ مخدوعاً ، قال له وكيف يكون ذلك ؟ قال : لأن المخدوعَ من ينظر إلى عطاياه فينقطعُ عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ، ثم قال : تَعَلَّقَ الناسُ بالأسباب ، وتعلق الصدِّيقون بولي الأسباب، ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبُهم منه العطايا ، ومن علامات تعلق قلب الصدّيق بولي العطايا إنصبابُ العطايا عليه وشغلُه عنها به ، ثم قال : ليكن إعتمادُك على الله في الحال لا على الحال ، ثم قال : إعقِل فإن هذا من صفوة التوحيد .

وصية نبوية روحية :

قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه يوصيه : صُم عن الدنيا ، واجعلْ فطرَك الموتَ ، وكن كالمداوي جرحَه بالدواء خشيةَ أن يثقل عليه ، وعليك بكثرة ذكر الموت ، فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخيرٍ لا شر بعده ، وإلى الشرّير بشرٍّ لا خير بعده .

وصية بتنبيه :

قال ذو النونِ : ثلاثةٌ من أعلام الإيمان : إغتمامُ القلب بمصائب المسلمين ، وبذلُ النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم ، وإرشادُهم إلى مصالحهم وإن جَهِلوهُ وكرهوه . وقال محّمد بنُ أحمدَ بنِ سلمة : أوصاني ذو النونُ : لا تَشْغَلَنَّكَ عيوبُ الناس عن عيب نفسك ، لست عليهم برقيب ، ثم قال : إن أحبَّ عبادِ الله إلى الله عز وجل أعقلُهم عنه ، وإنما يُستدل على تمام عقل الرجل وتواضعِه في عقله حسنُ إستماعه للمحدِّث وإن كان به

عالماً ، وسرعةُ قبوله للحق وإن جاء ممن هو دونه ، وإقرارُه على نفسه بالخطأ إذا جاء به .

وصيـة :

أوصى بهـا راهبٌ عـارفـاً من المسلمين : إجتـاز بعضُ العـارفين في سيـاحته بـراهبٍ في صومعـة على رأس جبلٍ فـوقف به فنـاداه : يـا راهبُ ، فاخرجَ الراهبُ رأسَه من صومعته وقال : من ذا ؟ قال : رجلٌ من أبناء جنسك الأدميين ، قـال : فماذا تـريد ؟ قـال : كيف الطريقُ إلى الله ؟ قـال الرهب : في خلاف الهوى ، قال : فما خيرُ الزاد ؟ قال : التقوى ، قـال : فَلِمَ تبعُدت عن النـاس ، وتحصَّنتَ في هـذه الصـومعـة ؟ قـال : مخـافـةً على قلبي من فتنتهم ، وحـذراً على عقلي الحيرَةَ من سـوء عِشـرتهم ، وطلبتُ راحـة نفسي من مقـاساة مـداراتِهم وقبيحِ فعـالهم ، وجعلتُ معاملتي مـع ربي فاستـرحت منهم ، قـال ، فخبرني يـا أحدَ تبُّـاعِ المسيح : كيف وجـدتم معـاملتَكم مـع ربكم ؟ واصدقِ القولَ لي ، ودعْ عنك تزويقَ الكلام وزخرفَ القول ، فسكت الراهب ساعةً متفكراً ثم قال : شَرُّ معـاملةٍ تكون ، قـال له العـارف : كيف ؟ قال : لأنه أمَرَنا بالكد للأبدان وجهدِ النفوس وصيامِ النهار وقيامِ الليل وتـركِ الشهـوات المركـوزة في الجِبِلَّة ، ومخالفـة الهوى الغـالـب ، ومجاهـدةِ العدوّ المسلطِ ، والرضا ، وخشـونةِ العيش ، والصبـرِ على الشدائـد والبلوى ، ومع هذا كلّه جعَلَ الأجر بالسيئـة في الآخرةِ بعد الموت ، مـع بُعْد الـطريق وكثرةِ الشكـوك والحيرةِ والخـوفِ من الناس ، فهـذه حالتنـا في معاملتنـا مع ربنـا ، فأخبرْنا عنكم يا معشرَ تُبّاع أحمَـد : كيف وجدتم معـاملتَكم مع ربكم ؟ قـال العـارف : خيرَ معـاملة وأحسَنها ، قـال الـراهب : صفْ لي : مـا هي وكيف هي ؟ قال العارف ؛ ربُّنا أعطانـا سَلَفاً كثيـراً قبل العمـل ، ومواهبَ جـزيلة لا تُحصى فنـونُ أنواعهـا من النعم والإحسان والإفضـال قبل العمـل ، ومـواهبَ جزيلة لا تُحصى فنونُ أنواعها من النعم والإحسـان والإفضال قبـل المعاملة ، فنحن ليلَنا ونهارَنا في أنواعِ نعَمِه وفنونٍ من آلائه ، ما بين سـالف معتاد وآنف

مستفادٍ ، قال له الراهب : فكيف خُصصتم بهذه المعاملةِ دون غيركم والرب واحد ؟ قال العارف : أما النعمةُ والإفضال والإحسان فعمومٌ للجميع قد غمرتنا كلَّنا ، ولكنا خُصصنا بحسن الإعتقادِ ، وصحةِ الرأي ، والإقرار بالحق ، والإيمان والتسليم له ، ووفقنا لمعرفة الحقائقَ لمّا أُعطينا الإنقيادَ للإيمان والتسليمَ وصدقَ المعاملة مع محاسبة النفسِ ، وملازمة الطريق ، وتفقدَ تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب ، ومراعاةَ القلب بما يَردُ عليه من الخواطر والوحيِ والإلهام ساعةً ساعةً .

قال الراهب : زدني في البيان فإنها وصية عجيبة ، ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشان ، قال العارف ، أزيدُك ، لِسمع ما أقوله ، وافهم ما تسمع ، واعقل ما تفهم : إن الله جل ثناؤه لَمّا خلق الإنسان من طينٍ ولم يكُ قبلُ شيئاً مذكوراً ، ثم جَعَل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهين ، نطفةً في قرار مكين ، ثم قَلَّبه حالاً بعد حالٍ تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقاً سوياً ببنيةٍ صحيحة ، وصورةٍ تامة ، وقامة منتصبة ، وحواسٌ سالمةٍ ، ثم زوده من هناك لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين حولين كاملين ، ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنونِ لطفه وغرائبِ حكمته إلى أن بلغ أشدَّه واستوى ، ثم آتاه حُكماً وعلماً ، ثم أعطاه قلباً زكياً وسمعاً دقيقاً وبصراً حاداً ، وذوقاً لذيذاً وشمّاً طيباً ، ولمساً ليناً ولساناً ناطقاً ، وعقلاً صحيحاً وفهماً جيداً ، وذهناً صافياً وتمييزاً وفكراً ، وَرَوِيّة وإرادة ومشيئةً ، واختياراً ، وجوارحَ طائعة ويدينِ صانعتين ، ورِجلين ماشيتين .

ثم علمه الفصاحةَ والبيانَ والخطَّ بالقلم ، والصنائعَ والحِرف والحرثَ والزراعةَ والبيعَ والشراءَ والتصرف في المعاشِ وطلبَ وجودِ المنافع ، واتخاذَ البنيان ، وطلبَ العزَّ والسلطان ، والأمرَ والنهيَ والرياسة ، والتدبيرَ والسياسة ، وسخر له ما في الأرض جميعاً من الحيوانات والنبات وخواصّ المعادن ، فغدا متحكماً عليها تحكُم الأرباب ، متصرفاً فيها تصرف الملّاك ، متمتعاً بها إلى حين .

ثم إن الله تعالى جَلَّ ثناؤه أراد أن يَزيده من فضله وإحسانه ، وجوده وإنعامه غنىً آخرَ هو أشرفُ وأجلُّ من هذا الذي تقدم ذكرُه ، وهو ما أكرم به ملائكته وخالصَ عباده وأهلَ جنته من النعيم الأبدي الأزلي ، لا يشوبه شيء من النقص ، ولا من التنغيص ، إذ كان نعيمُ الدنيا مَشوباً بالبؤس ، ولذاتُها بالآلام ، وسرورها بالحزن ، وفرحها بالغم ، وراحتُها بالتعب ، وعزّها بالذل ، وصفوُها بالكدر ، وغناها بالفقر ، وصحتها بالسقم ، وأهلُها فيها معذبون في صورة المنعَّمين ، ومغروررون في صورة الواثقين ، مهانون في صورة المكرَمين ، وَجِلون غيرُ مطمئنين ، خائفون غير آمنين ، مترددون بين المتضادين : نورٍ وظلمةٍ ، وليلٍ ونهارٍ ، وصيفٍ وشتاءٍ ، وحرّ وبردٍ ، ورطْب ويابس ، وعطش وريّ ، وجوعٍ وشِبع ، ونوم ويقظة ، وراحةٍ وتعب ، وشباب وهرم ، وقوة وضعف ، وحياء وموت ، وما شاكل هذه الأمور التي أهلُ الدنيا وأبناؤها فيها مترددون مدفوعون إليها ، متحيرون فيها .

فأراد ربي أيها الراهبُ أن يخلصهم من هذه الأمور ، والآلامِ المشوبة باللذات ، وينقلَهم منها إلى نعيمٍ لا بؤسَ فيه ، ولذةٍ لا ألم فيها ، وسرور بلا حزن ، وفرح بلا غم ، وعز بلا ذل ، وكرامة بلا هوان ، وراحة بلا تعب ، وصفو بلا كدر ، وأمنٍ بلا خوف ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وحياة بلا موت ، وشباب بلا هرم ، ومودة بين أهلها بلا ريبة ، فهم في نورٍ لا يشوبه ظلمة ، ويقظة بلا نوم ، وذكر بلا غفلة ، وعلم بلا جهالة ، وصداقةٍ بين أهلها بلا عداوة ولا حسدٍ ولا غيبة ، إخواناً على سررٍ متقابلين آمنين مطمئنين أبدَ الآبدين . ولَمّا لم يمكن الإنسان أن يكون بهذا المزاج المظلم الخاص الذي هو محلُّ القاذورات المتولدُ من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة ، والصفات الصافية ، والأحوالِ الباقية ، إقتضت العنايةُ الإلهية بواجب حكمة الباري تعالى أن يُنشئه نشأة أُخرى كما ذكر في قوله تعالى : ﴿ولقد عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولى فَلولا تَذَكَّرون﴾[1] النشأةَ الآخرة أنها على غير

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ٦٢ .

مثـال ، كما كـانت الأولى على غير مثـال ، فهم في هذه النشـأة الأخرويـة لا يبـولون ولا يتغـوطون ، ولا يَمْتخـطون ، وفضلاتُ أطعمتهم وأغـذيتهم عَـرَقٌ يخرجُ من أعرافهم أطيبَ من ريح المسك ، فأين هذه النشـأةُ من تلك ؟ وأين هذا المزاجُ من ذاك المزاج ؟ مع كونها نشأةً طبيعية معتدلةَ المزاج ، متساويـةَ الأمشـاج قال تعـالى : ﴿ونُنْشِئَكم فيما لا تَعْلمـون﴾[1] و ﴿الله يُنْشِيءُ النشـأةَ الآخِرَة﴾[2] فبعثَ الله جلّ ثناؤه لهذا السببِ أنبياءَه إلى عباده يبشـرونهم بها ، ويـدعونهم إليهـا ويرغبـونهم فيها ، ويـدلونهم على طـريقها ، كمـا يطلبـونها مستعدين ، قبل الورود عليها ، ولكي يسهِّل عليهم أيضاً مفارقةَ مألوفاتِ الدنيا من شهواتها ولذاتها ، ويخففَ عليهم أيضاً شدائـدَ الدنيـا ومصائبهـا إذا كانـوا يرجون بعدها ما يعمرها ، ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها ، ويحذرهم فوتَ نعيمها ، فإنه من فاته فقد خَسِر خسراناً مبيناً ، قال العارف : فهذا رأينـا واعتقادُنا يا راهبُ في معاملتنا مع ربنا الذي قلتُ لك ، وبهذا الإعتقـاد طابَ عيشنا في الدنيا ، وسهلَ علينا الزهد فيها وترك شهواتها ، واشتدت رغبتنـا في الآخرة ، وزاد حرصنا في طلبها ، وخفَّ علينا كَدُّ العبادة فلا نحس بها ، بـل نرى ذلك نعمةً وكرامةً وفخراً وشـرفاً ، إذ جعلنـا الله أهلاً أن نـذكره ، فهـدى قلوبَنا ، وشرحَ صدورَنا ونـوّر أبصارنـا ، لَمّا تعـرفَ إلينا بكثـرة إنعامـه وفنون إحسـانه ، فقـال الراهب : جـزاك الله خيـراً من واعظ مـا أبلَغَـه ، ومن ذاكـرِ إحسانٍ ما أرفَقه ، ومن هادي رشـدٍ ما أبصـرَه ، ومن طبيب رفيقٍ ما أحـذَقَه ، ومن أخ ناصح ما أشفَقه .

وصيـة ونصيحة :

قال ذو النون : ليس بذي لب من كاسَ في أمـر دنياه ، وَحُمِق في أمـر آخرته ، ولا مَن سَفه في مواطنِ حلمه ، وتكبر في مـواطن تواضعـه ، ولا مَن فُقد منه الهـوى في مواضـع طمعه ، ولا مَن غضب من حقّ إن قيـل له ، ولا

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ٦١ .
(٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٢٠ .

من زهد فيما يـرغب العاقـل في مثله ، ولا من رغب فيما يـزهد الأكيـاس في مثله ، ولا مَن إستقلّ الكثيرَ من خـالقه عـز وجل ، واستكثـر قليلَ الشكـر من نفسه ، ولا مَنْ طلب الإنصاف من غيره لنفسه ، ولـم يُنصف من نفسـه غيره ، ولا من نسي الله في مواطن طاعتـه ، وذكَر الله في مـواطن الحاجـةِ إليه ، ولا مَن جَمَـعَ العلم فعُرف بـه ، ثم آثر عليـه هواه عنـد متعلّمه ، ولا مَن قـلَّ منه الحياءُ من الله على جميل ستره ، ولا مَن أغفل الشكرَ عن إظهار نعمتـه ، ولا مَن عجز عن مجاهـدةِ عدوه لنجـاته إذا صبـر عدوه على مجـاهدتـه ، ولا مَن جعل مروءتَه لباسَه ، ولـم يجعل أدَبه وورعه ونقواه لباسَه ، ولا مَن جعل علمه ومعرفتَه تظرفاً وتزييناً في مجلسه ، ثم قال : إستغفر الله إن الكلام كثير ، وإن لم تقـطعه لم ينقـطع ، وقام وهـو يقول : لا تخرجـوا من ثـلاثـة : النـظر في دينكم بإيمانكم ، والتزود لآخرتكم من دنياكم ، والإستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه .

وصيـة :

قال لقمان لابنـه : جالِس العلمـاءَ وزاحمهم بركبتيـك فإن الله سبحـانه يحيي القلوبَ الميتـة بنور العلم ، كمـا يحيي الأرض الميتة بـوابل السمـاء ، وإياك ومنازعـة العلماء فـإن الحكمة نـزلت من السماء صـافية ، فلمـا تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم .

وصيـة حكمية :

روينا عن ذي النون المصري أنه قال : مَن نظر في عيـوب الناس عَمِي عن عيوب نفسه ، ومَن إعتنى بالفردوس والنـار شُغِل عن القيـل والقال ، ومَن هرب من الناس سَلِم من شرهم ، ومَن شكر المزيدَ زِيدَ له ، وقـال بعضهم : مَثَل العالم الـراغب في الدنيـا الحريصِ في طلب شهـواتها ، كمثَـل الطبيب المـداوي غيرَه ، الممـرَّضِ نفسَه ، فـلا يُرجى منـه الصـلاحُ ، فكيف يشفي غيرَه ؟

وصيــة صحيحة :

سُئل بعض الأوليـاء العـارفين بـالله : مـا سببُ الـذنب ؟ قـال : سببـه النظرة : ومن النظرة الخطرةُ ، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبتْ ، وإن لم تداركها إمتزجت بالوساوس ، فيتولد منها الشهوة ، وكـلٌ ذلك ـ بعـدُ ـ باطنٌ لم يظهـر على الجوارح ، فـإن تداركت الشهـوة بقمعها وإلاّ تـولد منهـا الطلب ، فإن تداركت الطلبَ وإلاّ تولد منه الفعل .

تـذكـرة :

تتضمن وصيـةً نبـويـةً ، قـال عيسى عليـه الصـلاة والســلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل : يا أيها العلماء وأيها الفقهاء قعدتم على طـريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتَدخلوا الجنة ، ولا تتركـون أحداً يجـوزكم إليها ، وإن الجاهل أعذَرُ من العالم ، وليس لواحدٌ منهما عذر . وقال بعض الصالحين : من ترك الشغلَ بفضول الدنيا فهو زاهد ، ومن أنصف في المودة وقـام بحقوقِ النـاس فهو متـواضـع ، ومَن كـظم الغيظَ واحتمـل الضيم والتـزمَ الصبـرَ فهـو حليم ، ومن تمسك بالعدل وتركَ فضول الكلام وأوجزَ في المنطق ، وتـرك ما لا يعنيه ، واقتصد في أُمـوره فهو عـاقل ، ومَن تفـرغ إلى الأُمور المقـربة إلى الله تعـالى وتفرغ من نَكَـد الدنيـا وقـال في نفســه : إن لم تـأكـلْ مُتَّ ، وإنْ شبعتَ كسلتَ ، وإن زدتَ مرضت فهو عابد .

وصيــة :

من رجلٍ صالح ناصح لعباد الله ، وقد قال له مَن حضر من أصحـابه : أوصنـا بوصيـة لعل الله أن ينفعنـا بها ، فقـال رضي الله عنه : آثـروا الله على جميع الأشياء ، واستعملوا الصدقَ فيما بينكم وبينـه ، وأحبوه بكـل قلوبكم ، والـزمـوا بـابـه ، واشتغلوا بـه ، وتـوسـدوا المـوتَ إذا نمتم ، واجعلوه نُصْب أعينكم إذا قمتم ، وكـونوا كـأنكم لا حاجـة لكم إلى الـدنيـا ولا بـدَّ لكم من الآخرة ، واحفظوا ألسنتكم ، ولتُحزِنكم ذنوبكم ، وليكن إفتخـاركم بربكم ، وكونوا من خالصي أهل الله تسلموا ويسلمْ مِنكم الناس فتنالوا غداً مُناكم ، ثم

قال : إستغفرُ الله فإن للكلام حلاوة في الدنيا ، وما أعظم مؤنتَها في الآخرة ، ثم قال : (ليسألَ الصادقين عن صدقهم) وفي دونِ ما قلتُ كفاية .

وصايا نبوية محمدية

أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه ، فلنذكر منها ما يَسَّر الله على قلمي الذي أُنشىءُ به صورَ الحروف الدالةِ على المعاني ، وفي مثل هذا قلتُ أُخاطبُ الخادمَ الذي «يَقِدُ» لي السراجَ حتى أكتبَ ما يُلقي الله في رُوعي من الأسرار الإلهية والمعارف الربانية :

قِدِ السراجَ عسى أحظى برؤيته ... وأنشِىءُ الملأ المَرْقوم في الورقِ
فما ترى طبقاً يعنو لخدمتِه ... إلاّ ويُخبر بالأحوال عن طَبَقِ
في أحرفٍ ما لها حَدٌّ فيحْصُرَها ... تبدو معانيهِ للأبصار في نَسَقِ
يُخطِّطُ القلمُ العلويُّ صورتها ... على يدِي دائماً ما دام لي رمقي

قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة: يا أبا هريرة إذا توضأتَ فقل: [بسم الله والحمد لله] فإن حفظتَك لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء .

يا أبا هريرة إذا أكلت طعاماً دسماً فقل : [بسم الله والحمد لله] فإن جفظتَك لا تستريح تكتب لك حسناتٍ حتى تنبذه عنك .

يا أبا هريرة إذا غشيتَ أهلَك أو ما ملكتْ يمينُك فقل [بسم الله والحمد لله] فإن حفظتَك تكتب لك حسناتٍ حتى تغتسلَ من الجنابة ، فإذا إغتسلتَ من الجنابة غُفر لك ذنوبك .

يا أبا هريرة فإن كان لك ولدٌ من تلك الوقعة كُتب لك حسنابٌ بعددِ نسل ذلك الولد وعقبِه حتى لا يبقى منه شيءٌ .

يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل : [بسم الله والحمد لله] تكتبْ من العابدين حتى تَنزلَ عن ظهرها .

يا أبا هريرة إذا ركبت السفينة فقل [بسم الله والحمد لله] تكتبْ من العابدين حتى تخرجَ منها .

يا أبا هريرة إذا لبست ثوباً جديداً فقل : [بسم الله والحمد لله] يكتبْ لك عشرُ حسنات بعدد كل سلك فيه .

يا أبا هريرة لا يَهابَنَّك ما ملكتْ يمينُك ، فإنك إن مِتَّ وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً .

يا أبا هريرة لا تهجر إمرأتَك إلاّ في بيتها ، ولا تضربْها ولا تشتمها إلاّ في أمر دينها ، فإنك إن كنت كذلك مشيْتَ في طرقات الدنيا وأنت عتيقُ الله من النار .

يا أبا هريرة إحمل الأذى عمّن هو أكبرُ منك وأصغرُ منك وخيرٌ منك وشرٌّ منك ، فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة ، ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء .

يا أبا هريرة إن كنت أميراً أو وزير أميرٍ أو داخلاً على أميرٍ ، أو مشاورَ أميرٍ فلا تُجاوِزَنْ سيرتي وسنتي ، فإنه أيما أميرٍ أو وزيرِ أميرٍ ، أو داخلٍ على أمير ، أو مشاورِ أمير خالف سيرتي وسنتي ، جاء يوم القيامة تأخذُه النارُ من كل مكان .

يا أبا هريرة عدلُ ساعة خير من عبادة ستين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها .

يا أبا هريرة قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصرٌّ عليها ، فإنه من لقي ربه عز وجل على ذلك وهو مصرّ عليها فإن عقوبتها - يعني الصغيرة - كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصر عليها .

يا أبا هريرة لأن تلقى الله عز وجل على كبائر قد تبت منها خير لك من أن تلقاه وقد تعلمت آية من كتاب الله عز وجل ثم تنساها .

يا أبا هريرة لا تلعن الولاة فإن الله أدخل أُمةً جهنم بلعنهم ولاتهم .

يـا أبا هـريرة لا تسبنّ شيئاً إلاّ الشيطان ، فـإنك إن مت وأنت كـذلـك صافحتك جميـع رسل الله تعـالى وأنبياء الله تعـالى والمؤمنون حتى تعبـر إلى الجنة .

يا أبا هريرة لا تسبّ من ظلمك تعطَ من الأجر أضعافاً .

يا أبا هريرة أشبـع اليتيم والأرملة وكن لليتيم كالأب الـرحيم ، وللأرملة كالزوج العطوف ، تعطَ بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة ، كلُّ قصر خير من الدنيا وما فيها .

يا أبا هريرة إمش في ظلم الليل إلى مساجد الله عز وجـل تعط حسنات بـوزن كلِّ شيء وضعت عليـه قدمـك مما تحبُّ وتكـره إلى الأرض السـابعـة السفلى .

يا أبا هـريرة ليكن مـأواك المساجـد والحج والعمـرة والجهاد في سبيـل الله ، فإنك إن مت وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبـر ويوم القيـامة وعلى الصراط ويكلمك في الجنة .

يا أباهريرة لا تنهر الفقير فتنهرك الملائكة يوم القيامة .

يا أبا هـريرة لا تغضب إذا قيـل لك إتق الله ، وإن قـد هممت بسيئة أن تعملها تكن خطيئتك عقوبتها النار .

يـا أبا هـريرة من قيـل له : إتق الله ، فغضب جيء بـه يـوم القيـامـة ، فيوقف موقفـاً لا يبقى ملك إلاّ مرّ بـه ، فقال لـه : أنت الذي قيـل له إتق الله فغضب ؟ فيسؤه ذلـك ، فـاتق مسـاوىء يـوم القيـامـة أو مسـاءتي الشـك من الراوي] .

يا أبا هريرة أحسن إلى ما خوّلك الله ، فإنـه من أساء إلى مـا خولـه الله فـإنـه يـرصـده على الصـــراط فيتعلق بـه ، فكم من مؤمن يــردُّ من الصـراط للقصاص .

يا أبا هريرة على كل مسلم صلاة في جوف الليل ولو قدر حلب شـاةٍ ،

ومن صلى في جوف الليل يريد أن يرضي ربه عز وجل رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة ، فرغِم أبو هريرة ، قال : قلت يا رسول الله ﷺ : في أي الليل الصلاة أفضل ؟ قال : وسط الليل .

يا أبا هريرة إن إستطعت أن تلقي الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فافعل تكن من المقربين ، ولا تتخِذَن أحداً من خلق الله غرضاً فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة .

يا أبا هريرة إذا ذكرت جهنم فاستجر بالله منها ، وليبك قلبك منها ونفسك ويقشعر جلدك منها يجِرك الله منها .

يا أبا هريرة إذا إشتقت إلى الجنة فاسأل الله أن يجعل لك فيها نصيباً ومَقيلاً ، وليحِنّ قلبك شوقاً إليها ، وتدمع عيناك وأنت مؤمن بها ، إذاً يعطيكها الله تعالى ولا يردُّك .

يا أبا هريرة إن شئت أن لا تفارقني يوم القيامة حتى تدخل معي الجنة أحبيني حباً لا تنساني ، واعلم أنك إن أحببتني لم تترك ثلاثة : الإقتداء بهديي ، والشوق إليّ ، وكثرة الصلاة عليّ ، قلت : فوصل إليّ منها سرورٌ عظيم ، وارضَ بقَسْم الله ، فإنه من خرج من الدنيا وهو راض بقسْم الله خرج والله عنه راض ، ومن رضي الله عنه فمصيره إلى الجنة .

يا أبا هريرة مر بالمعروف وأنه عن المنكر ، قال : كيف آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ؟ قال : علّم الناس الخير ولقنهم إياه ، وإذا رأيت من يعمل بمعاصي الله تعالى لا تخف سوطه وسيفه ، فلا يحل لك أن تجاوزه حتى تقول له : إتق الله .

يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه للناس حتى يجيئك الموت وأنت كذلك ، وإن كنت كذلك جاءت الملائكة إلى قبرك وصلّوا عليك واستغفروا لك إلى يوم القيامة ، كما تحج المؤمنون إلى بيت الله عز وجل .

يا أبا هريرة إلقَ المسلمين بطلاقة وجهك ومصافحة أيديهم بالسلام ،

إن إستطعت أن تكونَ كذلك حيث كنت ، فإن الملائكة معك سوى حفظتك يستغفرون لك ويصلون عليك ، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له غفر الله له .

يا أبا هريرة إن أحببت أن يُفْشى لك الثناء الحسن في الدنيا والآخرة كُفّ لسانك عن غِيبة الناس ، فإنه من لم يغتب الناس نصره الله في الدنيا والآخرة ، أما نصرته في الدنيا فإنه ليس أحدٌ يتناوله إلاّ كانت الملائكة تكذبهم عنه ، وأما نصرته في الآخرة فعفو الله عن قبيح ما صنع ويُتَقبّل منه أحسن ما عمل .

يا أبا هريرة إغدُ في سبيل الله يبسطِ الله لك الرزق .

يا أبا هريرة صِلْ رحمك يأتِك الرزق من حيث لا تحتسب ، واحجج البيت يغفر الله لك ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام .

يا أبا هريرة إعتق الرقاب يعتق الله بكل عضوٍ منه عضواً منك وفيه أضعاف ذلك من الدرجات .

يا أبا هريرة أشبع الجائع يكنْ لك مثلُ أجر حسناته وحسنات عقبه ، وليس عليك من سيئاتهم شيء .

يا أبا هريرة لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً تعمله ، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، فإنه من خصال البر ، والبر كلُّه عظيم ، وصغيره ثوابه الجنة .

يا أبا هريرة أأمر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب ، ولا يكن للشيطان في بيتك مدخل ولا مسلك .

يا أبا هريرة إذا عطس أخوك المسلم فشمّته ، فإنه يكتب لك به عشرون حسنةً ، فقلت يا رسول الله , بأبي أنت وأُمي كيف ذاك ؟ قال : إنك حين تقول له : يرحمُك الله يكتب لك عشر حسنات ، وحين يقول لك : يهديك الله يكتب لك عشر حسنات .

يا أبا هريرة كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، يكونوا كلُّهم شفعاء لك ، ويكن لك مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيء .

يا أبا هريرة إن كنت تريد أن تكون عند الله صديقاً فآمن بجميع رسل الله وأنبياء الله وكتبه .

يا أبا هريرة إن كنت تريد أن تحرّم على النار جسدك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت [لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلاّ الله والله أكبر ، لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله] .

يا أبا هريرة لا يحلُّ لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولو كان نبياً حتى تلقنه شهادة أن لا إله إلاّ الله .

يا أبا هريرة من لقّن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له فقالها ، كان له مثل جميع حسناته ، فإن لم يقلها فله عتق رقبة بقوله لا إله إلاّ الله .

يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلاّ الله رب إغفر لي ، فإنها تهدم الذنوب هدماً ، فقلت : يا رسول الله ، هذا للموتى ، فكيف للأحياء ؟ فقال : هي أهدم وأهدم ، قال : فعدّده رسول الله ﷺ عليّ أكثر من عشرين مرة يقول رسول الله ﷺ : أهدم وأهدم .

يا أبا هريرة إن إستطعت أن لا تمطر السماء مطراً إلاّ صليت عنده ركعتين ، فإنك تعطى حسنات بعدد كل قطرة نزلت تلك الساعة ، وعدد كل ورقةٌ أُنبتت من ذلك المطر .

يا أبا هريرة تصدق بالماء ،فإنه لا يتوضأ أحدٌ إلاّ كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء .

يا أبا هريرة أما علمت أن رجلاً غفر له ، إحتشّ حشيشاً فجاءت بهيمة فأكلته .

يا أبا هريرة قل للناس حُسْناً تفلح يوم القيامة .

يا أبا هريرة عُـدْ على المسكين كافـراً كان أو مسلمـاً ، فإنـك إن عدت على المسكن الكـافـر رحمـك الله ، وأمـا ثـوابـك إن عـدت على المسكين المسلم فلا أحسن صفته .

يا أبا هـريرة إن كنت في مـال أبيك أو أُمـك أو ولدك فـلا يحل لـك أن تتصدق منه إلاّ بإذنه .

يا أبا هريرة لا يحل لك من مال إمرأتك شيء إلاّ شيءٌ تعطيـك من غير أن تسألها ، وذلـك هو قـول الله تعالى : ﴿فـإن طبنَ لَكُم عنْ شيءٍ منه نفْسـاً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾[1] .

يا أبا هريرة قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلاّ بكل رطب يَخفْن فساده إذا كان غائباً .

يـا أبا هـريرة علِّم النـاس سنتي يكن لك النـورُ الساطـع يوم القيـامـة ، يغبطك به الأولون والآخرون .

يا أبا هريرة كن مؤذناً وإماماً ، فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان يـرفع الله صوتك حتى يبلغ العرش ، فلا يمر صوتك على شيء إلاّ كان لك بعدده عشر حسنات ، ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلى خلفك ، ولـك مثل صـلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء ، إلاّ أن تكون إمـاماً خـائناً ، قـال : قلت يا رسـول الله : وكيف الإمـام الخائن ؟ قـال : إذا خصصت نفسك بـالدعـاء دونهم فقد خنتهم .

يـا أبا هـريـرة لا تضـربن في أدبٍ فـوق ثـلاث ، فـإنـك إن زدت فهي قصاص يوم القيامة .

يا أبا هريرة أدِّبْ صغارُ أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور ، فـإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً .

يا أبا هريرة عليك بابن السبيل فقدِّمـه إلى أهلك أو إلى أهله ، تشيعْك الملائكة إلى الصراط .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٤ .

يا أبا هريرة جالس الفقراء ، فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفةَ عين .

يا أبا هريرة لا تؤذ المسلمين في طريقهم ، فإنه من آذى المسلمين في طريقهم ذمّه المسلمون والملائكة جميعاً .

يا أبا هريرة إذا مررت على أذى في الطريق فغطه بالتراب ، يسترِ الله عليك يوم القيامة .

يا أبا هريرة إذا أرشدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة .

يا أبا هريرة من مشى مع أعمى ميلاً يسدده ، كان له بكل ذراع من الميل عشر حسنات .

يا أبا هريرة أسمع الأصمَّ الذي يسألك عن خيرٍ يسمعك الله ما يسرُّك يوم القيامة .

يا أبا هريرة أرشد الضال ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة .

يا أبا هريرة لا ترشد اليهوديَّ إلى بيعته ، ولا النصراني إلى كنيسته ، ولا الصابئيَّ إلى صومعته ، ولا المجوسيَّ إلى بيت ناره ، ولا المشرك إلى بيت وثنه إذاً تكتب عليك مثلُ خطاياه حتى ترجع .

يا أبا هريرة لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله فيعملَ به إذاً يكون عليك مثل ذنبه .

يا أبا هريرة إرشد عباد الله إلى مساجد الله ، وإلى البلد الحرام ، وإلى قبري يكن لك مثل أُجورهم ولا تنقص من أُجورهم شيئاً .

يا أبا هريرة أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري ، ولكن عليهن حج بيت الله الحرام إذا كان معهن محرم ، وإلاّ فلا ، قلت : يا رسول الله ، وإن كانت إمرأة مثل الحشفة[1] ؟ قال : وإن كانت إمرأة مثل الحشفة .

---

(١) الحشفة : التمرة اليابسة . وفي المختار : الحشف : أردأ التمر .

يا أبا هريرة إن إستطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يدٌ ولا لسانٌ فإني أحب لك ذلك .

يا أبا هريرة لا يكن أمير من أمرائك إلاّ أمير يعدل مثل ما تعدل أنت ، فإن عدلت أنت وجار هو كنت أنت شريكه في الإثم ، ولم تكن شريكه في الأجر .

يا أبا هريرة إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكّه ، فإن أصابته آفة وقد زكيته مرة واحدة فهي مجزئة إلى يوم القيامة .

يا أبا هريرة إذا لقيت اليهوديَّ والنصرانيَّ فلا تصافحه وأنت على وضوء ، فإن فعلت فأعد الوضوء .

يا أبا هريرة لا تكنى اليهوديَّ ولا النصراني ولا المجوسي ، ولكن سمه باسمه ، فإنك والله تذلّه بذلك ، ولا يحل لك أن تكرمه ، إنما لهم من العهد والذمة أن لا يؤخذ أموالهم إلاّ بطيب أنفسهم ، ولا تدخل بيوتهم إلاّ بإذنهم ، ولا تحُل بينهم وبين أطفالهم ، ولا يخانون في نسائهم فبذلك آمرك ولتعرف الملة .

يا أبا هريرة إذا خلوت بيهودي أو نصراني أو مجوسي فلا يحلُّ لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام .

يا أبا هريرة لا تجادلن أحداً منهم فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه أو تجيء بشيء فيكذبك ، بل لا يكون من حديثك إلاّ أن تدعوه إلى الإسلام وهو : قول الله تعالى : ﴿وجادِلهم بالتي هي أحسن﴾[1] الدعاءُ إلى الإسلام .

يا أبا هريرة صلِّ إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحد إن كان صفيقاً[2] .

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٠ .

(٢) صفق الثوب : بضم العين ـ كثف نسجه ـ ا هـ منجد .

يا أبا هريرة أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء أهل بدر ؟ فانظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمّع فيه يوم الجمعة فأعره ثوبك أو هبه له .

يا أبا هريرة أتريد أن لا تسمع حسيس النار ولا يقع بك شررها ؟ فأغث من إستغاث بك ، حريقٌ كان ، لصٌّ كان ، سيل كان ، غريق كان ، هدم كان .

يا أبا هريرة نفّس عن المكروبين والمغمومين تخرج من غم يوم القيامة .

يا أبا هريرة إمش إلى غريمك بحقه تشيعك الملائكة بالصلاة عليك .

يا أبا هريرة مَن علم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا يحتسب ، وهيأ له قضاء دينه في حياته أو بعد موته .

يا أبا هريرة من أصاب مالاً حلالاً وأدّى زكاته ثم ورّثه عقبه ، فكل ما يصنع فيه ورثته من الحسنات فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم .

يا أبا هريرة مَن قذف محصناً أو محصنة ، حُبس يوم القيامة في وادي خبال هناك حتى يخرج أو يجيء ببيان ما قاله ، قال : قلت يا رسول الله : وما وادي خبال ؟ قال : وادي خبال : وادٍ في جهنم يسيل فيه قيحُهم وما يخرج من أجوافهم .

يا أبا هريرة من مات وعليه دَينٌ وترك وفاء ذلك فجحده ورثته وليس لهم عليه بينة ، ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه فهو قصاصٌ من حسناته يوم القيامة .

يا أبا هريرة المقتول في سبيل الله يغفر له جميع ذنوبه إلاّ ديناً أو قذف محصنة أو محصن .

يا أبا هريرة كلُّ ذنب غمٌّ يوم القيامة ، فربَّ ذنب له ثارةٌ من الغم ، وربَّ ذنب له ثارات ، ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة الدم ، أو مال أو عرض .

يا أبا هريرة من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عز وجل قبل موته ، واستكـان وتضرع ، وليس عنـده أداء تلك المظلمة ، فإن على الله أن يُـرضي خُصماءه يوم القيامة من عنده بما شاء .

يا أبا هريرة إن ظَلمك إنسان فلا تشكه ، ولا تسمّـع به النـاس وتعرّفهم حالته ، تكن أنت وهو سواء .

يا أبا هريرة مَن عفا عن مظلمـة صغيرة أو كبيـرة فأجـره على الله ، ومن كان أجره على الله فهو من المقربين الذين يدخلون الجنة مُدخلاً .

يا أبا هريرة لا تُـروِّع أحداً من خلق الله عـز وجل فتـروّعك مـلائكة الله في الآخرة يوم القيامة .

يا أبا هريرة أتريد أن تكون عليك رحمةُ الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعـوثاً ؟ فقم بالليل وصلِّ وأنت تريد به رضا ربك ، ثم مرّ أهلك يصلون ، إذا فرغـوا يوقظونـك ، فإنـه إذا مرّ عليـك من الليل ثـلاث ساعـات ، ومن النهار ثـلاث ساعات ، وفي بيتك من يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك .

يا أبا هريرة صلِّ في زوايا بيتك جميعاً يكن نور بيتك جميعاً في السماء كنور الكواكب في السماء عند أهل الدنيا .

يا أبا هريرة إحمل غداءك وعشاءك إلى أقاربـك المحتاجين ، يكن لـك في كل خير يقسمه الله بين أوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر .

يا أبا هريرة إرحم جميـع خلق الله يرحمـك الله من النار يـوم القيامـة ، قال : قلت يا رسول الله : إني لأرحم الذباب يكون في المـاء ، فقال رسـول الله ﷺ رحمك الله ، رحمك الله ، رحمك الله .

يـا أبا هـريرة إذا نـزلت بك مصيبـة فارضَ بمـا أعطاك الله ، وليعلم الله منـك أن ثـواب المصيبـة أحبُّ إليـك من عـدم المصيبـة يعـطك الله الصـلاة والرحمة والهدى .

يا أبا هريرة عَزِّ الحزين كمـا تحب أن تُعزّى ، واذكـر ثواب مـا أعد الله

على المصيبة تعط بكل خطوة عتق رقبة .

يا أبا هريرة إذا مررت بجمع نساءٍ فلا تسلم عليهن ، فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن .

يا أبا هريرة إذا سلم المسلم على المسلم فردَّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة .

يا أبا هريرة الملائكة تتعجب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلم عليه .

يا أبا هريرة تعوَّد التسليم فإنه خصلة من خصال الجنة ، قال ابن شاهين : وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة .

يا أبا هريرة أصبحْ وأمسِ ولسانُك رطب من ذكر الله ، تصبح وتمسِ وليس عليك خطيئة .

يا أبا هريرة إن الحسناتُ يُذهبن السيئات كما يُذهب الماء الوسخ .

يا أبا هريرة إستر عورة أخيك يكن الله لك ناصراً .

يا أبا هريرة أُنصر أخاك واستر عليه قبل أن يرفع إلى السلطان في حدٍ من حدود الله ، فإن رفع إلى السلطان فإياك أن تباشر له بنفسك ومالك ، فإنه من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله فهو كذا وكذا .

وصية :

قال بعض العلماء في وصية أوصى بها : إعلم أنه من حاسب نفسه ربح ، ومن غَفل عنها خسر ، ومن نظر إلى العواقب نجا ، ومن إعتبر أبصر ، ومن فهم عَلم ، وفي التواني والإفراط تكون الهَلكة ، وفي التأني السلامة والبركة ، وزارع البرِّ يحصد السرور ، والقليل مع القناعة خير من الكثير مع السرف في الذل ، والتقوى نجاةً ، والطاعة ملك ، وحليف الصدق موفقٌ ، وصاحب الكذب مخذولٌ ، وصديق الجاهل تعِبٌ ، ونديم العالم مغتبَط ،

فإذا جهلت فسل ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا غضبت فاحلُم ، وإن إئتمِنْتَ فاكتم ، ومن كافأك بالشكر فقد أدى إليك الصنيعة ، ومن أقرضك الثناء فاقضه الفعل ، ومن بدأك ببرِّه شغلك بشكره ، فتفهم ما وفد مني إليك ، واجعله تمثالاً بين عينيك ، فإن الذي أفدتك من وصيتي أبلغ في رفدك من عطيتي ، وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب ، ولا تضعنْ معروفك عند اللئام فتضيعه ، فإن الكريم يشكر لك ويرصد لك المكافأة ، واللئيم يحسب ذلك خوفاً منه ، ويؤول أمرُك معه إلى المذمة ، قال الشاعر :

إذا واليتَ معروفاً لئيماً   يَعدُّك قد قتلتَ له قتيلا
فكن من ذاك معتذراً إليه   وقل : إني أتيتك مستقيلا
فإن تغفر[1] فخير من عظيم   وإن عاقبت لم تَظلم فتيلا
وإن واليتَ ذلك ذا وفاءٍ   فقد أودعته شكراً جميلا

ومن الوصايا :

أوصى بعض العارفين بالله إنساناً فقال : إياك أن تكون في المعرفة مدّعياً ، أو تكون بالزهد محترفاً ، أو تكون بالعبادة متعلقاً ، فقيل له : يرحمك الله ، فسِّر لنا ذلك ، فقال : أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت معرّى عن حقائقها كنت مدعياً ، وإذا كنت بالزهد موصوفاً بحالة ، وبك دون الأحوال كنت محترفاً ، وإذا علّقت قلبك بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً .

وصية نبوية :

قال رسول الله ﷺ في وصيته لأبي هريرة : عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناسُ لم يفزعوا ، وإذا طلب الناس الأمان من النار لم

---

(١) فمجترمي عظيم .

يخافوا ، قال أبو هريرة : من هم يا رسول الله ؟ حَلِّهم وصفهم لي حتى أعرفهم ، قال : قوم من أمتي في آخر الزمان يُحشرون في يوم القيامة مَحشر الأنبياء ، إذا نظر إليهم الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم ، حتى أعرِّفهم أنا فأقول أمتي أمتي ، فتعرف الخلائق أنهم ليسوا بأنبياء ، فيمرون مثل البرق والريح ، تغشى أبصارُ أهل الجمع من أنوارهم ، فقلت : يا رسول الله : مُر لي بمثل عملهم ، لعلي ألحق بهم ، فقال يا أبا هريرة ركب القوم طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الأنبياء ، آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله ، والعريَ بعدما كساهم ، والعطش بعدما أرواهم ، تركوا ذلك رجاء ما عند الله ، تركوا الحلال مخافة حسابهم ، صحبوا الدنيا بأبدانهم ، ولم يشتغلوا بشيء منها ، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم ، طوبى لهم ، طوبى لهم ، وددتُ أن الله جمع بيني وبينهم ، ثم بكى رسول الله ﷺ شوقاً إليهم ، ثم قال : إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم ، فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم ، فمَن خالف طريقتهم تعب في شدة الحساب .

وصية :

كتبتُ إلى بعض معارفنا بوصيةٍ ضمَّنتها أبياتاً أحرِّضه فيها على تكملةِ إنسانيته وهي :

إنْ تَكن رَوحاً ورَيحانا كنت بين الناس إنسانا
إنَّما أعطاكَ صورته لِتكن في الخلقِ رحمانا
فالذي قد حاز صورته حاز ما يأتي وما كانا
والذي في الغيب مت عجبٍ والذي قد جاءه الآنا
وإذا يدعوه خالقه إنما يدعوه بِحسانا

وأوصى : بعض الصالحين إنساناً فقال : أكثرْ مساءلةَ الحكماء ، وليكن أولّ شيء تسأل عنه العقل ، لأن جميع الأشياء لا تدرك إلاّ بالعقل ، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدُم ، ثم إخدم . سأل إبراهيم الأخميميُّ ذا النون أن يوصيه بوصيةٍ يحفظها عنه ، قال : وتفعل؟ قال إبراهيم :

قلت : نعم إن شاء الله ، فقال : يا إبراهيم إحفظ عني خمساً فإن أنت حفظتهن لم تبالِ ماذا أصبت بعدهن ، قلت : وما هن رحمك الله ؟ قال : عانق الفقر ، وتوسد الصبر ، وعادِ الشهوات ، وخالف الهوى ، وافزع إلى الله في أمورك كلها ، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجاء والصبر ، وتورثك هذه الخمسة خمسةً : العلم ، والعمل ، وأداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والوفاء بالعهود ، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلاّ بخمس : علم غزير ، ومعرفة شافية ، وحكمةٍ بالغة ، وبصيرةٍ نافذة ، ونفسٍ راهبة ، والويل كلُّ الويلِ لمن بُليَ بخمسٍ : حرمانٍ ، وعصيانٍ ، وخِذلان ، واستحسان النفس لما يسخط الله ، والإزراء على الناس بما يأتي ، وأقبح القبح خمسٌ : قبح الفِعال ، ومساوي الأعمال ، وثقل الظهور بالأوزار ، والتجسس على الناس بما لايحبُّ الله ، ومبارزة الله بما يكره ، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص عشَرة : أخلص علمه وعمله ، وحبّه وبغضه ، وأخذَه وعطاءه ، وكلامه وصمته ، وقوله وفعله ، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة : تجارة بالصدق ، وصناعة بالنصح ، وصيد البر والبحر ، وميراث حلالِ الأصل ، وهدية من موضع ترضاها ، وكلُّ الدنيا فضولٌ إلاّ خمسةً : خبزٌ يشبعك ، وماءٌ يرويك ، وثوب يسترك ، وبيت يكنُّك ، وعلم تستعمله ، وتحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء : الإخلاص ، والنية ، والتوفيق ، وموافقة الحق ، وطيب المطعم والملبس ، وخمسة أشياء فيها الراحة : ترك قرناء السوء ، والزهد في الدنيا ، والصمت ، وحلاوة الطاعة إذا غِبت عن أعين المخلوقين ، وترك الإزراء على عباد الله ، حتى لا تزدري على أحد يعصي الله ، وعندها يسقط عنك خمس : المراء ، والجدل ، والرياء ، والتزيين ، وحبُّ المنزلة ، وخمس فيهن جمع الهمّ : قطع كل علاقةٍ دون الله ، وترك كلِّ لذة فيها حساب ، والتبرم بالصديق والعدو ، وخفة الحال ، وترك الإدخار ، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم : نعمةَ زائلة ، أو بلية نازلة ، أو ميتة قاضية ، أو فتنة قاتلة ، أو تزل قدمٌ بعد ثبوتها ، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك . ومن قول أبي العتاهية في الوصايا منظوماً في هذا الباب :

ما أنا إلَّا لـمـن يـعـانـي أرى خليلي كـمـا يـراني
لست أرى مـا ملكتُ طـرفـي مـكـان مَن لا يـرى مكـاني
فـلي إلـى أن أمـوتَ رزق لـو جَهِدَ الخلقُ مـا عداني
فـاستغـنِ بـالله عـن فـلانٍ وعـن فـلانٍ وعـن فـلانِ
فـالـمـالُ مـن حِـلِّه قـوامٌ للعِـرضِ والـوجـه واللسـانِ
والـفـقـرُ ذلٌ عـلـيـه بـابٌ مفتـاحـهُ العجـزُ والتـواني
ورزقُ ربـي لـه وجـوهٌ هـن مـن الـله في ضـمـانِ
سبحـانَ مَـن لم يـزل عليّـا لـيس لـه في الـعـلوِّ ثـانِ
قضى عـلى خلقـه الـمنـايـا فـكـلُّ حـيّ سـواه فـانِ
يـا رب لَـم نبـكِ مـن زمـانٍ إلّا بـكـيـنـا عـلى الـزمـانِ

نصيحة عمرية :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه ، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق .

موعظة :

تتضمن وصية ونصيحة نبوية ، قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن تواضعَ في غير منقصة ، وذلَّ في نفسه في غير مسكنة ، وأنفقَ من مالٍ جمَعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحِم أهل الذِّلة والمسكنة ، طوبى لمن طابَ كسبهُ ، وصُلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شرَّه ، طوبى لِمن عَمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضلَ من قوله .

وصية :

الفضيل بن عياض الأمير المؤمنين : روينا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد حجَّ ، ومعه الفضل بن الربيع ، قال الفضل : أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً ، فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك ، فقال : وَيحك ، قد حاك في نفسي شيءٌ ، فانظر لي رجلاً أسأله ، فقلت : ههنا

سفيان بن عيينة ، فقال : أمضِ بنا إليه ، فأتيناه ، فقرعتُ الباب ، فقال : مَن ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك ، قال : خذْ لما جئناك له رحمك الله ، فحدّثه ساعةً ، ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم فقال لي : إقضِ دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، أُنظر لي رجلاً أسأله ، فقلت : ههنا عبد الرزاق ، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان ، وقال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، أُنظر لي رجلاً أسأله ، فقلت : ههنا الفضيل بن عياض ، فقال : إمضِ بنا إليه ، فإذا هو قائم يصلي يتلو آيةً من القرآن ، يردّدُها ، قال : إقرع الباب ، فقرعت ، فقال : مَن هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين فقال : ما لي ولأمير المؤمنين ، فقلت : سبحان الله ، أما له عليك طاعةٌ ؟ فنزل ففتح الباب ، ثم إرتقى إلى الغرفة ، فأطفأ السراج ، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كفُّ أمير المؤمنين قبلي إليه ، فقال : يا لها من كفّ ما ألينها إن نجتْ غداً من عذاب الله عز وجل ، فقلت في نفسي ليكلمنّه الليلة بكلامٍ من قلبٍ تقيّ ، فقال له : خذ لما جئناك له ، رَحِمَك الله ، فقال له : إن عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِيَ الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعبٍ القرظيّ ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إني قد إبتليت بهذا البلاء ، فأشيروا عليّ ، فعَدَّ الخلافة بلاءً ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له[1] سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن فطرك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب : إن أردتَ النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك إبناً ، فوقّر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك ، وقال له رجاءُ بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحبّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُت إذا شئت ، وإني أقول لك يا هارون : إني أخاف

---

(١) أي لعمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه .

عليك أشد الخوف ، يومٌ تزلُّ فيه الأقدام ، فهل معك ـ رحمك الله ـ مَن يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشيَ عليه ، فقلت[1] : أرفق بأمير المؤمنين ، قال : تقتُله أنت وأصحابك ، وأرفقُ به أنا ؟ ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغني أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه ، فكتب إليه : يا أخي أذكِّرُك سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن يُنصرف بك من عند الله عز وجل ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قَدِم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبي بكتابك ؟ لا أعود إلى ولايةٍ حتى ألقى الله عز وجل ،قال : فبكى هارون بكاء شديداً ،ثم قال له : زدني رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عمُّ المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله أمِّرني على إمارة ، فقال له :يا عم إن الإمارة حسرةٌ وندامة يوم القيامة ، فإن إستطعت أن لا يكون أميراً فافعل ، فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له : زدني ـ رحمك الله ـ قال : يا حَسَنَ الوجهِ أنت الذي يسألك الله عزّ وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن إستطعت أن تقي هذا الوجه فافعل ، وإياك أن تصبحَ وتمسي وفي قلبك غِشٌ لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : من أصبح له غاشّاً لم يُرَح رائحة الجنة ، فبكى هارون وقال : عليك دين ؟ فقال : نعم ، دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجتي ، قال : إنما يعني من دين العباد ، قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، وقد قال عز وجل : ﴿إن الله هو الرزاق﴾[2] فقال له : هذه ألفُ دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوَّبها على عبادتك ، فقال : سبحان الله أنا أدُلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ، سَلّمك الله ووفقك ، ثم صمت ولم يكلمنا ،فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال لي هارون : إذا دللتني على رجلٍ فدلّني على مثل هذا ، سيد السلمين ، فدخلتْ عليه إمرأة

---

(١) القائل الفضل بن الربيع .

(٢) سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٨ .

من نسائه ، فقالت له : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلتَ هذا المال لفرّجتَ عنّا به ، فقال لها : مَثَلي وَمثَلُكم كمَثَل قوم كان لهم بعيرٌ يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه فأكلوا الحمه ، فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخلُ فعسى أن يقبل المال ، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه ولا يجيبه ، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جاريةٌ سوداء فقالت له : يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله ، فانصرفنا .

وقال رجل لذي النون المصري : دلني على طريق الصدق والمعرفة ، فقال : يا أخي أدِّ إلى الله صدقَ حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة ، ولا ترقَ حيث لا ترقى فتزل قدمُك ، فإنه إذا دُلَّ بك لم تسقط ، وإذا إرتقيت أنت تسقط ، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً .

وصية مشفق ناصح :

ليكن آثرَ الأشياء عندك وأحبها إليك إحكام ما إفترض الله عليك ، واتقاء ما نهاك عنه ، فإن ما تعبَّدك الله به خيرٌ لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك ، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد ، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك ، إنما ينبغي للعبد أن يراعيَ أبداً ما وجب عليه من فرضٍ فيحكمه على تمام حدوده ، وينظر إلى ما نهي عنه فيتقيه على أحكم ما ينبغي ، فالذي قطع العباد عن ربهم عز وجل وقطعهم عن أن يُرزقوا حلاوة الإيمان وعن أن يبلغوا حقائق الصدق ، وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدَّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهِدون ، إنما قطعهم تهاونُهم عن إحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم ، وأبصارهم ، وألسنتهم ، وأيديهم ، وأرجلهم ، وبطونهم ، وفروجهم ، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخلَ عليهم البرَّ إدخالاً ، يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معرفته وفوائد كرامته ، ولكن أكثر القراء والنساك حقّروا محقرات الذنوب ، وتهاونوا بالقليل منها ،

وما فيهم من العيوب ، فحُرموا لذة ثواب الصادقين في العاجل ، واستغفرِالله مما تقول ولا تفعل .

وصية :

عبدِ الله المغاوري وكان رجلًا كبيراً من أهل لَبْلة من أعمال إشبيلية بغرب الأندلس يُعرف بالأندلسي ، كان سبب رجوعه إلى الله أن الموحدين لمّا دخلوا لَبْلة رَمَت إمرأة عليه نفسها وقالت له : إحملني إلى إشبيلية ، ونجِّني من أيدي هؤلاء القوم ، فأخذها على عنقه وخرج بها ، فلما خلا بها وكان من الشطار الأشدّاء وقوياء ، وكانت المرأة ذات جمالٍ فائقٍ ، فدعته نفسُه إلى وقاعها فقال : يا نفسُ هي أمانةٌ بيدي ، ولا أحبُّ الخيانة ، وما هذا وفاءٌ مع صاحبها ، فأبت عليه نفسه إلاّ الفعل ، فلما خاف على نفسه أخذ حجراً وجعل ذَكَرَه عليه ، وهو قائم وأخذ حجراً آخرَ فقال به عليه ، فرضخه بين الحجرين ، فقال : يا نفسي النار ولا العار ، فجاء منه واحدُ زمانه ، وخرج من حينه يطلب الحجّ : فأقام بالإسكندرية إلى أن مات بها ، أدركتُه ولم أجتمع به ، فأخبرني أبو الحسن الإشبيلي قال : أوصاني عبد الله المغاوري ، فقال لي : يا أبا الحسن آمرك بخمسٍ ، وأنهاك عن خمسٍ : آمرك باحتمال أذى الخلق ، وإدخال الراحة على الإخوان ، وأن تكون أذناً لا لساناً (أي إسمع ما يُتكلم به) ، والخامسُ أن تكون مع الناس على نفسك ، وأنهاك عن : معاشرة النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وعن الدعوى ، وعن الوقوع في رجال الله .

وصية حكيم :

رويناها من حديث ابن مروان المالكيِّ في المجالسة فال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : قال حكيم لحكيم : أوصني فقال : إجعلِ الله همك ، واجعل الحزن على قدر ذنبك ، فكم من حزين وقفَ به حزنُه على سرور الأبد ، وكم من فرِح نقله فرحه إلى طول الشقاء .

وصيـة نبوية :

رويناها من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ (توبوا إلى اللهقبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وَصِلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقة ترزقوا ، وأمروا بالمعروف تُحصنوا[١] ، وانهوا عن المنكر تنصروا، أيُّها الناس إن أكيَسكم أكثركم للموت ذكراً ، وأحزنَكم[٢] أحسنُكم له إستعداداً ، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور) وأنشد بعضهم :

كنّا على ظهرها والدهرُ في مَهَل والعيشُ يجمعُنا والدارُ والوطنُ
ففرّقَ الدهرُ بالتصريف ألفَتَنا واليومَ يجمعنا في بطنهاالكفَنُ

وصيـة :

الجرهميُّ : عمرَو بن لَحيّ بالحرم ، قال الله تعالى :﴿ومَن يُرد فيهِ بإلحادٍ بظُلمٍ نُذِقه مِن عَذابٍ أليم﴾[٣] فكان ابن عباس يسكن الطائف لأجل ذلك ، وثبتَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إحتكار الطعام بمكة إلحاد فيه) قال الجرهميُّ يخاطب عمرو بن لحيّ يوصيه :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام
سائِلْ بعادٍ أين هم وكذاكَ يخترم الأنام
ومَن العماليق الذ ين لهم بها كان السوام[٤]

ومن وصايا :

ذي النون بعضَ الفتيان : يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة ،

---

(١) تخصبوا ـ نسخة .

(٢) أحزمكم ـ نسخة .

(٣) سورة الحج ؛ الآية : ٢٥ .

(٤) أي الرعاية للأقوام .

واجمعها[1] بردَّ الظلامة تلبس غداً سرابيل السلامة ، وأقصرها في روضة الأمان ، وذوِّقها مَضضَ فرائض الإيمان ، تظفر بنعيم الجنان ، وجَرِّعها كأس الصبر ، ووطِّنها على الفقر ، حتى تكون تامّ الأمر ، فقال له الفتى : وأيُّ نفسٍ تقوى على هذا ؟ فقال : نفسٌ على الجوع صبرت ، وفي سربال الظلام خَطرت ، نفسٌ إبتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرطٍ ولا ثُنيا[2] ، نفس تدرّعت رهبانية القلق ، ورَعت الدُّجا إلى واضح الفلق ، فما بالُك بنفس في وادي الحَنادس[3] سلكت ، وهجرت اللذات فملكت ، وإلى الآخرة نظرت ، وإلى الفناء أبصرت ، وعن الذنوب أقصرت ، وعلى النزر من القوت إقتصرت ، ولجيوش الهوى قهرت ، وفي ظلام الدياجي زهرت ، فهي بقناع الشوق مختمرة ، وإلى عزيزها في غَلسِ الظلام مشمّرة ، وقد نبذتِ المعايش ورعت الحشائش ، هذه نفسٌ خدوم ، عملت ليوم القدوم ، وكلُّ ذلك بتوفيق الحي القيوم .

وصية :

ذي النون أخاه الكفلَ ، قال له : يا أخي كن بالخير موصوفاً ، ولا تكن للخير وصّافاً .

وصية نبوية :

حدّثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس ، قال : ثنا هبة الله بن مسعود ، ثنا محمد بن بركات ، ثنا محمد بن سلامة بن جعفر ، ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولانيُّ ، حدثني علي بن الحسين بن بُندار ، ثنا إسماعيل بن أحمد بن أبي حازم ، حدثنا أبي ، ثنا عمرو بن هاشم ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) واقمعها . نسخة .

(٢) أي ولا استثناء . والثنيا : ما استثنيته . منجد .

(٣) الحنادس ، جمع حندس بكسر الحاء والدال : الليل الشديد الظلمة ـ مختار الصحاح .

رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، وأحسن مصاحبة مَن صاحبك تكن مؤمناً ، واعمل بفرائض الله تكن عابداً ، وارضَ بقَسْم الله تكن زاهداً .

وصية :

مُحكمة في موعظةٍ منظومةٍ لأبي العتاهية :

ألا إن خيرَ الذُّخرِ خيرٌ تنالُه   وشرُّ كلامِ القائلين فضولُه
ألم ترَ أنّ المرءَ في دارِ بُلغَةٍ   إلى غيرها ، والموتُ فيها سبيلهُ
وأيُّ بلاغٍ يُكتفى بكثيره   إذا كان لا يكفيكَ منه قليلهُ
مَضاجعُ سكانِ القبورِ مَضاجعٌ   يُفارقُ فيهنّ الخليلَ خليلهُ
تزوّد من الدنيا بزادٍ مِنَ التّقى   فكلٌّ بها ضيفٌ وشيكٌ رَحيلهُ
وخذ للمنايا ـ لا أبالَكَ ـ عُدّةً   فإنّ المنايا مَن أتت لا تُقيلهُ
وما حادثاتُ الدهرِ إلّا لعِزّةٍ   تَبتُّ(١) قواها أو لِمُلكٍ تزيلهُ

ومن ذلك له أيضاً مما ضمّنه ديوانَه :

عيبُ ابن آدمَ ما علمتَ كثيرُ   ومجيئهُ وذهابهُ تقديرُ
غَرّتْك نفسك للحياةِ مُحِبّةً   الموتُ حقٌّ والبقاءُ يسيرٌ
لا تغبط الدنيا فإن جميع ما   فيها يسيرٌ لو علمتَ حقيرٌ
يا ساكنَ الدنيا ألم ترَ زهرة الدُّنيا على الأيام كيف تصيرُ ؟
سَل ما بَدا لك أن تنال من الغنى   إنّ أنت لم تقنع فأنت فقيرُ
يا جامعَ المالِ الكثيرِ لغيرِه   إنّ الصغيرَ من الذنوبِ كبيرُ
هل في يَدَيك من الحوادث قوةٌ   أو هَل عليك من المنون خَفيرُ(٢) ؟
ماذا تقول إذا رحلْتَ إلى البِلى   وإذا خلا بكَ منْكرٌ ونكيرُ

---

(١) البت : القطع ، أُ تقطع قواها . مختار الصحاح .
(٢) الخفير : المجير ، تقول : خفر الرجل أي أجاره وكان له خفيراً يمنعه . مختار الصحاح .

وصيـــة :

قال بعضهم : سألت أُستاذي : مَن أحادثه من الناس وإلى مَن أسكن ؟ فقال : عليك بمحادثةِ مَن لا تكتمه ما يعلمه الله منك ، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك ، وعاشرهم بالتي هي أحسن .

وصيـــة :

في حكايةٍ عن بعض أهل الولاية ، قال بعض السُّياح : كنت جائـزاً في بعض سيـاحاتي في أرض الشـام ، إذ مررت بنهـر يقال لـه : نهـر الـذهب ، فرأيت في ظهر قـرية من قـرى ذلك النهـر صومعـة فيها راهب ، فنـاديته : يـا راهب أجبني ، فلم يجبني ، فنـاديته الثـانيـة : يـا راهب أجبني فلـم يجبني ، فناديته الثالثة : يـا راهب أجبني ، أو قال فنـاديت الثالثـة : يا ربـانيُّ ، فاطّلع فرآني ، فقال : ما حاجتك ، وما الذي تريد ؟ فقلت له : عظةً أو وصيةً أنتفع بهـا ، فقال لي : أوَ تـركتَ الدنيـا ؟ قلت : نعم ، فقال لي : كـلِ القوت ، والـزم السكوت ، وعلّل[1] النفس فـإنك تمـوت ، وذكِّرهـا الوقـوف بين يدي الحي الذي لا يموت ، ثم قال :

لـوْ قـنِـعْـنـا لـكـفـانـا منـكِ يـادار الـيـسـيـرُ
أنـتِ نُـعـمـاكِ قـلـيـلٌ وبـلايـاك كـثـيـرُ
وقـبـورٌ تـتـلاشـى حـيث لا تـمشـي القـبـورُ
يـا مـبـهْـرَجْ لا تبـهْـرِجْ إنـمـا الـنَّـاقـدُ بـصـيـرُ

قال : فتركته وبتُّ ليلتي ، فلما أصبحت عدت إليه ، ونـاديت يا راهب زدني من تلك الحكمـة ، فقـال لي : كـلْ ممـا كسبتـه يمينـك وعَـرِقَ فيـه جبينك ، فإنَ ضعُف يقينك فسل ربك فإنه يعينك ، ثم قال :

إذا الـسـاعـة إقـتـربـت بـالـهـا وزلـزلـتِ الأرض زلـزالـهـا

---

(١) فلان يعلل نفسه بالشيء : أي يلهي نفسه به . اهـ ، مختار الصحاح .

فلا بدّ من سائلٍ قائلٍ ... من الناس يومئذ ما لها ؟
تحدّث أخبارَها ، ربُّها ... وربُّك لا شك أوحى لها
وتنفطِر[1] الأرض عن ساعةٍ ... تُشيب الكهولَ وأطفالها
ترى الناس سكرى بلا قهوةٍ ... ولكن ترى النفسُ ما هالها
ترى النفسُ ما قدمت محضراً ... ولو ذرةٌ كان مثقالَها
ذنوبي بلائي فما حيلتي ... إذا كنت في الحشر حمّالها ؟
يحاسِبها مَلِكٌ قادرٌ ... فإمّا عليها وإمّا لها

قال : فتركته وبتُّ ليلتي ، فلما أصبح عدت إليه ، وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة ، فقال لي : صلِّ الفرض ، واذكر العرض، ولا تطلب من أحد الصلة ولا القرض ، ثم قال :

متى تهجرُ الدنيا وتنوي لها بغضاً ... وتركُك للعصيان حقاً متى يقضى ؟
متى يا صَفيقَ الوجهِ[2] تضمر توبةً ... وعمرك في الدنيا يساق بها ركْضا ؟
فلا بد بعد الموت أن تسكن البِلى ... يَرضك ثِقل اللبْنِ تحت الثرى رضّا
وتعطى كتاباً فيه كلُّ فضيحةٍ ... وتشهد أهوال القيامة والعرْضا
فقم في دياجي الليل لله طائعاً ... لعلّ الذي أسخطته لعَلى يَرضى

قال فتركته وبتُّ ليلتي ، فلما أصبح عدت إليه ، وناديته : يا راهب زدني من تلك الحكمة ، فقال لي : يا هذا شغلتني عن عبادة ربي ، فقمت إليه مودعاً ، فقال لي : كل الصبر ، والزم الفقر ، ثم أنشد :

متى تُهدى إلى سبلِ الرشادِ ... إذا كنت المصرّ على الفسادِ
نهارَك لاعباً تغترُّ فيه ... وليلك لا تملُّ من الرُّقادِ
فدع ظلم العباد فليس شيءٌ ... أضر عليك من ظلم العباد
وَهيِّ الزاد إنك ذو رحيلٍ ... إلى السفر البعيد على انفراد
تأهب للذي لا بدّ منه ... فإن الموت ميقات العباد
يسرك أن تكون زميل قومٍ ... لهم زادٌ وأنت بغير زادِ ؟

(١) تفطر الشيء : تشقق . مختار الصحاح .
(٢) الصفيق : الوقح ، يقال : وجه صفيق : أي لا حياء له . منجد .

ورويناعن بعض علماء هذا الشان ، من أهل الله الناصحين أنفسهم أنه قال : ينبغي ـ لمن علم أن له مقاماً بين يدي الله عز وجل لِيسأله عما أسلف في هذه الدار ـ أن لا يؤثِرَ القليل على الجزيل الكثير ، ولا التواني والتقصير على الجدّ والتشمير ، ولا سيما إذا كان ممن قد أيّده الله منه بإتقان العلم ، ولقحَ عقله بدلالات الفهم أن لا يتحير في ظلمة الغفلة ، التي تحير فيها الجاهلون ، والعجب كلُّ العجب لأهل هذه الصفة : كيف إستوحشوا من طاعة الله وأنِسوا بغيره ، وركنوا إلى الدنيا وتقلُّب حالاتها ، وكثرة آفاتها ، ولا زادتهم الدنيا إلاّ هواناً ، ولا ازدادوا لها إلاّ إكراماً ، فما مستيقظٌ من وسَنة يخلع وثيق الغلِّ من عنقه ، ويهتك جِلباب الران عن قلبه ، وإن من أنصح النصحاء لك يا أخي من نبهك من أمرك على الحجة ، وأمرك بالرحلة ، ولم يحسن لك [سوف] و [أرجو] و [لعل] و [يكون] فما رأيتُ هذه الخصال ، تورث صاحِبها إلاّ الخسارة والندامة ، فكابدوا التسويفَ بالعزم ، وبادروا التفريط بالحزم ، فقد وضح لهم الطريق ، والله المستعان المرشد والدليل .

وصية :

سئل بعض أهل الله عن أهون[1] ما يجده العبد على تسكين الشهوة ، فقال : الصيام بالنهار ، والقيام بالليل ، وحذف الشهوات ، والتغافل عنها ، وترك محادثة النفس بذكرها ، فقيل له : فإن الرجل يصوم بالنهار ، ويقوم بالليل ، ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً ، فقال له : ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول ، فليقطع أسباب المادة منها جهده ، ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان وتسكين سلطانها بذكر الموت ، وتقريب الأجل ، وقصر الأمل ، وما يشغل القلوب . إقطع عن نفسك الشهوات ، واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب ، والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب ، نسأل الله تعالى التوفيق على بلاغ الطريق والخروج من كل ضيق ، إنه قوي شفيق .

---

(١) أعون ـ نسخة .

وصيـة :

في ذكـرى : قال بعض العلمـاء : مَن وثق بـالمقـادير إستـراح ، ومن صُحِّـح صُحِّح لـه ، ومن تقرب قـرِّب ، ومن صفى[1] صفي له ، ومن تـوكل وثق ، ومن تكلفّ ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه ، وقيل لبعضهم : بم ينال العبد الجنـة ؟ فقال : بحسن إستقامة ليس فيها روَغـان ، واجتهاد ليس معـه سهو ، ومـراقبة الله في السر والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب له ، والمحـاسبة لنفسـك قبل أن تحـاسب . كن عارفـاً خائفـاً ، ولا تكن عـارفـاً واصفـاً ، لا تكن خصمـاً لنفسـك على ربك تستزيده في رزقك وجاهك ، ولكن كن خصمـاً لـربك على نفسـك ، لا تجمع معـك عليك ، ولا تلقَ أحـداً بعين الإزدراء والتصغير وإن كـان مشركـاً ، خوفـاً من عاقبتك فلعلك تسلبُ المعرفـة ويرزقهـا ، وقال ذو النون : تعوذوا بالله من النُبطيّ[2] إذا إستعرب .

وهذه وصية عجيبـة مجربـة قالهـا مجرب ولهـا حكايـة ، قال ذو النـون المصري : رأيت في بربا بموضع يقال لـه : دندرة[3] مكتـوبـاً فيهـا : إحذروا العبيـد المعتقين ، والأحـداث المتقـربـن[4] ، والجنـد والمتعبـدين ، والنبط المستعـربين ، حدثنـا بهذا يـونس بـن يحيى بن العباس القصـار تجاه الـركن اليماني ، سنة تسـع وتسعين وخمسمائـة ، عن أبي بكر بن عبـد الباقي ، عن أبي الفضل بن أحمد عن أحمد بن عبد الله ، عن محمد بـن إبراهيم ، قال : سمعت عبـد الحكم بن أحمـد بن سـلام يقـول : سمعت ذا النـون يقـول الحكايةَ .

وصيـة :

إلهية : حدثنا عماد الدين عبد الله بن الحسن المعروف بابن النحاس ، قـال : حـدثني بـدرٌ الجنـدي ، قـال : قـال لي علـيٌّ بن الخـطاب الجـزريُّ

---

(١) وفي نسخة أُخرى ومن صفا صفي له ـ نسخة .

(٢) من القبط ـ نسخة .

(٣) تابعة لمصر ـ قريبة من السودان .

(٤) المتقربين ـ نسخة .

بـالجزيـرة ، وكان من الصـالحين : رأيت الحقَّ في النـوم فقـال لي : يـا ابن الخطاب تمنَّ ، قال : فسكتُّ ، فقال لي : يا ابن الخـطاب تمنَّ ، فسكتُّ ، قال ذلك ثلاثاً ، ثم قال لي في الرابعة : يا ابن الخطاب أعرضُ عليـك ملكي وملكوتي ، وأقول لـك تمنَّ وتسكت ؟ فقال : قلت يـا رب إن نطقت فبِـك ، وإن تكلمت فبمـا تجريـه على لساني ، فما الذي أقـول ؟ فقـال : قـل أنت بلسانك ، فقلت : يا رب قد شـرفت أنبياءك بكتب أنـزلتها عليهم ، فشـرفني بحديثٍ ليس بيني وبينك فيه واسطة فقال : يا ابن الخـطاب : من أحسن إلى من أساء إليه فقـد أخلص لله شكراً ، ومن أسـاء إلى من أحسن إليه فقـد بدّل نعمة الله كفراً ، قـال : فقلت يا رب زدني ، فقـال يا ابن الخـطاب : حسبك حسبك .

وصـيـة :

بل وصايا إلهية : أصدق الوصايا وأنفعهـا ما ورد في القـرآن العزيـز من أوامر الحق عبادة ونواهيه ، المنـزل من حكيمٍ حميد ، نـزل به الـروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين ، بلسان عـربي مبين ، فلنذكـر منها ما يسره الله على لساني ، مذكّـراً بذلـك القلوب الغافلة ، وتبـركاً بكـلام الله تعالى فمن ذلك ما ذكـره سبحانـه في سورة البقـرة : ﴿لا تُفسدوا في الأرض﴾[1] ﴿آمنـوا كما آمنَ النـاس﴾ ﴿اُعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قَبْلكم﴾ ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ ـ وهنـا سرٌّ لمن تفكـر ـ ﴿فاتقـوا النار التي وقـودها النـاس والحجارة﴾ ﴿وبشِّـر الذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات أنَّ لهم جنـاتٍ تجـري من تحتها الأنهـار﴾ ﴿أوفوا بعهـدي أوفِ بعهدِكم وإيـاي فارهبـون﴾ ﴿اُذكروا نعمتيَ التي أنعمت عليكم﴾ ﴿وآمنوا بمـا أنزلت مصـدقاً لمـا معكم ولا تكونوا أول كافرٍ به ، ولا تشتروا بـآياتي ثمنـاً قليلاً وإيـاي فاتقـون ، ولا تلبسـوا الحق بالبـاطل وتكتمـوا الحقَّ وأنتم تعلمون ، وأقيمـوا الصلاة وآتـوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ﴿واتقوا يـوماً لا

(١) سـورة البقـرة ، الآيـات : ١١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٢ .

تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون﴾ ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسَكم﴾ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ﴿قولوا حِطَّةٌ كلوا واشربوا من رزقِ الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ ﴿خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ ﴿لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربي واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حُسْناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿لا تسفِكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ ﴿خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا﴾ ﴿لا تَكْفُر﴾ ﴿لا تقولوا : راعِنا ، وقولوا : إنظُرنا ، واسمعوا﴾ ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله﴾ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ﴿طهرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والرُّكّع السجود﴾ ﴿لا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ ﴿قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾[1] ﴿فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرَه﴾ ﴿إستبقوا الخيرات﴾ ﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾ ﴿فاذكروني أذكركم واشكروالي ولا تكفرون﴾ ﴿كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطواتِ الشيطان﴾ ﴿إتبعوا ما أنزل الله﴾ ﴿كلوا مما رزقكم الله واشكروا لله﴾ ﴿فمن شهدَ منكم الشهرَ فليصمه﴾ ﴿ولتكملوا العِدّة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ ﴿وأتوا البيوتَ من أبوابها واتقوا الله﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم

(١) سورة البقرة : الآيات : ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونك الدِّينُ لله﴾ ﴿فمنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما أعتدى عليكم﴾ ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا﴾ ﴿وأتمُّوا الحج والعمرة لله﴾ ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغَ الهَدي محلّه﴾ ﴿وتزودوا فإن خيرَ الزادِ التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ ﴿فاذكروا الله عندَ المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ ﴿ثم أفيضوا من حيثُ أفاضَ الناس واستغفروا الله﴾ ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً﴾[1] ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ ﴿ادخلوا في السِّلمِ كافة﴾ ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجدِ الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ ﴿ولا تَنكحُون المشركاتِ حتى يُؤمنّ﴾ ﴿ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ ﴿فاعتزلوا النساءَ في المحيض ولا تقربوهن حتى يَطهرن ، فإذا تطهرْنَ فأتوهن من حيثُ أمرَكم الله﴾ ﴿فأتوا حرْثكم أنى شئتم ، وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله﴾ ﴿واعلموا أنكم ملاقوه وبَشر المؤمنين﴾ ﴿ولا تجعلوا الله علاضةً لإيمانكم أنْ تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ ﴿تلك حدودُ الله فلا تعتدوها﴾ ﴿فأمْسكواهنّ بمعروفٍ أو سرحوهنّ بمعروف ولا تمسِكوهنِ ضراراً لتعتدوا﴾ ﴿ولا تتخذوا آياتِ الله هزواً واذكروا نعمةَ الله عليكم وما أنـزل عليكم من الكتاب والحكمةِ يعظكم به ، واتّقوا الله واعلموا أنّ الله بكلِ شيء عليم﴾ ﴿فلا تَعْضلوهن أن ينكحْن أزواجهن﴾ ﴿لا تضارٌ والدة بولدها ولا مولودٌ له بولده﴾ ﴿لا تواعدوهن سراً إلاّ أن تقولوا قولاً معروفاً ، ولا تعزموا عقدةَ النكاح حتى يبلغَ الكتابُ أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم﴾ ﴿ومتعوهن على الموسع قدَرُه وعلى المقْتر قدَره متاعاً﴾ ﴿وأن تعفوا أقربُ للتقوى ولا تنسوا الفضلَ بينكم﴾ ﴿حافِظوا على الصلواتِ والصلاة الوسطى

---

(1) سورة البقرة ؛ الآيات : ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ .

وقوموا لله قانتين﴾ ﴿إنفقوا مما رزقناكم من قبْل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ﴾ ﴿لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ ﴿إنفقوا من طيباتِ ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيثَ منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه﴾ ﴿إتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ ﴿إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل ، ولا يأبَ كاتبٌ أنْ يكتبَ كما عَلمَه الله فليكتبْ وليملل الذي عليه الحق وليتقِ الله ربه ، ولا يبخسْ منه شيئاً ، فإنْ كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضعيفاً لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل، واستَشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترْضون من الشهداء أنْ تضل إحداهما فتذكرَ إحداهما الأُخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾[1] ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ ﴿فليؤدِ الذي إتُمن أمانته وليتقِ الله رَبه ولا تكتموا الشهادَة﴾ .

واعلموا أن الله تعالى قد ذكر في كتابه كلَّ صفة يحمدها الله ، وكلَّ صفة يذمها الله وصيةً لنا وتعريفاً أن نجتنب ما ذمّ من ذلك ، ونتصفَ بما حدّ من ذلك ، وقرّر على أُمورٍ وبّخ بها عباده ، ونعتَ كلَّ صاحبِ صفةٍ بما هو عليه عند الله ، فممّا حَمِدَ ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[2] والإيمانُ بما أُنزل على الرسل عليهم السلام ، والإيقانُ بالآخرة ، وقال فيهم ﴿أُولئك على هدىً من ربهم﴾[2] أي على بيانٍ وتوفيقٍ حيث صَدقوا ربهم فيما أخبرهم به مما هو غيب في حقهم ﴿وأُولئك هم المفلحون﴾[2] الناجون من عذاب الله الباقون في رحمة الله . ومما ذمّه : الكافرُ والمنافقُ فالكافر ذو الوجه الواحدِ الذي أظهر معاندةَ الله فسواء عليه أعلمه الحقُّ أو لم يعلمه ، فإنه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلاً ولا شرعاً ، وأخبر أن الله تعالى ختم على قلبه بخاتم الكفر ، فلا يدخله الإيمان مع عمله به ، وختم على سمعِ فهمه وهو الجاهل فلم يعلم ما أراد الله بما قاله ،

---

(١) سورة البقرة ؛ الآيات : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآيات : ٤ ، ٥ .

وعلى أبصارِ عقولِهم غشاوةٌ ، حيث نسبوا ما رأوه من الآيات إلى السحر ، وقال في ذي الوجهين وهو المنافق : إنه يقول : آمنا بالله وبما جاء من عند الله وهو ليس كذلك ، وإنما يفعل ذلك خداعاً لله والذين آمنوا ، وجعل الفسادَ صلاحاً ، والصلاحَ فساداً ، والإيمانَ سفها ، والمؤمنين سفهاء ، ويأتي المؤمنين بوجه يرضيهم ، ويأتي الكافرين بوجهٍ يرضيهم ، فأخبَر الله أنّ هؤلاء هم الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، وأنهم الصُمُّ عن سماع ما ذكرهم الله به ، البكُم عن الكلام بالحق ، العمْي عن النظر في آيات الله ، وأنهم لا يرجعون ، ومما ذمّ الله : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعونَ ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، فأخبر أن أولئك هم الخاسرون ، وقررَ : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾[1] ومما وبخ به : من أمر بالبرِّ ونسي نفسه ﴿أتأمرونَ النّاس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلونَ الكتاب أفلا تعقلون﴾[2] ومما ذم : من أعطاه الأنفس فطلب الأدْوَن لقلةِ علمه ودناءة همته ، فقال ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبرَ على طعام واحدٍ﴾ يشير إلى أنّ الصبر مع الله صعبٌ ﴿فادعُ لنا ربك يخرج لنا مما تنبتُ الأرضِ منْ بقلها وقِثائها وفومها وعدَسها وبصلها﴾ فقال لهم ﴿أتستبدلون الذي هو أدنَى﴾ وهو ما ذكروه ﴿بالذي هو خير﴾ وهو ما أنزل الله عليهم من المنّ والسلوى ، فأشار إلى دناءة همتهم بقوله ﴿إهْبطوا مصراً﴾ ، لما نزلوا من الأعلى إلى الأدنى قيل لهم ﴿إهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾ إنما هي أعمالكم تَرَدُّ عليكم ﴿وضربتْ عليهم الذّلة والمسكنة﴾ لأنهم هبطوا﴿وباؤا بغضب من الله﴾[3] لأنهم لم يختاروا ما إختار الله لهم وكفروا بالأنبياء وبآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق ، وعصوا واعتدوا . ومما ذمهم به القساوةُ فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم ﴿ثم قستْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٩ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٤٥ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٦٣ .

أشدُّ قسوة﴾(1) وإنما كانت أشد قسوة لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شي ، يذمهم بذلك ، ومما ذم من يقولُ ما توسوس به نفسه وما يوسوس له شيطانه : هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً من الجاه والرئاسة عليهم ، وما يحصلونه من المال ، فأخبر الله تعالى أن لهم الويلَ من الله من أجل ذلك ، هذا كله ذكره الله لنا في كتابه لنجتنبَ مثل هذه الصفات ، ومما أوصى به عباده مما بحمده أن لا تعبدوا ﴿إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وإتوا الزكاة﴾(1) فمن لم يعمل بوصيته ووصف حاله على جهة الذم ، يسمعنا تعالى ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمه الله به ، فقال عقيب هذا القول : ﴿ثم توليتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾(1) ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تَظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرمٌ عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتابِ وتكفرون ببعض﴾(2) ؟ كما قال في حقهم وحقّ أمثالهم ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفرُ ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾(3) فأخبر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً وقال : ﴿فما جزاء من يفعلُ ذلك منكم إلاّ خزيٌ في الحياة الدنيا ثم يومَ القيامة يردون إلى أشدِّ العذاب وما الله بغافل عما يعملون﴾(4) فإنه أخبر عن هؤلاء أنهم الذين إشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم نيصرون ، كما إشترى أُولئك الضلالةَ بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، كما إشترى أمثالهم العذابَ بالمغفرة ، فعجب الله من صبرهم على النار بقوله :

(1) سورة البقرة ؛ الآية : ٧٥ .

(2) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٤ .

(3) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٦ .

(4) سورة النساء ؛ الآية : ١٥٠ .

﴿فما أصبرهم على النار﴾(١) فدل على أنهم عرفوا الحقّ وجحدوا مع اليقين كما قال في حق مَن هذه صفته في النمل ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾(٢) يعني : الآيات براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله ﴿ظلماً وعلوّاً﴾ وأي آية كانت للعرب معجزةً مثل القرآن ، ولذلك قال ﴿ذلك بأنّ الله نزَّل الكتابَ بالحق﴾(٣) وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴿أُولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾(٤) وأنه من سئل عن علم تعين عليه الجواب عنه ـ وهو يعلمه فكتمه وهو مما أنزله الله ـ ألجمه الله بلجامٍ من نار ، وأن الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب واشتروا به ثمناً قليلاً أي بكتمانهم لِما حصّلوه من المال والرئاسة بذلك أن أُولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، وأوصى عبادَه أيضاً فقال لهم : ﴿ليس البرَّ أن تولُّوا وجوهكم قِبَل المشرقِ والمغرب ، ولكنّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتابِ والنبيين وآتي المالَ على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾(٥) فأخبر أن أُولئك الذين صَدَقوا وأُولئك هم المتقون ، وأوصى وليَّ الدم أن يعفوَ ويخلّي بين القاتل والمقتولِ يوم القيامة ، وأخبر ﷺ أن حكم القاتل قَوَداً حكمُ القاتلِ إعتداءً وهو قوله تعالى : ﴿وَجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾(٦) فقال في صاحب التسعة : إما إن قتله كان مثلَه فتركه ولم يقتله [فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فإتّباع بالمعروف] من ولي الدم ﴿وأداءٌ إليه

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٥ .
(٢) سورة النمل ؛ الآية : ١٤ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٦ .
(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٠٩ .
(٥) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٨ .
(٦) سورة الشورى ؛ الآية : ٤١ .

بإحسان﴾ من القاتل إلى ولي الدم ﴿فمن إعتدى بَعد ذلك﴾ أي إن قتله بعد ذلك غدراً وقد رضي بالدية وبما عفا عنه منها ﴿فله عذابٌ أليم﴾[1] ، وذكر في حق مَن حضرتْهُ الوفاةُ أن يوصيَ مما لَهُ التصرفُ فيه من مالِهِ وهو : الثلث للأقربين ، وهم الذين لاحظَّ لهم في الميراث ، وللوالدين وهو مذهب ابن عباس ، حتى إنه يعصي عنده من لم يوص لوالديه عند الموت بالمعروف وهو أن لا يتجاوز ثلثَ ماله ، وأخبر أنه ﴿حقّاً على المتقين﴾ ، وأخبر أنه مَن بدَّله بعد ما سمعه من الموصي فإنما إثمه على الذين يبدلونه من الأولياء والحكام ، وأخبر عن الساعي بالصلح بين الموصي والموصَى له أنه لا إثم عليه ، فهذه كلُّها وصايا إلهية منصوص عليها ، ومنها أيضاً : أخبر الحقُّ أنه لا يتبع المتشابهَ من الكتاب ويتأوله على ما يعطيه نظره إلاّ مَن في قلبه زيغ - أي ميل عن الحق - وأخبر أنه ما يعلم تأويله إلاّ الله ، وأن الراسخين في العلم يقولون (آمنا به كلٌّ من عند ربنا) ، ومن جعله معطوفاً فيكون - الراسخون في العلم - مَن أعلمهم الله بتأويل ما أراد بذلك ، وأقام الله عذرَ عباده في قوله : ﴿زُيّنَ للناس حبُّ الشهوات﴾[2] الآيات ، وأخبر - عن الذين يقولون ﴿ربّنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[3] وهم الذين إتقوا - أنَّ لهم عند ربهم جنابٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهرة ، وأخبر سبحانه أن الذين يقتلون النبيين بغير حق - ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس - أن لهم عذاباً أليماً وما لهم من ناصرين ينجونهم[4] من ذلك العذاب ، ونهانا أن نتخذ الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين في نصرة دينه إلاّ أن نتقي منهم تقاة ، وأنه من فعل ذلك فليس من الله في شيء ، وقد حذرنا الله نفسه ، وقاله ﷺ حين نهانا عن التفكر في ذات

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧ ، ١٨ .

(٤) في الأصل : ينجيهم - وهو خطأ .

الله ، لأنـه ليس كمثله شيء ، وقال الله لنبيـه ﷺ أن يقول لنـا ﴿قـل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحبِبْكُم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1] .

وصيــة :

إلهية في ذكر مَن يغبطُ الله من عباده ، قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشُرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك .

وصيــة :

إلهيـة ، يقـول الله تعـالى : [إن أغبط أوليـائي عنـدي المؤمن الخفيف الجاذّ[2] ذو حظّ من صلاةٍ ، أحسن عبادة ربِّه وأطاعه في السر والعلانية، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع ، وكا رزقه كفافاً ، فصبـر على ذلك] ثم نقـر رسولُ الله ﷺ عنـدما قـال هذا الحـديثَ عن ربه بيـديـه ، ثم قـال : [عُجِّلَت منيته ، وقلّت بواكيه ، وقل تراثه] .

وصيــة :

في إصـلاح ذات البين ، قـال أنس بن مـالـك : بينمـا رسـول الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : ما أضحكك يـا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي ؟ قال : [رجـلان من أُمتي جَثَيا بين ربِّ العـزة تعالى ، فقـال أحـدهمـا : يـا رب خُـذ لي بمـظلِمتي من أخي ، فقـال : أعطِ أخـاك مـظلِمته ، قـال : يا رب لم يبقَ من حسنـاتي شيءٌ ، قال ؛ يـا رب فليحمـل عني من أوزاريْ وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال : [إن ذلك ليوم عظيم ، يومٌ يحتاج الناس فيـه أن يحمل من أوزارهم] قـال : [فيقول الله عـز وجل للطالب : إرفع رأسـك فانـظر إلى الجنان ، فـرفع رأسـه فقال : يـا ربِّ أرى مدائن من فضةٍ ، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأي نبي هـذا ، لأي شهيـد هذا ؟ قـال : هـذا لمن أعـطاني الثمن : قـال : يـا رب : ومن يملك

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) أي خفيف الظهر ـ مختار الصحاح .

ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يا رب قد عفوتُ عنه ، قال الله تعالى : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : [إتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينكم ، فإن الله تعالى يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة] .

وصايا إلهية من التوراة :

روينا من حديث كعبِ الأحبار أنه قال : وجدتُ في التوراة إثنتي عشرة كلمةً فكتبتها وعلّقتها في عنقي أنظر فيها كلّ يوم إعجاباً بها (يا ابن آدم إن رضيتَ بما قسمتُ لك أرحتُ قلبك وبدنَك وأنت محمود ، وإن لم ترضَ بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركضَ فيها ركضَ الوحش في البرية ، وعزتي وجلالي لا تنال منها إلاّ ما قدّرت لك وأنت مذموم ، يا ابن آدم كلٌّ يريدك له وأنا أُريدك لك ، وأنت تفرُّ مني ، يا ابن آدم ما تنصفني خلقتك من ترابٍ ، ثم من نطفةٍ ولم يعيني خلقك ، أفيعييني رغيفٌ أسوقه إليك في حين ؟ يا ابن آدم إني وحقي لك محبٌ ، فبحقي عليك كن لي محباً ، يا ابنَ آدم خلقتك من أجلي ، وخلقت الأشياء من أجلك فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقتُ من أجلك ، يا ابن آدم كما لا أُطالبك بعمل غد ، لا تطالبني برزقِ غدٍ ، يا ابن آدم : لي عليك فريضة ، ولك عليَّ رزق ، إن خنتني في فريضتي لم أخنك في رزقك على ما كان منك ، يا ابن آدم لا تخافَنَّ فوتَ الرزق ما دامت خزائني مملوءةً ، وخزائني مملوءةً لا تنفد أبداً ، يابن آدم لا تخافَنَّ من ذي سلطانٍ ما دام سلطاني باقياً ، وسلطاني باقٍ لا ينفذ أبداً ، يابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط .

وصية :

خليلية في الوَجل من الله تعالى ، لما قال الله تعالى لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والصلام : يا إبراهيم ما هذا الوَجل الشديد الذي أراه منك ؟ قال : فقال له إبراهيم : يا ربِّ وكيف لا أوجل ولا أكون على وجلٍ ؟ وآدم أبي كان محلُّه في القرب منك ، خلقته بيديك ونفختَ فيه من روحك ، وأمرتَ الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدةٍ من جوارك ، فأوحى إليه : يا

إبراهيم أما علمت أن معصية الحبيب على الحبيب شديدة .

وصية :

إلهية بما يَحجب عن الله فعلُه ، أوحى عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود حَذِّر بني إسرائيل أكلَ الشهوات ، فإن القلوبَ المتعلقة بالشهوات محجوبةٌ عني .

وصية :

إلهية بذكر الله على كل حال ، قال موسى عليه السلام : أي رب أبعيدٌ أنت فأناديَك ، أم قريبٌ فأناجيَك ، فقال الله تعالى له : أنا جليس من ذكرني ، ومن ذكرني فأنا معه ، قال : فأي العمل أحب إليك يا رب ؟ قال : تُكْثِر ذكري على كل حال .

وصية :

إلهية بقيامِ الليل ، يقول الله تعالى إذا نزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا : كذَبَ من إدّعى محبتي ، ونام عنّي ، أليس كلُّ محبٍ يَطلب الخلوةَ بحبيبه ؟ ، أنا ذا مُطّلِع على أحبابي ، وقد مَثّلوني بين أعينهم ، وخاطبوني على المشاهدة ، وكلموني بحضورٍ ، غداً أُقِرُّ أعينهم في جناتي .

وصايا بما كلم الله عزّ وجلّ بها نبيه موسى عليه الصّلاة والسّلام ، وذِكْرى :

يا موسى أُدنُ مني واعرف قدري فإني أنا الله ، يا موسى أتدري لِمَ كلمتك من بين خلقي ، واصطفيتُك برسالاتي وبكلامي دون بني إسرائيل ؟ قال : لا يا رب ، قال : لأني إطّلعت على أسرار عبيدي فلم أرَ قلباً أصفى لمودتي من قلبك ، قال موسى : لِمَ خلقتني يا رب ، ولم أكُ شيئاً ؟ قال : أردت بك خيراً ، قال : ربِّ مُنّ عليَّ ، قال : أسكنتُك جنتي في جواري مع ملائكتي ، فتكونُ هناك منعّماً مخلداً ملتذاً ، فرحاً مسروراً أبدَ الآبدين ، فقال موسى : يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل ؟ قال : لا يزال لسانُك

يكون رطباً من ذكري ، وقلبك وَجِلاً من خشيتي ، وبدنك مشغولاً بخدمتي ، ولا تأمن مكري ولو ترى رجلَك في الجنة ، قال موسى : يا رب فلِمَ إبتليتني بفرعون ؟ قال : إنما إصطنعتك لنفسي أُخاطب بلسانك بني إسرائيل فأسمعهم كلامي ، وأُعلمهم شريعة التوراة ، وسنة الدِّين ، وطرائقَ الآخرة ، من إتّبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان ، يا موسى : بلِّغ بني إسرائيل وقل لهم : إني لما خلقت السموات والأرض ، خلقت لهما أهلاً وسكاناً ، فأهل سمواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يا موسى بلِّغ عني بني إسرائيل وقل لهم : مَن قبِل وصيتي ، وأوفى بعهدي ، ولم يعصني رقّيته إلى رتبة ملائكتي ، وأحللته جنتي معهم ، وجازيتهم بأحسنِ ما كانوا يعملون ، يا موسى قل لبني إسرائيل عني : إني لما خلقت الجِن والإنس والحيوانات ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا ، وعرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها ، والهرب من مضارها ، كلُّ ذلك لِما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتميز والشعور أجمع ، فهكذا ألهمت أنبيائي ورسلي والخواصّ من عبادي ، وعرّفتهم أمرَ المبدأ والمعاد ، والنشأة الأُخرى ، وبيّنت لهم الطريق وكيفية الوصول إليها ، يا موسى قل لبني إسرائيل : يَقبلون من الأنبياء وصيتي ويعملون بها ، واضمَنْ لهم عني أن أكفيَهم كلُّ ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً ، إذا أوفَوا بعهدي ، أو في بعدهم كائناً من كان من سائر بني آدم ، وألحقهم بأنبيائي وملائكتي في الدار الأخرة ، دارِ القرار ، فقال موسى : يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتَنا مِحَنَ الدنيا ومصائبَها وبلاياها ، أليس كان خيراً لنا ؟ قال : يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرتَ ، ولكن لم يعرف حقّها ، ولم يحفظ وصيتي ، ولم يوفِ بعهدي ، بل عصاني فأخرجته من الجنة ، فلما تاب وأناب وعدته أن أردّه إليها ، وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحدٌ من ذريته إلاّ مَن قبِل وصيتي ، وأوفى بعهدي ، فلا ينال عهدي الظالمين ، ولا يدخل جنتي المتكبرون ، لأني جعلتها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ، يا موسى : أُدعُ إليَّ عبادي وذكِّرهم بآلائي ، فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك إلاّ كان خيراً لهم سالفاً وإنفاً ، عاجلاً وإجلاً . يا

موسى : الويل لمن تفوته جنتي ، ويا حسرةً عليه وندامةً حين لا ينفعانه ، يا موسى : خلقت الجنةَ يومَ خلقت السمواتِ والأرضِ ، وزينتُها بالألوان المحاسنِ ، وجعلت نعيم أهلها وسرورَهم رَوحاً وريحاناً ، فلو نظر أهل الدنيا إليها نظرةً من بعيدٍ لم تعجبهم الحياة الدنيا بعدها ، يا موسى : هي مذخورةٌ لأوليائي وعبادي الصالحين ، تحيتهم يوم يلقونه سلام ، طوبى لهم وحسن مآب .

ومن الوصايا الإلهية :

يا ابن آدم صَلِّ أربعَ ركعات في أول النهار أكفكَ آخرَه ، أخرجه النّسائي .

توبيخ الهي يتضمن وصية :

يقول الله : يا ابنَ آدم أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدَلتك ، مشيتَ بين يديك ، وللأرض منك وئيدٌ (يعني صوتاً) ثم جمعتَ ومنعت ، حتى إذا بلغتِ التراقيَ[1] قلتَ : أتصدق ، وأنى أوان الصدقة ؟

وصية الهية بإشفاق :

يقول الله : يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضلَ خيرٌ لك ، وإن تمسكه شرٌ لك ، ولا تلامُ على كفافٍ ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى .

وصية الهية فيها لطف :

حدثني بها موسى بن محمدٍ القرظي بمكة ، والضياءُ عبد الوهاب بن سكينة ببغداد ، عند إجتماعي به برباطة ، وقال : يقول الله : إذا أحدثْ

---

(١) جمع ترقوة : وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر يميناً وشمالاً ، ولكل إنسان ترقوتان . اهـ . صاوي على الجلالين .

عبدي ولم يتوضأ فقد جفاني ، وإذا توضأ ولم يصَلِّ فقد جفاني ، وإذا صلّى ولم يدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته ، ولست بربٍ جافٍ ، ولست بربٍ جافٍ ، ولست برب جافٍ .

وصية الهية نافعة في طهارة الجوارح :

يقول الله : يا أخا المرسلين ، ويا أخا المنذرين يعني سيدنا محمداً ﷺ يُبلّغها إلينا عن ربه عزّوجل : أن لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوبٍ سليمة ، وألسنٍ صادقة ، وأيدٍ نقية ، وفروجٍ طاهرة ، ولا تدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحدٍ من عبادي عند أحدٍ منهم ظلامة ، فإن العبد ما دام قائماً بين يديّ يصلي ، فإني لا أقبل صلاته حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها ، فإذا فعل ذلك ، فأكون سمعَه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة .

وصية :

إلهية في توبيخ الواثب على الدنيا ، قال الله تعالى : يا ابن آدم رَهَصَتْكَ(١) الدنيا ثلاثَ رَهَصات : الفقر والمرض والموت ، ومع ذلك إنك لوثّاب .

وصية :

مَلكية بالتواضع ، أوحى الله إلى محمد ﷺ ـ وعنده جبريل ـ إن شئتَ نبياً عبداً ، وإن شئتَ نبياً مِلكاً ؟ فنظر إلى جبريلَ ، فأومأ إليه جبريل أن تواضع ، قال : فقلت نبياً عبداً ، فلو قلت نبياً مَلِكاً لسارت الجبال معي ذهباً وفضةً .

---

(١) أصل الرهص : أن يصيب باطن حافر الدابة شيء يوهنه ، أو ينزل فيه الماء من الإعياء ، وأصل الرهص : شدة العصر ، ومنه الحديث : فرمينا الصيد حتى رهصناه أي : أوهناه . اهـ نهاية ابن الأثير .

وصيــة :

إلهية بتعظيم الأولياء ، يقول الله تعالى : من أهانَ لي ولياً فقد بـارزني بـالمحاربـة ، وفي رواية : فقـد آذنته بحـرب ، وقال : أحبُّ عبـادي عنـدي صاحب النصيحة ، وقال تعالى : يا ابنَ آدم : خيري إليك نازلٌ ، وشرُّك إليَّ صاعد ، وأنا أتحبَّب إليك بـالنعم ، وأنت تتبغض إليّ بالمعـاصي ، وفي كلِّ يـوم يأتيني مَلك كـريمٌ بقبيح فَعلك ، يـا ابن آدم ما تـراقبني ؟ أما تعلم أنـك بعيني ؟ يـا ابن آدم : في خلواتك وعنـد حضورِ شهـواتك إذكـرني وسلني أن أنـزعها من قلبـك ، وأعصمك عن معصيتي ، وأُبغضهـا إليـك ، وأُيسـر لـك طـاعتي وأحبِّبها إليـك ، وأُزين ذلك في عينـك ، يا ابن آدم : إنمـا أمـرتـك ونهيتـك لتستعين بي وتعتصم بحبلي ، لا أن تعصيني وتتولى عني ، وأُعـرض عنك ، أنا الغني عنك ، وأنتَ الفقير إليَّ ، إنمـا خلقتُ الدنيـا وسخرتهـا لك لتستعدّ للقائي ، وتتـزود منها لئـلا تعرض عني ، وتخلد إلى الأرض ، واعلم بأن الدار الآخرة خيرٌ لك من الدنيا ، فلا تختر غيرَ ما اخترت لـك ، ولا تكره لقائي فإنه من كَرِه لقائي كرهتُ لقاءه ، ومن أحبّ لقائي أحببت لقاءه .

وصيــة :

إلهية برغبةٍ ورهبة ، رويناها من حـديث محمد بن مسلمـة بن وضّاح ، من أهل قرطبة رحمه الله ، قال : قال الله لبني إسرائيل : رغبّنـاكم في الآخرة فلم ترغبوا ، وزهّدناكم في الدنيا فلم تزهدوا ، وخوّفناكم بالنار فلم تخـافوا ، وشوّقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا ، ونُحنا عليكم فلم تبكوا ، بَشِّر القـاتلين بأن الله سيفاً لا ينام ، وهو دار جهنم .

ومن وصايا العارفين بالله :

لا تثق بمودة مَن لا يحبك إلاّ معصوماً ، من صحبـك ووافقك على مـا تحبُّ ، وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هـواه ، ومن صحب هواه فـإنما هـو طالبُ راحة الدنيا ، يا معشر المريدين : مَن أراد منكم الـطريق فليلقَ العلماء بالجهل ، والزهادَ بالرغبة ، وأهلَ المعرفة بالصمت . وأوصاني شيخي رحمـه

الله أولَ ما دخلتُ عليه قبل أن أرى وجهه ، فقـال لي وقف قلت له : أوصني قبل أن تراني فأحفظَ عنك وصيتَك ، فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتَـك عليّ ، فقال رضي الله عنه : هذه همةٌ عالية شـريفة يـا ولدي : سُـدّ الباب ، واقـطع الأسبـاب ، وجالس الـوهّاب ، يكلمْـك من غير حجـاب ، فعملت على هذه الوصية حتى رأيتُ بركتها ، ودخلتُ عليه بعد ذلك فرأى خلعتَهـا عليّ فقال : هكـذا هكذا وإلاّ فـلا لا ، ثم قال : إمحُ لي ما كتبتَ ، وانسَ مـا حفِظتَ ، واجهل ما علمتَ ولا تقف عند ما عرفت ، وافنَ دائماً أبداً ما عشت ، واتقِ به فيما عملت ، واعتصم به فيما أردت ، فعملت بها حتى أشرقت عليّ بركتُها ، ثم دخلت عليه فقال : إذا فتح لك بابَ السير فيه فلا تقف معـه تحجبْ عنه ، وافنَ عن كل ما يبـدو لك منـه ، وإياك وإفشـاء سرِّه فصنـه ، وكن هكذا معـه على كلِّ حال ، لا تتحدث معه بما قد علمته ، فإن في ذلك تضييعَ الـوقت ، واطلب المـزيد كمـا أمرك في قـوله لنبيـه ﷺ يـأمـره وأُمّتـه ﴿وَقُـل ربِّ زدني علمـاً﴾[١] ، إطلب الحاجـة بلسان الفقـر لا بلسـان الحُكم ، يقـول الله لأبي يزيدَ البسطاميِّ : تقرب إليّ بالذِّلةِ والإفتقار ، وقال له : أُترك نفسَكَ وتعال .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : كن كالطير الوَحداني ، يأكل من رؤوس الأشجـار ، ويشربُ من المـاء القراح[٢] ، إذا جَنّـه الليلُ أوى إلى كهف من الكهوف ، إستئناساً بي وإستيحاشـاً ممن عصاني ، يـا موسى آليت على نفسي أني لا أتمم لمـدبرٍ من دوني عمـلاً ، يا موسى لأقطعنَّ أمَـل كلِّ مؤملٍ أمّل غيري ، ولأقصِمنّ ظهر من إستندَ إلى سواي ، ولأطيلنّ وحشة من إستأنس بغيري ، ولأُعرض عمن أحبّ حبيباً سواي ، يا موسى : إن لي عباداً إن نـاجَـوني أصغيت إليهم ، وإن نـادَوني أقبلتُ عليهم ، وإن أقبـلوا عليّ أدنيتُهم ، وإن دَنـوا مني قـربتُهم ، وإن تقـربـوا مني إكتنفتُهم ، وإن والَـوْني واليتهم ، وإن صـافَـوني صـافيتهم ، وإن عملـوا لي جـازيتهم ، هم في

---

(١) سورة طه ؛ الآية : ١١٥ .

(٢) الماء القراح ، بالفتح : الذي لا يشوبه شيء مختار . الصحاح .

حِمايَ ، وبي يفتخرون ، أنا مدبِّرُ أُمورهم ، وأنا سايس قلوبهم ، وأنـا متولي أحـوالِهم ، لم أجعـل لقلوبهم راحــةً في شيء إلاّ في ذكـري ، فـذكـري لأستقامتهم شفاء، وعلى قلوبهم ضيـاءٌ ، لا يستـأنسـون إلاّ بي ، ولا يَحُـطُّون رحال قلوبهم إلاّ عندي ، ولا يستقر بهم القرارُ في الإيواء إلاّ إليّ .

حكي في زمان النبوّة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكَّر في أمر التكليفِ والبلوى ، ولم يتجه له وجهُ الحكمة في ذلك ، وقـد أمره الله بالتفكر له ولعباده ، فأخذ يناجي ربَّه في خلوته بِسرِّه ولسـانه ، فقـال : يا رب خلقتني ولم تَستـأمـرني ، ثم تميتني ولا تستشيـرني ، وأمـرتني ونهيتني ولم تُخيـرني ، وسلَّطتَ عليَّ هوىً مـردِياً ، وشيـطانـاً مغـويـاً ، وركَّبتَ في نفسي شهواتٍ مركوزةً ، وجعلتَ بين عينيَّ دنيا مزينة ، ثم خـوفتني وزجرتني بـوعيدٍ وتهـديد ، وقلت (إستقم كمـا أمـرتَ) ولا تتبـع الهـوى فيضلَّك عن سبيلي ، واحذرِ الشيطان أن يغويك ، والدنيا لا تغرّنك ، وتجنب شهواتك لا تـرديك ، وآمـالَك وأمـانيك لا تلهيـك ، وأوصيك بـأبناء جنسـك فـدارِهم ، ومعيشتَـك فاطلبها من وجهِ حلال ، فإنك مسؤول عنها إن لم تطلبهـا ، ومسؤول عنها إن طلبتهـا من غير وجههـا ، ولا تنسَ الآخرة كمـا لم تنس نصيبَـك من الـدنيـا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغِ الفساد في الأرض ، ولا تُعْـرِض عن الآخرةِ فتخسَر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ، فقـد حصلتُ ـ يا رب ـ بين أُمورٍ متضادةٍ ، وقوىً متجاذبـة ، وأحوالٍ متقـابلة ، فلا أدري كيف أعمل ، ولا أهتدي أيّ شيء أصنع ، وقد تحيـرتُ في أُموري ، وضللت عن حيلتي ، فأدركْني يا رب ، وخذ بيدي ، ودلني على سبيل نجاتي ، وإلاّ هلكتُ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا عبدي ما أمرتُك بشيء تعاونني فيـه ، ولاّ نهيتُك عن شيء كان يضرني إن فعلتَه ، بل إنمـا أمرتُـك لتعلم أن لك ربّـاً وإلهاً هـو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشِئك ، وحافظك ، وصاحبك وناصرك ومعينك ، ولتعلمَ بأنك محتاج في جميع ما أمرتـك إلى معاونتي ، وتـوبتي ، وهدايتي ، وتيسيري ، وعنايتي ، ولتعلم أيضاً بأنك محتاج في جميـع ما نهيتُـك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي ، وأنك إليّ محتاجٌ في جميع تصرفـاتِك وأحـوالك

في جميع أوقاتك ، من أمور دنياك وآخرتك ، ليلاً ونهاراً ، وأنه لا يخفى عليّ من أمورك صغيرٌ ولا كبير ، سراً وعلانيةً ، وليتبينَ لك وتعرفَ أنك مفتقر ومحتاج إليّ ، ولا بدَّ لك مني ، فعند ذلك لا تعرضُ عني ، ولا تتشاغل عني ، ولا تنساني ، ولا تشتغل بغيري ، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري ، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني ، وفي جميع تصرفاتك تخاطِبُني ، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني ، وتكونُ منقطعاً إليَّ من جميع خلقي ، ومتصلاً بي دونهم، وتعلمُ أني معك حيثُ ما تكون ، أراك وإن لم ترني ، فإذا أردتَ هذه كلّها وتيقنت ، وبان لك حقيقة ما قلت ، وصحة ما وصفت ، تركتَ كلَّ شيء وراءك ، وأقبلتَ إليّ وحدَك ، فعند ذلك أقرِّبك مني ، وأوصلك إليّ ، وأرفعُك عندي ، وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي ، في جواري مع ملائكتي ، مكرماً مفضلاً مسروراً فرِحاً منعماً ملذذاً آمناً ، مُبْقى سرمداً أبداً دائماً ، فلا تظنَّ بي يا عبدي ظنَّ السوء ، ولا تتوهم عليّ غير ما يقتضيه كرمي وجودي ، واذكر سالفَ إنعامي عليك ، وقديمَ إحساني إليك ، وجميلَ آلائي لديك ، إذ خلقتك ولم تكُ شيئاً مذكوراً ، خلقاً سوياً ، وجعلت لك سمعاً لطيفاً ، وبصراً حاداً ، وحواسَّ دراكة ، وقلباً ذكياً ، وفهماً ثاقباً ، وذهناً صافياً ، وفكراً لطيفاً ، ولساناً فصيحاً ، وعقلاً رصيناً ، وبنيةً تامة ، وصورةً حسنة ، وأعضاءً صحيحةً ، وأدوات كاملة ، وجوارح طائعة ، ثم ألهمتك الكلامَ والمقال ، وعرَّفتك المنافع والمضار ، وكيفية التصرف في الأفعال والصنائع والأعمال ، وكشفتُ الحجبَ عن بصرك ، وفتحتُ عينك لتنظر إلى ملكوتي ، وترى مجاريَ الليل والنهار ، والأفلاك الدوارة ، والكواكب السيارة ، وعلمتُك حسابَ الأوقات والأزمان والشهور ، والأعوام والسنينَ والأيام ، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان ، تتصرف فيها تصرفَ المُلاك ، وتتحكم فيها تحكَم الأرباب ، فلما رأيتُك متعدياً جائراً باغياً ، خائناً ظالماً طاغياً ، متجاوزَ الجدّ والمقدار ، عرَّفتُك الحدود والأحكام ، والقياسَ والمقدار ، والعدل والإنصاف ، والحقَّ والصواب ، والخير والمعروف ، والسيرة العادلة ، ليدوم

لك الفضلُ والنِّعم ، ويُصرف عنك العذاب والنِّقم ، وعرَّضتك لما هو خيرٌ لك وأفضلُ ، وأشرفُ وأعزُّ وأكرم ، وألذُّ وأنعم ، ثم أنت تظنُّ بي ظنونَ السُّوء ، وتتوهم عليّ غيرَ الحق ، يا عبدي إذا تعذّر عليك فعل شيء مما أمرتك به ، فقل : ﴿لا حولَ ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم﴾ كما قالت حملة العرش لما ثُقِّل عليهم حملهُ ، وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1] كما يقول أهلُ صفوتي ومودتي ، وإذا زلّت بك القدمُ في مصيبتي فقل ما قال صفيي آدم وزوجتُه : ﴿ربّنا ظلمنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحَمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين﴾[2] . وإذا أشكلَ عليك أمرٌ ، وأهمّك رأيٌ ، أو أردتَ رشداً وقولاً صواباً ، فقل كما قال خليلي إبراهيم : ﴿الذي خلقني فهو يَهدينِ ، والذي هو يُطعمني ويَسْقين ، وإذا مرضتُ فهو يَشْفينِ ، والذي يُميتني ثمْ يُحيينِ ، والذي أطْمَعُ أن يغفر لي خطيئتي يومَ الدين ، ربِّ هب لي حُكماً وألحقني بالصالحين ، واجعل لي لسانَ صدقٍ في الآخرين ، واجعلني من ورثةِ جنّة النعيم ، واغفر لأبي إنه كان من الضالين ، ولا تُخزني يومَ يُبعثون ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم﴾[3] . وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل كما أعلمتُك فيما أنزلته عليك من قولِ يعقوب : ﴿إنما أشكو بَثي وحُزني إلى الله ، وأعلمُ من الله ما لا تعلمون﴾[4] . وإذا جَرَت منك خطيئةٌ فقل كما قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿هذا مِن عَمَلِ الشيطان ، إنه عدوٌّ مُضِلٌ مبينٌ﴾[5] . وإذا صرفتْ عنك معصيةٌ فقل كما قال يوسفُ عليه الصلاة والسلام أو صاحبتُه ﴿وما أبرِّىءُ نفسي ، إنَّ النفسَ لأمارةٌ بالسوء إلاّ ما رَحِم ربي ، إن ربي غفورٌ رحيم﴾[6] . وإذا إبتلاك الله ببليةٍ

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٧ .
(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٤ .
(٣) الشعراء ؛ الآيتان : ٧٩ ، ٩٠ .
(٤) سورة يوسف ؛ الآية : ٨٥ .
(٥) سورة القصص ؛ الآية : ١٦ .
(٦) سورة يوسف ؛ الآية : ٥٤ .

فافعل ما ذكر الله عن داود عليه الصلاة والسلام ﴿فاسْتَغْفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب﴾(١) وإذا رأيتَ العصاةَ من خلق الله والخاطئين من عباده ، ولم تدرِ ما حكمُ الله فيهم ، فقل كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿إنْ تُعَذّبهم فإنهم عبادُك ، وإن تغفرْ لهم فإنك أنتَ العزيزُ الحكيم﴾(٢) . وإذا إستغفرت الله وطلبتَ عفوَه فقل كما قال محمد ﷺ وأنصارُه ﴿ربّنا لا تؤاخِذْنا إنْ نسينا أو أخطأنا ، ربّنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملتَه على الذين مِن قبلنا ربّنا ولا تحمّلْنا ما لا طاقةَ لنا به ، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنتَ مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾(٣) . وإذا خِفْت عواقبَ الأمور ، ولم تدرِ بماذا يُخْتم لك فقل كما يقول الأصفياء ﴿ربّنا لا تزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهبْ لنا من لدُنك رحمةً إنك أنتَ الوهاب ، ربّنا إنك جامعُ الناس ليوم لا ريبَ فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾(٤) .

وصية :

في موعظة ، دخل محمد بن واسعٍ على بلالِ بن أبي بردة ، في يوم حار ، وبلالٌ في جيشه وعنده الثلج ، فقال بلال : يا أبا عبد الله : كيف ترى بيتنا هذا ؟ قال : إن بيتَك لطيبٌ ، والجنة أطيب منه ، وذِكر النارِ يلهي عنه ، قال : فما تقول في القَدر ؟ قال : على جيرانِك(٥) أهل القبور فتفكر فيهم ، فإن فيهم شغلاً عن القَدر ، قال : إدعُ لي قال : وما تصنع بدعائي ، وعلى بابك كذا وكذا ؟ وكلٌّ يقول : إنك قد ظلمتهم ، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي ، لا تظلم أحداً ، ولا تحتاج إلى دعائي .

ومن كلام الحسن البصري : مالي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ؟ أرى أناساً ولا أرى أنيساً ؟ دخلوا ثم خرجوا ، عرفوا ثم أنكروا .

---

(١) سورة ص ؛ الآية : ٣٥ .
(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ١١٩ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٨٦
(٤) سورة آل عمران ؛ الآيتان : ٩ ، ١٠ .
(٥) قال : جيرانك نسخة .

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه عجباً لقوم أُمروا بالزاد ، ونوديَ فيهم بالرحيل ، وحُبِس أولاهم على أخراهم ، وهم قعود يلعبون ، يا ابن آدم : السِّكين تحدُّ والتنور يسْجر ، والكبش يعْتلف ، كفى بالتجارب تأديباً ، ويتقلبِ الأيام عظةً ، ويذكر الموتِ زاجراً عن المعصية ، ذهبت الدنيا بحال وبالها ، وبقيت الأيام قلائد في الأعناق ، إنكم تسوقون الناس ، والساعة تسوقكم ، وقد أُسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ؟ أتنتظرون المعاينَة ؟ فكأنْ قد جاءتكم .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز : إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا ـ لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ـ التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم ، فوالله ما بَسَط أملاً مَن لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأيتم «ورأينا» من كان بالدنيا مغتراً ، وإنما تَقَرُّ عين من وَثِق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح مَن أمِنَ من الأهوال يوم القيامة ، فأما مَن لا يداوي كَلْماً ، أصابه جرحٌ من ناحية أُخرى ، أعوذ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي ، لقد عنيتم بأمر لو عنيَت به النجوم لانكدرت[1] ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولوعنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلةٌ ؟ وأنكم صائرون إلى أحدهما .

ومن وصاياه في مواعظة رضي الله عنه : إن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدعْ شيئاً من أُموركم سدى ، إن لكم معاداً يَنزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسرَ مَن خرج من رحمة الله عز وجل ، وحُرم الجنةَ التي عرضُها السموات والأرض ، فاشترى قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب[2] الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون

---

(١) انكدرت النجوم : أسرعت وانقضت ، مختار الصحاح .

(٢) جمع سلب : وهو ما سلب .

كذلك ، حتي تُرَدُّ إلى خير الوارثين ، في كلِّ يومٍ وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ، قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صَدع [1] من الأرض ، ثم تدعوه غيرَ ممهدٍ ولا موسدٍ ، قد خلعَ الأسباب ، وفارق الأحباب وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدَّم ، غنياً عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وايمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب ما أعلم عندي ، وما يبلغني عن أحداً منكم حاجةٌ إلاّ أحببتُ أن أسدُ من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عنده إلا وَدِدت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه ، وايمُ الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش ، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله كتابٌ ناطق وسنّةٌ عادلة حَثَّ فيها على طاعتِه ، ونهى فيها عن معصيته ، ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس .

وصية :

وعليك بالإقتداء برسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله ، إلاّ ما نصَّ عليه أنه مختص به مما لا يجوز لنا أن نفعله ، أو خاطب به أحداً من الناس أن يفعله ، ونهى غيرَه عن ذلك .

بَزَق رجلٌ في النيل بحضور ذي النون المصري ، فقال : تعِستَ يا بغيضُ ، تبزق على نِعَم الله ؟ وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النِّعم الإلهية التي أحوجنا إليها فلذلك حَكم عليه حالُه فنطق بما نطق به ، وكان شيخنا أبو مدين ، وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقاق ، وكان ابن الدقاق ممن يغشاه ويحضر مجلسه ، فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك ، فاستدعاه الشيخ وقال له : يا أبا الحسن : ما شأنك إنقطعت ؟ إن شيطاني خاصم شيطانك ، ونحن على وُدِّنا كما كنا ، ما تغيرنا ، ولا ندخل أنفسنا

---

(١) الصدع : الشق . مختار الصحاح .

بينهمـا ، فتذكـر أبو الحسن ، وقَبِـل وصية الشيـخ ، واستغفر الله ورجـع إلى حضور مجلسه .

وصيـة :

بمكـاتبة ، إعتـلّ رجل من إخـوان ذي النون فكتب إليـه أن يدعـو له ، فكتب إليه ذو النون : سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم ؟ واعلم يا أخي أن العلة مجـازاة يأنس بهـا أهـل الصفـاء ، والهمم والضيـاء في الحيـاة ذكرك للشفاء ، ومَن لم يعـدَّ البلاء نعمـةً فليس من الحكماء ، ومَن لم يـأمن الشفيقَ على نفسه فقد أمِنَ أهل التهم على أمره ، فليكن معـك يا أخي حيـاءٌ يمنعك عن الشكوى والسلام .

وقال بعضهم : كتبت إليّ تسألني عن حالي ، فما عسيتُ أن أُخبـرك به من حال ، وأنا بين خلالٍ موجعاتٍ ، أبكاني منهن أربعٌ : حبُّ عيني للنظر ، ولساني للفضول ، وقلبي للرئاسة ، وإجـابتي إبليس عدوَّ الله فيمـا يكرهُ الله ، وأقلقني منها أربعٌ : عينٌ لا تبكي من الذنوب المنتنـة ، وقلب لا يخشع عنـد نـزول الموعـظة ، وعقل وهَن فهمـه في محبة الـدنيا ، ومعـرفـة كلمـا قلّبتهـا وجدتني بالله أجهل ، وأضناني منها أربع : أني عدمت خير خصـال الإيمان : الحياء ، وعدمت خيـر زاد الآخرة : التقـوى ، وأفنيت أيامي بمحبـة الدنيـا ، وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً .

وودعـه إنسان فقـال له : قـل لأبي يزيـدَ إلى متى النومُ والـراحـة وقـد جازتِ القافلة ؟ فقال أبو يزيد : قل لأخي ذي النون : الـرجلُ من ينـامُ الليلَ كلّه ثم يصبح في المنزل قبل القافلة ، فقال ذو النون : هنيئـاً له ، هـذا كلامٌ لا تبلُغه أحوالنا . وكان العلمـاء يكتبُ بعضهم إلى بعض بثلاث : مَن أحسن لله سريرته أحسنَ الله عـلانيتـه ، ومن أحسنَ آخرتـه أحسنَ الله له أمـرَ دنياه ، ومَن أصلح مـابينه وبين الله أصلح الله مـابينه وبين النـاس . وكتب رجـلٌ إلى عـالمٍ : ما الـذي أكسبك علمُك من ربك ، وما أفـادك في نفسـك ودينـك ؟ فكتبَ إليه العالمُ : أثبتَ العلمُ الحجة، وقطعَ عمودَ الشك والشبهة ، وشغلتُ

أيام عمري بطلبه ، ولم أدركْ منه ما فاتني ، فكتب إليه الرجل : العلم نورٌ لصاحبه ، ودليلٌ على حظّه ، ووسيلةٌ إلى درجة السعداء ، فكتب إليه العالم : أبليتُ إليه في طلبه جدَّ الشباب ، فأدركني حين علمتُ الضعف عن العمل به ، ولو إقتصرتُ منه على القليل كان لي فيه مُرشداً إلى السبيل .
وكان شيخنا أبو عبد الله المجاهدُ ، وشيخنا تلميذه أبو عبدالله بن قسوم نائبُهُ في التدريس والإمامة ، لا يبرحان إلاّ والورقُ والمدادُ والقلمُ معهما ، يكتبان كلَّ يوم ما قُدّر لهما من العلم رغبةَ أن يحشرا غداً عند الله من طلاب العلم .

وصية :

دخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان ، ممن كان يُوصف بالفضل والأدب ، فقال له عبدالملك بن مروان : تكلمْ قال له : بمَ أتكلم وقد علمتُ أن كلَّ كلامٍ يتكلم به المتكلم وبالٌ عليه إلاّ ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ، ثم قال: يرحمُك الله ما يزل الناس يتواعظون ويتواصَوْن ، فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين إن للناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصص مرارتها ، ومعاينةِ الرّدى فيها إلاّ مَن أرضى الله بسخطِ نفسه ، قال : فبكى عبد الملك ، ثم قال : لا جَرَمَ والله لأجعلنّ هذه الكلمات مثالاً نُصبَ عيني ماعشت أبداً .

وصية :

مشفقٍ ناصح عند أميرٍ صالح ، لما قَدم عمرُ بن هُبيرة العراق والياً ، أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيتٍ ، فكانا فيه شهراً أو نحوه ، ثم إن الخصي غدا عليهما ذاتَ يوم فقال : إن الأميرَ داخلٌ عليكما ، فجاء عمر متوكئا على عصا له ، فسلم ثم جلس معظماً لهما ، فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، يكتب إليّ كُتُباً ، أعرفُ أن في إنفاذها الهلاكَ ، فإن أطعتهُ عصيتُ الله ، وإن عصيته أطعتُ الله ، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجاً ؟ فقال الحسن للشعبي : يا أبا عمرو أجبِ الأمير ، فتكلم الشعبي بكلامٍ يريد به إبقاءَ وجهٍ عنده ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنتَ يا أبا سعيد ؟ فقال : أيها الأمير ، قد قال الشعبي ما قد سمعتَ ، قال : ما تقول أنت ؟

قال : أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى فظٌ غليظ لا يعصي الله ما أمره ، فيخرجك من سعةِ قصرك إلى ضيق قبرك ، يا عمرُ بن هبيرة : إن تتقِ الله يعصمك من يزيدَ بن عبد الملك ، ولن يعصمك يزيدُ بن عبد الملك من الله إن أطعته وعصيت الله ، يا عمرُ بن هبيرة : لا تأمنْ أن ينظرالله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيدَ بن عبد الملك فيغلقَ باب المغفرة دونك ، يا عمرُ بن هبيرة : لقد أدركتُ ناساً من صدر هذه الأمة كانوا عن الدنيا ـ وهي مقبلةٌ ـ أشدَّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة ، يا عمرُ بن هبيرة : إني أُخوِّفُك مقاماً خوّفكه الله ، فقال : ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخافَ وعيد﴾[1] يا عمرُ بن هبيرة : إن تكُ مع الله في طاعته كفاك يزيدَ بن عبد الملك ، وإن تكُ مع يزيدَ بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه ، فبكى عمرُ بن هبيرة ، وقام بعبرته ، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما ، فأكثرجائزةَ الحسن ونَقَص جائزةَ الشعبي ، فخرج الشعبي إلى المسجد ، فقال ، أيها الناس مَن إستطاع منكم أن يُؤثرَالله على خلقه فليفعلْ ، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسنُ منه شيئاً فجهلتُه ، ولكني أردتَ وجه ابن هبيرة فأفضاني الله منه .

قلت[2] وكتبتُ إلى عزّ الدّين كيكاووس سلطان بلاد الروم ، جوابَ كتاب كتبَ به إليّ من أنطاكية ، وكنتُ مقيماً بملطية :

كتبتُ كتابي والدموعُ تسيلُ ... ومالي إلى ما أرتضيه سبيلُ
أُريدُ أرى دينَ النبي محمدٍ ... يقامُ ودين المبطلين يزولُ
فلم أرَ إلاّ الزور يعلُوْ واهلُه ... يعِزّون ، والدينُ القويمُ ذليلُ
فيا عِزَ دينِ الله سمعاً لناصحٍ ... شفيق فنُصّاحُ الملوك قليلُ
وحاذرْ بتأييدِ الإله بطانةً ... تشيرُ بأمرٍ ما عليه دليلُ
لينمي بيتُ المال والبيت ساقط ... فجُدْ وتوكلْ فالإله كفيلُ

---

(١) سورة ابراهيم ؛ الآية : ١٤ .

(٢) القائل هو الشيخ الأكبر : مؤلف هذا الكتاب ـ رضي الله تعالى عنه وقدس سره .

وصيــة :

بمـراقبـة الألفـاظ المسمـوعـة . بلغني أنّ عمر بن عبد العزيـز لمـا ولي الخلافةَ ، أخذ أقطاعَ أميرٍ كبير ، كان أقطعـه إياهـا سليمانُ بن عبـد الملك ، والوليدُ بن عبـد الملك ، فلما مـات عمرُ بن عبـد العزيـز وولي يزيـدُ بن عبد الملك ، جاء الأمير إليه فقال لـه : إن أخاك سليمانَ أمير المؤمنين ، والـوليد أقطعاني شيئاً قطعـه عني أمير المؤمنين عمـر بن عبد العـزيز رضي الله عنـه ، فأريد منـك أن تردّه عليّ ، فقـال : لا أفعل ، قـال : ولـمَ ؟ قال : لأن الحقَّ فيما فعل عمر بن عبد العـزيز ، قـال : وبـمَ ذلك ؟ قـال : لأن أخويّ أحسـنا إليـك وذكرتهمـا وما دعـوتَ لهما ، وعمـر بن عبد العـزيز أسـاءَ إليك وذكـرته فترضيتَ عنه ، فعلمتُ أن عمر آثر الله على هواه فيك ، وأن سليمـان بن عبد الملك ، والوليد آثرا هواهما على حق الله ، فوالله لا رأيتَـه مني أبداً ، وهـذا من أحسن ما يحكى من التفاتات ولاةِ الأُمور .

وصيــة :

في موعظة . قال سعيد بن سليمـان : كنت بمكة وإلى جـانبي عبد الله بـن عبد العزيز العُمري ، وقد حج هـارون الرشيـد ، وقال لـه إنسـان : يـا أبا عبـد الله هـو ذا أميـر المؤمنين يسعى وقـد أُخلي لـه المسعى ، قـال العُمـري المـرجل : لا جـزاك الله عني خيـراً ، كلفتني أمـراً كنت عنـه غنيـاً ، ثم قـام فتبعته ، فأقبل هارون الرشيد من المَرْوة يريد الصَّفا ، فصاح به : يا هارون ، فلما نظر إليـه ، قال : لبيـك يا عُمـري أرقَ الصفا ، فلمـا رقاهـا قال : إرمِ بطرفك إلى البيت ، قال : هارون : قد فعلت ، قال : كم هم ؟ قـال : ومَنْ يُحصيهم ؟ قـال : فكم في الناس مثلُهم ؟ قـالَ : خلقٌ لا يحصيهم إلاّ الله ، قـال : أعلم أيها الـرجل أن كـلّ واحدٍ منهم يُسـأل عن خاصّـة نفسه ، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلِّهم ، فـانظر كيف تكـون ، قال : فبكى هـارون الرشيـد وجلس ، وجعـل يُعطونـه منديـلا منديـلا للدموع ، فقـال العُمـري : وأُخـرى أقولها ؟ قال : قل يـا عم ، قال : والله إن الـرجل ليسـرف في مالـه فيستحق

الحجْر عليه ، فكيف بمن أسرفَ في مال المسلمين ، ثم مضى وهارون يبكي ، قال البَغَوي : فبلغني أن هارون الرشيد كان يقول : إني لأحب أن أحجّ كلَّ سنةٍ ، ما يمنعني إلاّ رجلٌ من ولدِ عمر يُسمعني ما أكره .

وصية نبوية :

في موعظة إلهية ، قال رسول ﷺ : [يقول الله تعالى : يا ابن آدم كلّ يوم نرزقُك وأنت تحزن ، وينقصُ كلّ يوم من عمرك وأنتَ تفرح ، أنت فيما يكفيك وتطلب ما يطغيك ، لا بقليلٍ تقنع ولا بكثير تشبع] .

وصية :

حجّ أمير المؤمنين أبو جعفرٍ المنصور ، فبينما هو يطوف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : [اللهم إنّا نشكوا إليك ظهورَ البغي والفسادِ في الأرض ، وما يحول بين الحقّ وأهله من الطّمع] فخرج المنصور فجلس ناحيةً من المسجد ، ثم أرسل إلى الرجل ، فصلى ركعتين ، ثم استلم الرّكنَ ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال له المنصور : ما الذي سمعتك تذكر ؟ قال : إن أمّنتني يا أميرَ المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصولها ، وإلاّ إقتصرت على نفسي ففيها لي شغلٌ شاغل ، قال : فأنتَ آمنٌ على نفسك ، فقال ، يا أمير المؤمنين إن الله إسترعاك أمرَ عبادِه وأموالهم ، فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحرّاساً معهم سلاح ، ثم سجنت نفسك منهم ، وبعثت عمالك في جبايةِ الأموال وجمعها ، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلاّ فلانٌ وفلانٌ ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك ، ولا أحدَ إلاّ وله في هذا المال حقٌ ، فلما رآك النفرُ - الذين إستخلصتهم لنفسك ؛ وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك - ، تجبي الأموالَ وتجمعها ، قالوا : هذا خانَ الله ، فما لنا لا نخونُه ، فأتمروا أن لا يصل إليك من علمِ أخبارِ الناس إلا ما أحبوه ، ولا يخرجَ لك عاملٌ إلاّ خوّنوه عندك وعابوه حتى تسقط منزلتُه عندك ، فلما إنتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناسُ وهابوهم ، وصانعوهم ليصلوا إلى ظُلم

مَنْ دونهم ، وكان أولَ من صانعهم عمالُك بالهدايا والأموال ليقوا بذلك عمالَك على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذو المقدرةِ والأموال من رعيتك ليصلوا إلى ظلمِ مَنْ دونهم ، فامتلأتْ بلادُ الله بغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القومُ شركاءَك وأنتَ غافلٌ ، فإن جاء مُتظلم حِيْلَ بينك وبينه ، وإن أراد رفعَ قضيةٍ إليك وجدك قد نهيتَ عن ذلك ، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مصالحهم ، فإن جاء ذلك المتظلم وبلغَ بطانتك خبرُه ، سألوا صاحبَ المظالم أن لا يرفعَ مَظلِمته إليك ، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكوا ويستغيث ويدفعه ، فإذا جهد وخرج ظهر لك وصرخ بين يديك فضُرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره ، وأنت تنظرُ فلا تُنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ قال : فبكى المنصورُ بكاءً شديداً وقال : ويحك ، كيف احتال لنفسي ، قال : يا أمير المؤمنين ، انَّ للناس أعلاماً يفزعون إليهم من دينهم ويرضون بهم في دنياهم وهم : العلماءُ وأهلُ الدِّيانة ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم يسُدوك ، فقال : قد بعثتُ إليهم فهربوا مني ، فقال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن إفتحْ بابك ، وسهِّل حجابك ، وانصر المظلومَ ، واقمعِ الظالمَ وخذِ الفيء والصدقات على وجوهها ، وأنا ضامنٌ عنهم أنهم يأتونك ويساعدونك على صلاح الأمة ، ثم أُذِّن بالصلاة فقام يصلي ، وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجلَ فلم يجده .

وصية نبوية :

رويناها من حديث الهاشمي يبلغُ بها النبيَّ ﷺ أنه قال : [أيها الناس أقبِلوا على ما كُلفتموه من إصلاحِ آخرتكم ، وأعرضوا عمّا ضُمِن لكم من أمر دنياكم ، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته ، واجعلوا شغلكم التماسَ مغفرتِه ، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته ، إنه مَنْ بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبُه من الآخرة ، ولا يدركُ منها ما يريد ، ومَنْ بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبُه من الدنيا وأدركَ من الآخرة ما يريد] .

وصية :

منظومةٌ من ذي علمٍ في الإعتذار :

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً ... من التقصير عذرَ أخٍ مقرّ

فَصُنْه من عِتابك واعفُ عنه ... فإن العفوَ سيمةُ كلِّ حُرّ

وصية إلهية :

يقول الله تعالى : يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني ، وقال : إنفقْ إنفقْ عليك ، أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه ، لا أجمعُ على عبدي خوفين ، ولا أجمعُ له أمنين : إن خافني في الدنيا لم يخفْ في الآخرة ، وإن أمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة . أين المتحابون بجلالي ، اليومَ أُظلهم في ظِلّي . أنا عندَ ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني . يقول الله لأهونِ أهلِ النار عذاباً : لو أنّ لك ما في الأرض من شيء كنتَ تفتدي به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألتُك ما هو أهونُ من هذا وأنتَ في صلب آدم : أن لا تشرك بي شيئاً فأبيتَ إلّا الشركَ . الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار . يقول الله لموسى : إن هذا دينٌ أرتضيه لنفسي ، لا يُصلحه إلّا السخاءُ وحسنُ الخلق ، فأكرموه بهما ما صحبتموه ، يا موسى إنك لن تتقربَ إليّ بشيء أحبَّ إلي من الرضا بقضائي ، ولن تعملَ عملاً أحفظَ لحسناتِك من النظر في أُمورِكَ ، يا موسى : لا تتضرعْ إلى أهل الدنيا فأسخطَ عليك ، ولا تجُدْ بدينك لدنيا فأُغلقَ عليك أبواب رحمتي ، يا موسى : قل للمؤمنين التائبين : أبشروا ، وقل للمؤمنين المُختبين أخبتوا[1] وأحسنوا . أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر . من رجا غيري لم يعرفني ومن لم يعرفني لم يعبُدني ، ومن لم يعبدني فقد

---

(١) الأخبات : الخشوع ـ يقال : أخبت لله تعالى : أي خشع له سبحانه ا هـ مختار الصحاح .

استوجبَ سخطي ،ومَنْ خاف غيري حَلّت به نقمتي ،يا موسى :خفْ ثلاثةً :خفني ، وخفْ نفسك ، وخفْ من لا يخافني [أي يقول : خذ حذرك من هؤلاء] . يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبُكَ عنانَ السماء ثم إستغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي ، يا ابن آدم : إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقِرابها مغفرة . إذا قال العبد ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يقول الله : ذكرني عبدي ، وإذا قال ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يقول الله : حمدني عبدي ، وإذا قال ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول الله : أثنى عليّ عبدي ، وإذا قال : ﴿مالكِ يوم الدين﴾ يقول الله : (مَجّدني عبدي وفَوّض إليّ عبدي ، وإذا قال : ﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ يقول الله : هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، وإذا قال ﴿إهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يقول الله : هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال [آمين] يقول الله : قد أجبتُ . الإخلاصُ سرٌ من أسراري إستودعتُه قلبَ من أحببتُ من عبادي ، إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا [يعني عينيه] لم يكن له جزاءٌ عندي إلاّ الجنة . قال رسول الله ﷺ [يخرج في آخر الزمان رجالٌ يطلبون الدّنيا بالدين ، ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله : أبي يغترون ، أم عليّ يجترؤن ؟ فبي حلفت لأتيحنّ على أولئك منهم فتنةً تدع الحكيم منهم حيران) ، قال رسول الله ﷺ [يُجاء يوم القيامة بابن آدم كأنه بذج[1] فيوقف بين يدي الله تعالى ، فيقول الله تعالى له : أعطيتُك وخوّلتُك وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقول : جمعتُه وثمّرته وتركتُه أكثر ما كان ، فأرجعني آتِك به ، فإذا به عبدٌ لم يُقدّم خيراً ، فيمضى به إلى النار] يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسدّ فقرك ، وإلاّ تفعلْ أملأ يديك شغلاً ولم أسدّ فقرك . يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طولِ ما ترجو

---

(١) قوله بذج ، البذج : (محركة) ولد الضأن ا هـ .

مِنْ أملك ، وقصّرت مِنْ حرصك وحِيلك ، وابتغيت الزيادة في عملك ، وإنما تلقى الندم لو قد زلتْ بك القدم ، وأسلمك الأهل والحشم ، وانصرف عنك الحبيبُ ، وأسلمك الغريب فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة . وقال الله تعالى [إنّما أتقّبل الصلاةَ ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطلْ بها على خلقي ، ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكري ، ورحِم المسكين ، وابن السبيل ، والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتي ، واستحفظه ملائكتي ، أجعل له في الظلمة نوراً ، وفي الجهالة علماً ، ومَثَله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة] ، [يا موسى إني أُعلمك خمس كلمات هنّ عماد الدين : ما لم تعلم أنْ قد زال مُلكي فلا تترك طاعتي ، وما لم تعلم أن خزانتي نفدت فلا تهتمّ برزقك ، وما لم تعلم أنّ عدّوك قد مات فلا تأمنْ فجأته ولا تدع محاربته ، وما لم تعلم أني قد غفرت لك فلا تَعِبِ المذنبين ، وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري] .

قال رسول الله ﷺ : [قال موسى : يا ربِّ علمني شيئاً أذكُرك به وأدعوك به ، قال : يا موسى قل : لا إله إلاّ الله ، قال موسى : يا رب كلُّ عبادِك يقول هذا ، قال : قل : لا إله إلاّ الله ، قال : لا إله إلاّ أنتَ ، إنما أريد شيئاً تخُصني به ، قال : يا موسى لو أن السمواتِ السبعَ وعُمارهن ، والأضين السبع في ِ كفة ، ولا إله إلاّ الله كفة مالت بهن لا إله إلاّ الله] .

يقول الله لمحمد ﷺ : [يا محمدأما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحدٌ إلاّ صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحدٌ إلاّ سلمت عليه عشراً] ؟ وقال الله : [وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، وللمتجالسين فيَّ ، والمتباذلين فيّ ، وللمتزاورين فيَّ] ، يقول الله عز وجل [يا دنيا إخدمي من خدمني ، وأتعبي من خدمك] وقال الله : [إنّ عبداً أصلحت له جسمه ، ووسّعت عليه في المعيشة ، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لمحرومٌ] وقال رسول الله ﷺ : [إن الله سيُخلِص رجلاً من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشُر عليه تسعةً وتسعين سجلاً ، كلُّ سجلٍ مثلُ مدّ البصرِ ، ثم

يقـول له : أتنكـرُ من هذا شيئـاً ؟ أظلمتك كَتَبَتِي الحـافظون؟ فيقـول : لا يـا رب ، فيقول : أفَلَك عذرٌ ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عنـدي حسنةً ، فإنه لا ظلَم عليك اليـوم ، فيُخرج بـطاقةً فيهـا : أشهد أنْ لا إلـه إلاّ الله ، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله ، فيقول : احضـرْ وزنك ، فيقـول : يا رب مـا هذه البـطاقةُ مـع هذه السجـلات ؟ فيقول : إنـك لا تُـظلَمُ ، قـال : فيوضعُ السجـلاتُ في كِفّة ، والبـطاقةُ في كِفّـة ، فطاشت السجـلات وثقُلتِ البطاقة ، فلا يثقل مع إسم الله شيءٌ] وقال رسول الله ﷺ : [يوقفـون ـ يعني الملائكة ـ بين يدي الله ، ويشهدون ـ يعني للعبد ـ بالعمل الصالحِ المخلَص لله ، فيقول لهم : أنتم الحفظةُ على عمـلِ عبدي ، وأنـا الرقيب على مـا في قلبه ، إنه لم يُردني بهذا العمل ، وأراد به غيري فعليه لعنتي] .

وقـال رسول الله ﷺ : (إن الله إذا كـان يـومُ القيـامـة ينـزل إلى العبـاد ليقضي بينهم ، وكلُّ أمةٍ جـاثيةٌ ، فـأوّلُ من يُدعى بـه : رجلٌ جَمَـع القرآن ، ورجـلٌ قُتِل في سبيـل الله ، ورجلٌ كثيـرُ المـال ، فيقـول الله للقـارىء : ألم أُعلّمكَ ما أنزلتُه على رسولي ؟ قال : بلى يـا رب ، قال : فمـاذا عملتَ فيما عَلِمتَ ؟ قـال : كنتُ أقوم بـه آناءَ الليـل وأطـرافَ النهـار ، فيقـول الله لـه : كذبتَ ، وتقول له الملائكـةُ : كذبتَ ، ويقـول الله له : إنمـا قرأتَ ليقـال : فلانٌ قارىءٌ ، فقـد قيل ذلـك ، ويؤتي بصاحبِ المـال ، فيقول الله لـه : ألم أوسّـع عليك حتى لم أدَعْـك تحتاج إلى أحـد ؟ قـال : بلى يـا رب ؟ قـال : فماذا عملت فيما آتيتُـك ؟ قال : كنتُ أصِـلُ الرَّحِمَ ، وأتصـدقُ ، فيقول الله له : كذبتَ ، وتقول الملائكة له كذبتَ ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلانٌ جوادٌ ، فقيل ذلك ، ويؤتي بالذي قُتل في سبيل الله ، فيقـول الله : فيم ذا قتلتَ ؟ فيقول : أمرتَ بـالجهاد في سبيلك ، فقـاتلتُ حتى قُتلت ، فيقول الله له : كذبتَ ، وتقول الملائكة له : كذبت ، ويقول الله لـه : بل أردتَ أن يقال : فلانٌ جريءٌ فقد قيل ذلك) ، ثم ضـرب رسول الله ﷺ على ركبـة أبي هريرة ثم قـال : (يا أبـا هريـرة : أولئك الشـلاثةُ أوّلُ مَنْ تُسعـر بهم النار يـوم القيامة) فكان أبو هـريرة إذا حـدّث بها الحـديث يُغشى عليه ، ويتلو قـول الله

تعالى (فمن كان يرجُو لقاءَ ربّه فليعملْ عملاً صالحاً ، ولا يُشرك بعبادةِ ربّه أحداً)[1] :

كم تمنيتُ فأحسنتُ المقالْ ... وفعلتُ الخيرَ جَهْراً ليُقالْ
وإذا واسيتُ يوماً سائِلاً ... أطلبُ الشكرَ عليها ليُقالْ
وإذا أَقتُلُ يوماً كافراً ... أطلبُ الذِّكر عليه ليُقالْ
وإذا ما صُمتُ يوماً صائفاً ... إشتكي الجوعَ عشيّاً ليُقالْ
وإذا صليتُ والناسُ معي ... أتأنى في صلاتي ليُقالْ
وأنا في خلوتي أنقُرها ... حيث لا أخشى عليها أن يُقالْ
عملي عُجبٌ وصنعٌ ورِيا ... يا لها من عثراتٍ لا تُقالْ
فاهجُروني واطرُدوني عنكمُ ... إنْ أحمالي وأوزاري ثِقالْ
نسألُ الله تعالى توبةً ... خالِصَ الصدقِ له لا ليُقالْ

وصية :

إعتبارٍ لأحد الأبرار ، بلغني أنّ عمر بن عبد العزيز ، شيّع جنازةً ، فلما إنصرفوا تأخر عمر وأصحابُه ناحيةً عن الجنازة ، فقال له بعضُ أصحابه : يا أمير المؤمنين ، جنازةٌ أنت وليّها تأخرت عنها وتركتها ؟ فقال : نعم ناداني القبرُ من خلفي : يا عمر بن عبد العزيز ، ألا تسألُني ما صنعتُ بالأحبة ؟ قلت : بلى قال : أحرقت الأكفانَ ، ومزّقت الأبدان ، ومَصَصْت الدّمَ ، وأكلت اللحم ، قال : ألا تسألني ما صنعت بالأوصال[2] ؟ قلت : بلى ، قال : نزعت الكَفّين من الذّراعين ، والذراعينِ من العضُدينِ ، والعضُدين من الكتفين ، والوَرِكَيْن[3] من الفخذين ، والفخذين من الرُّكبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين ، ثم بكى عمر ثم قال : ألا إنّ الدنيا بقاؤها

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .
(٢) الأوصال : المفاصل ـ مختار الصحاح .
(٣) الورك : ما فوق الفخذ ـ وهي مؤنثة ـ مختار الصحاح .

قليلٌ ، وعزيزُها ذليلٌ ، وغنيُّها فقيرٌ ، وشابُّها يهرم ، وحيُّها يموت ، فلا يغرنّكم إقبالُها مع معرفتكم سرعة إدبارها ، فالمغرور من اغترّ بها ، أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشقّوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها أياماً يسيرة ؟ غرّتهم بصحتِهم فاغتروا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، إنهم كانوا والله في الدنيا مغبوطين بالأموال ، على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه ، ماذا صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والدّيدان بعظامهم وأوصالهم ؟ كانوا في الدنيا على أسرّةٍ ممهدة ، وفرشٍ منضودة ، بين خدمٍ يخدُمون ، وأهلٍ يُكرمون ، وجيرانٍ يعضُدون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ومُرّ بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم ، واسأل غنيّهم ما بقي من غناه ، واسأل فقيرهم ما بقي من فقره ، واسألهم عن الألسنِ التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقةِ ، والوجوهِ الحسنة ، والأجساد الناعمة : ما صنع بها الديدان ؟ مَحَتِ الألوانَ ، وأكلت اللُّحْمَان[1] ، وعفّرتِ الوجوه ، ومحتِ المحاسن ، وكسرت الفَقَار ، وأبانت الأحشاء ، ومزقت الأشلاء[2] وأين حُجّابهم ونوابُهم ، وأين خدمُهم وعبيدهم وجَمعُهم ومكنونُهم ؟ والله ما فرشوا فِراشاً ، ولا وضعوا هنالك متكأ ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحْدِ قراراً ، أليسوا في منازلِ الخلوات والفلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم في مدلَهِمّة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة ، فكم من ناعمٍ وناعمةٍ أصبحوا ووجوههم باليةٌ ، وأجسادهم من أعناقهم نائيةٌ ، وأوصالهم متمزقةٌ ، وقد سالت الحدقات على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دوابُّ الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم ، ثم لم يلبثوا والله إلّا يسيراً ، حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السّعة إلى المضائق ، وقد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ،

---

(١) اللحمان : جمع لحم ـ بالضم .
(٢) أشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرق . مختار الصحاح .

وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم ، فمنهم والله الموسع له في قبره ، الغضُّ الناضر فيه ، المتنعم بلذته ، يا ساكن القبر غداً : ما الذي غرّك من الدنيا ، هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ، ونهرك المطّرد ؟ وأين ثمرتك الحاضرة يُنعها ، وأين رقاق ثيابك ، وأين طيبك ، وأين بخورك ، وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخَلاً ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلظى عطشاً ، يتقلب في سكراتِ الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاء من الأمر الأجلّ ما لا يمتنع منه ، هيهات يا مُغمض الوالِد والأخِ والولدِ وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، يا مخليّه في القبر وراجعاً عنه ، ليت شعري : كيف كنت على خشونةِ الثرى ؟ ليت شعري : بأي خدّيك يبدأ البلى ؟ وأيُّ عينيك سالت أوّلا ؟ يا مجاورِ الهلكاتِ ، صرت في محل الموتى ، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا ، وما يأتيني به من رسالة ربي ؟ ثم تمثل ناظماً :

تُسرُّ بما يفنى وتُشغل بالمُنى ... كما إغترَّ باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلك نومٌ والرّدى لك لازمُ
وتعمل شيئاً سوف تكره غِبَّه[1] ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم إنصرف ، فما بقي بعد ذلك إلاّ جمعةً ثم مات رضي الله تعالى عنه ، ومن نظمنا في ذلك :

شابَ فوداي[2] وشبّ الأملُ ... ومضى العمرُ وجاء الأجلُ
عسكرُ الموتِ لنا منتظرٌ ... فإذا صرنا إليهمْ رحلُوا
ليت شعري ، ليت شعري هل دَرَوْا ... أنني بَعْدَهم مُنتقلُ ؟
في فنون اللهو أفنى طرباً ... غافلاً عمّاله أنتقِلُ

---

(١) غب كل شيء ـ بالكسر ـ : عاقبته . مختار الصحاح .

(٢) الفود : جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام ، والشعر الذي عليه ، يقال : بدا الشعر بفوديه .

ولنا في هذا المعنى أيضاً :

ضمّتْ لنا آرامُنا[1] الآراما[2] فكأنَّ ذاكَ العيشَ كان مناما
يا واقفينَ على القبور تعجّبوا من قائمينَ غدوا به ونياما
تحت التراب مُوسَّدين أكفَّهم قد عاينوا الحسناتِ والإجراما
لا يُوقظون فيخبرون بما رأوا لا بُدّ من يومٍ تكونُ قياما

ورأيت على قبرٍ أبياتاً ، وهي على لسان صاحبه :

يا أيها الناس كان لي أملُ قصّر بي عَنْ بلوغه الأجلُ
فليتقِ الله ربّه رجلٌ أمكنه في حياته العملُ
ها أنا وحدي كما نُقِلتُ تَرَوْا كلٌّ إلى مثله سينتقِلُ

ورأيت أيضاً مكتوباً على قبر :

يا مَنْ بدنياه إشتغل وغرّه طولُ الأملْ
ولم يزل في غفلةٍ حتى دنا منه الأجلْ
الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العملْ

ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن البسبلي ، وكان إبنها من أصدقائي ، وقد علاّه ، وشيّده ، وأنفق على بنائه مالاً كثيراً ، فكتب شخصٌ من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورةِ الحال ، وهي :

أرى أهلَ القصور إذا تُوفُّوا بنوا تلكَ المقابر بالصخورِ
أبوا إلاّ مباهاةً وفخراً على الفقراء حتى في القبورِ
فإن يكن التفاضلُ في ذُراها فإنّ العدل منها في القُعورِ
لعمرُ أبيهم لو أبرزوهم لما علِموا الغنيَّ من الفقيرِ
ولا عرفُوا العبيدَ من الموالي ولا عرفُوا الإناثَ من الذكورِ
ولا البدن الملبّس ثوب صوفٍ ولا البدن المنعّم في الحريرِ

---

(١) هي : مجمع الحجارة ، وأراد هنا : القبور .
(٢) أي الأشخاص - وقصد بذلك الجناس .

إذا ما مات هذا ثمّ هذا فما فضلُ الغني على الفقيرِ ؟

وكان على قبرٍ مكتوباً بمدينة سلا منقطع التراب بيتان على لسانِ صاحب القبر :

ولقد نظرتَ كما نظرتُ ولقد نظرتُ فما إعتبرتُ
فانظرْ لنفسك سيدي قبلَ الحصولِ كما حصلتُ

وصية :

سنيةٌ من ذوي همة علية :

لا تضرعنّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مضرٌ منك بالدّينِ
واسترزقِ الله رزقاً من خزائنه فإنما هو بين الكافِ والنونِ

وفي هذا المعنى قال أبو حازمٍ الأعرجُ لبعض الخلفاء ، وقد سأله الخليفة ما مالُك يا أبا حازم ؟ فقال : الرضا عن الله ، والغنى عن الناس :

للناسِ مالٌ ولي مالانِ ما لَهُمَا إذا تحارسَ أهلَ المال حرّاسُ
ما لي : الرّضا بالذي أصبحت أملكه وما ليَ : اليأسُ مما يملك الناسُ

قال له خاله هشام بن عبد الملك لما ولي البحرين : ما طعامك يا أبا حازم ؟ قال الخبز والزيت ، قال : أفلا تسأمُهما ؟ قال : إذا سأمتُهما تركتهما حتى أشتهيهما .

وصية :

إلهيةٌ مذكّرة (ما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إنّ الله عليمٌ خبيرٌ)[1] .

وما هذه الأيام إلّا معارةٌ فما إسْطَعْتَ من معروفها فتزودِ

---

(١) سورة لقمان ؛ الآية : ٣٤ .

فـإنــك لا تــدري بــأيــةِ بــلدةٍ تمــوت ومــا يحــدثُ الـله في غــدِ
يقـولـون : لا تبعُــد ومن يـك بعــدُه ذراعـين مـن قــربِ الأحبــة يـبـعُــدِ

وصيــة :

من إمرأةٍ من ولدِ حسان بن ثابت :

سلِ الخيرَ أهلَ الخير قـدماً ولا تسـلْ فتىً ذاقَ طـعمَ الـعيش مـنــذُ قــريبِ

وصيــة :

مجنونٍ عاقل ، قالها عند خليفةٍ غافل ، حجّ هـارون الرشيـد راجلا من أجـل يمينـه حين حنث ، فقعـد يستـريــح في ظـلِ ميــل ، فمـر بــه بهلول المجنون ، وكان في الركب ، فقال له ، يا أمير المؤمنين :

هــبِ الــدُّنيــا تُــواتـيـكــا أليسَ الـمــوت يــأتـيـكــا ؟
ألا يــا طــالــب الــدُّنــيــا دعِ الــدنــيــا لشــانِــيـكــا
إلـى كـم تــطلب الــدّنــيــا ؟ وظــلُّ الـمـيــلِ يـكـفـيـكــا

وصيــة :

حكيمٍ في صفةِ الحميم ، قيل لخالد بن صفـوانَ : أيُّ الإخوان أحبُّ إليك ؟ قال : الـذي يغفر زلتي ، ويسـدُّ خَلتي ، ويقيل عثـرتي . وكتب رجل إلى صديق له : إني وجدت المودة منقطعةً ما كانت الحشمـة منبسطة ، وليس يُزيل سلطان الحشمة إلاّ المؤانسة ، ولا تقـع المؤانسة إلاّ بـالبر والمـلاطفة . وبتنا ليلةً عند أبي الحسن بن أبي عمرو بن الطفيل بأشبيلية سنة إثنتين وتسعين وخمسمائة ، وكان كثيراً ما يحتشمني ، ويلزم الأدب بحضوري ، وبـات معنا أبو القاسم الخـطيب ، وأبو بكـر بن سامٍ ، وأبـو الحكم بن السراج ، وكلُّهم قد منعهم إحترامُ جانبي الإنبساط ، ولزموا الأدب والسكون ، فأردت أن أعمل الحيلة في مبـاسـطتهم ، فســألني صـاحب المنــزل أن يقف على شيء من كلامنا ، فوجدت طـريقاً إلى مـا كان في نفسي من مباسطتهم ، فقلت لـه : عليك من تصانيفنا بكتابٍ سميناه [الإرشادَ في خرق الأدبِ المعتادِ] فإن شئت

عرضت عليك فصلاً من فصوله ، فقال لي : أشتهي ذلك ، فمددت رجلي في حجره ، وقلت له : كَبّسني ، ففهم عني ما قصدت ، وفهمت الجماعة ، فانبسطوا وزال عنهم ما كان بهم من الإنقباض والوحشة ، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينيه .

وصيـة :

إفصاح بغالب الأحوال ممن يُعدُّ من الأبدال ، قال الحسن البصري : ما أُعطي رجلٌ شيئاً من الدنيا إلاّ قيل له : خذه ومثلَه من الحرص ، وقال : أشدُّ الناس صراخاً يوم القيامة : رجلٌ سنّ ضلالةً فاتُّبع عليها ؛ ورجلٌ سيء الملَكة ؛ ورجل فارغٌ إستعان بنعم الله على معاصيه .

وصيـة :

يا وليِّ راقب إيمانك ، وأضف إلى حسن صورته زينة العلم ، فإذا زينته به ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن ، فإذا أعجبك فأضف إليه زينة العمل بالعلم ، فتزيد حسناً إلى حسن ، فإذا تعشقتَ بصورة العمل لما ترى من حسنها ، ربما أدّاك ذلك إلى أن تحمّل النفس فوق طاقتها ، فزين العملَ بالرفق ، فإن المُنبتّ : لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ، وقد قيل : ما أُضيف شيءٌ إلى شيء أزينَ من حلمٍ إلى هلم ، وإذا سبّك إنسانٌ فانظر فيما سبّك به : فإن كان ما سبّك به صفة فيك ، فلا تلُمه ، فما قال إلاّ حقاً ، ولُم نفسك ، وأزلْ عنها تلكَ الصفة المذمومة ، واشكره على ما ظهر منه ، فقد بالغ في نُصحك ، وإن لم يقصده ، ولكن الله أنطقه فارغَ له ذلك ، وإن سبّك بما ليس فيك فخذ ذلك منه تذكرةً وتحذيراً يحذّرك بما ذكره أن تذكره ، لئلا تتصف به فيما تستقبلُه من زمانك ، فقد نصحك على كلِّ حال ، فإن صدَق فيما قال فقل : غفر الله لي ولك وللمسلمين ، وإن كذب فيما قال فقل : غفر الله لك فقد نبهتني على أمرٍ ربما لو لم تنبهني وقعتُ فيه ، وأنشدَه :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّةَ من أعراضنا ما إستحلّتِ

كانت لي كلمةٌ مسموعة عند بعض الملوك ، وهو الملكُ الظاهر غـازي صاحبُ مدينـةِ حلب ، رحمه الله ابن الملك النـاصر لـدين الله صلاح الـدين يوسف بن أيوب ، فـرفعت إليه من حـوائجِ النـاس في مجلسٍ واحد ـ وكـان جاء لزيـارتي ـ مائـةً وثمانَ عشـرةَ حاجـة ، فقضاهـا كلَّها ، وكـان منها : أني كلمتُه في رجل أظهـرَ سرّه وقـدَح في مُلكه ، وكـان من جملة بطانتـه ، وعزم على قتله ، وأوصى به نائبه في القلعة بدرَ الدين إيـدمُور أن يخفي أمـره حتى لا يصل إليّ حديثُه ، فوصلني حـديثه فلمـا كلمتُه في شـأنه ، أطـرقَ وقال : حتى أعـرِّفَ سيدي ذنبَ هـذا المذكـور ، وأنـه من الـذنوب التي لا تتجـاوزُ الملوكَ عن مثله ، فقلت لـه : يـا هـذا تخيلتُ أن لـك همـةَ الملوك ، وأنـك سلطان ، والله ما أعلمُ في العالم ذنباً يقاوم عفوي ، وأنا واحـد من رعيتك ، فكيف يقـاومُ ذنبُ رجـلٍ عفـوك في غيـر حـدٍ من حـدود الله ؟ إنـك لـدنيءُ الهمة ، فخجلَ وسرحه وعفا عنه ، وقال : جزاك الله خيراً من جليس ، مثلُك من يجالس الملوك ، وبعد ذلـك المجلس ما رفعتُ إليـه حاجـةً إلاّ سارع في قضائها من فوره من غير توقف كانت ما كانت .

يـا وليُّ : إحبس نفسك عن القليـل من الذّم تـأمن كثيره ، فـإن النفس فيها لجاجةً ، إذا نُوزعت صدعت ، وإذا سكنت عنها إنقمعت ، قال الأحنف بن قيس في هـذا المعنى : من لم يصبـر على كلمـة أُسمـع كلمـاتٍ ، وربَّ غيظٍ قد تجرّعته مخافةَ ما هو أشدُّ منه ، يا وليُّ والله مـا عاقبتُ أحـداً يجب عليّ أدبُـه في حـال غضبي ، ولا إمتـلائي بغيـظي ، فـإذا ذهبت عني حـالـةُ الغضب والغيظ ، ورأيتُ المصلحةَ في الأدب أدّبتُه ، وأما ما يرجعُ إليّ فأعفو عنه عن طيبِ نفس وعدمِ إقامةٍ على دَغَل وحقد ، وأبـذُل جهدي في إيصـال الخيرِ إليه ، وأسارعُ في قضاء حوائجه ، ومـا أدري أني أقرضتُ أحـداً قرضـاً وفي نفسي أني أطلبُه منه ، فلا أطلبه ، فـإن جاء بـه وأرى حاجتي إليـه آخذه منـه ، وإن علمت أنه ضيقَ على نفسـه فيـه أنـظرتُـه إلى ميسرة ، هـذا فيمـا يختص بنفسي وحكمُ الجار الأقرب حكمُ العيال ، له حقّ يـطلبه ، أنـا مأمـور بإيصاله إليه إذا قدربُ عليه .

يـا وليُّ إعلم أن الحـاكم لا بـد إذا أرضى أحـدَ الخصمين أن يُسخط الآخـر ، وأنت حاكمٌ والخصمـان في مجلس قلبـك : المَلَكُ ، والشيـطان ، فأرضِ المَلَك ، وأسخط الشيطان ، فإنه يقول للإنسان [أكفر] فإذا كفر ﴿قال إني بريء منك إني أخـافُ الله ربَّ العالمين﴾[1] واعلم أن الـدين أقوى جُنـةً وأحصن ، والعـدل أقـوى عُـدةً يتخـذهـا الحـاكم لقتـال من يُسخـطه من الخصمين ، فإنه يقاتل هواه فيه ، ولا سيما إن كان المبطلُ حميمَه وصاحبَه ، وإذا أردت أن لا تخـاف أحداً فـلا تُخفْ أحداً ، تـأمنُ من كـلِّ شيء إذا أمن منك كلُّ شيء . مررت في سفري في زمن جاهليتي ، ومعي والدي ، وأنا ما بين قرمونة وَبْلمة من بلاد الأندلس ، وإذا بقـطيع حُمُرِ وحشٍ ترعى ، وكنتُ مولعاً بصيدها ، وكـان غلماني على بُعـدٍ مني ، ففكرت في نفسي ، وجعلتُ في قلبي أني لا أوذي واحداً منها بصيدٍ ، وعندمـا أبصرهـا الحصان الـذي أنا راكبه هشّ إليها ، فمسكتُه عنها ، ورمحي بيـدي إلى أن وصلت إليها ودخلتُ بينها ، وربما مرّ سِنَان الـرمح بـأسِنمةِ بعضهـا ، وهي في المرعى ، فـوالله ما رفعتْ رؤُوسها حتى جُزتُها ، ثم أعقبني الغلمان ، ففرت الحُمُر أمامهم ، وما عرفت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق ، أعني طريق الله ، فحينئذ علمت من نظري في العاملة ما كان السبب ، وهو ما ذكـرناه ، فسـرى الأمانُ في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم ، فكفَّ عن ظلمك واعـدل في حكمك ينصـرك الحقُّ ويُطعـك الخلقُ ، وتصفُ لـك النعمُ ، وتـرتفـع عنـك التُهم ، فيـطيبَ عيشُـك ، ويسكن جـأشُـك ، وملكت القلوب ، وأمنت محـاربـةَ الأعـداء ، وأخفى وِدَّك في نفسه من أظهـر لك العـداوةَ في حسه لحسدٍ قـام به ، فهو حبيب في صورة بغيض .

ومن مـنثـور الحكم والـوصـايـا قـال بعضهم : العـدلُ ميـزان البـاري سبحانه ، ولذلك هو مبرؤ من كل زيغ وميـل . قال بعضهم في وصيـةٍ ملك : إذا حسُنت سيرته وصُلحت سريرته صيّر رعيته جنداً ، وإن أولَ العـدل أن يبدأ

(١) سورة الحشر ؛ الآية : ١٦ .

الرجلُ بنفسه فيلزمها كل خلة زكيةٍ ، وخصلةٍ رضية ، في مذهب سديد ، ومكسبٍ حميد ، ليسلم عاجلاً ويسعد آجلاً ، وإن أول الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير ، ويعودّها الشر ، ويُكسبها الآثام ، ويُلبسها المذامّ ، ليعظم وزرُها ، ويقبح ذكرها . وقال بعضهم : من بدأ بنفسه فساسَها أدركَ سياسة الناس ، أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتُكم ، أصلح نفسك لنفسك تكنِ الناسُ تبعاً لك ، أحسن العظات ما بدأتَ به نفسك ، وأجريت عليه أمرك . من رضي عن نفسه سخِط الناس عليه ، من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدَم دينه كان لمجده أهدَم ، وخيرُ الآدابِ ما حصل لك ثمرُه ، وظهر عليك أثرُه ، ومن تعزّز بالله لم يُذله سلطان ، ومن توكل عليه لم يَضرّه شيطان ، ليكن مرجعك إلى الحق ، ومنزِعك إلى الصدق ، فإن الحقّ أقوى مُعين ، والصّدق أفضل قرين ، من لم يرحمِ الناس منعه الله من رحمته ، ومن إستطالَ بلسانه سلبه الله من قدرته . إنّ العدلَ ميزان وضعه الله للخلق ، ونصبه للحق ، فلا تُخالفه في ميزانه ، ولا تُعارضه في سلطانه ، إستغنِ عن الناس بخلّتين : قلةِ الطمع ، وشدةِ الورع . من طال كلامه سُئِم ، ومن قلّ إحترامُه شُتم .

ودخلت على بعض الصالحين بسبته على بحر الزُّقاق ، وكان قد جرى بيني وبين السلطان من الكلام ما يوجب وَحَرَ الصدر ، ويضع من القَدْر ، فوصل إليه الخبر فلما أبصرني قال لي : يا أخي ذَلّ من ليس له ظالمٌ يعضُده ، فقلت له : وضَلّ من ليس له عالم يرشده ، فقال : يا أخي الرفقَ الرفقَ ، فقلت له : ما دام رأس المال محفوظاً ـ أعني الدين ـ فقال : صدقتَ وسكت عني . لا تحاجَّ من يُذهلك خوفُه ، ويملكك سيفه ، فربَّ حجةٍ تأتي على مهجة ، وفرصةٍ تؤدي إلى غُصة ، وإياك واللجاجَ فإنه يوغر القلوبَ ، ويُنتج الحروب ، عيٌّ تسلُم به خيرٌ من نطقٍ تندمُ عليه ، واقتصر من الكلام على ما يُقيم حجتَك ويُملكك حاجتك ، وإياك وفضوله ، فإنه يُزل القدم ويُورث الندم ، عيٌّ يزري بك خيرٌ من براعة تأتي عليك .

وصيــة نبوية :

قـال رسول الله ﷺ لـرجل يـوصيه : (أقللْ من الشهـوات يسهُلْ عليـك الفقرُ ، وأقللْ من الذنوب يسهُلْ عليـك الموتُ ، وقـدّم ما لـك أمامـك يسُرك اللحاقُ به ، واقنع بما أُوتيتَه يخفّ عليك الحساب ، ولا تتشاغـل عما فُـرض عليك ، بما قد ضُمن لك ، إنه ليس بفائتك ما قُسم لـك ، ولست بلاحقٍ مـا زُوي عنك ، ولا تكُ جاهداً فيما يُصبح نـافداً ، واسـعَ لملـكٍ لا زوالَ له في منزل لا إنتقالَ عنه)

ومن الوصايا النبوية أيضاً قال رسول الله ﷺ [مـا سكنَ حبُّ الدنيـا قلبَ عبدٍ إلاّ التاطَ منها بثلاث : شغـلٍ لا ينفكُّ عنـه عَنَاه ، وفقـرٍ لا يُدرك غنـاه ، وأملٍ لا يُنال منتهاه] . [إنّ الدنيا والآخرةَ طالبتان ومطلوبتان ، فطالبُ الآخرةِ تـطلبُه الـدنيا حتى يستكمـل رزقَه ، وطـالبُ الدنيـا تطلبُـه الآخرة حتى يـأخذَ الموت بعنقه ، ألا وإنّ السعيدَ من إختارَ باقيةً يدوم نعيمها على فـانيةٍ لا ينفـذُ عـذابها ، وقـدّم لمايقـدم عليه ممـاهو الآن في يـديه قبـل أن يُخلّفه لمن يسعـدُ بإنفـاقـه وقـد شقي هو بجمعه واحتكاره] . [ومنها أيضاً] قال رسول الله ﷺ : [كأنّ المـوت على غيرنا كُتب ، وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب ، وكـأنّ الذين نشيّـع من الأمـوات سفرٌ ، عمـا قليـلٍ إلينـا راجعـون ، نهيء لهم أجـداثهم ، ونـأكـل تراثهم ، كأنا مُخلدون بعدهـم ، نسينا كلَّ واعظةٍ ، وأمِنّا كلَّ جائحـةٍ ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالاً أكتسبه في غير معصية ، وجالسَ أهل الفقه والحكمـة ، وخـالط أهلَ الـذلة والمسكنـة ، طوبى لمن ذَلّت نفســه ، وحسُنت خليفتـه ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شرّه ، طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من مالـه ، وأمسـكَ الفضـل من قـولـه ، ووسِعتـه السُّنة ولم تستهـوه البـدعــة] . [ومن مواعظه ﷺ] قوله : [يا قيسُ] يريد قيسَ بن عاصم الفهريّ [إنّ مع العز ذلاً ، وإن مع الحياةِ مـوتاً ، وإن مـع الدنيـا آخرة ، وإن لكـل شيء حسيباً ، وعلى كل شيء رقيباً ، وإن لكل حسنةٍ ثواباً ، ولكـل سيئةٍ عقـاباً ، وإن لكـل أجلٍ كتـاباً ، لا بُـدّ يا قيسُ : من قـرينٍ يُدفن معـك وهو حي ، وتـدفن معه وأنت

ميت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، ثم لا يحشر إلاّ معك ، ولا تُبعث إلاّ معه ، ولا تُسئل إلاّ عنه ، فلا تجعله إلاّ صالحاً ، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلاّ به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلاّ منه وهو : فِعلُك] ، [ومن وصاياه ﷺ] ما قال ﷺ : [أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادِروا بالأعمالِ الصالحةِ قبل أن تشتغلوا ، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقةَ تُرزقوا ، وأمروا بالمعروف تُحصنوا ، وانهوا عن المنكر تنصروا ، يا أيها الناس إن أكيسكم أكثُركم للموت ذكراً ، وأحزمكم أحسنكم له إستعداداً ، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابةَ إلى دار الخلود ، والتزودَ لسكنى القبور ، والتأهبَ ليوم النشور] .

ومنها أيضاً عنه ﷺ قال ﷺ : [أيها الناسُ إن لكم معالَم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين : بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه ، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذِ العبدُ لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشّبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفسُ محمد بيده ما بعدَ الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دارٌ إلاّ الجنة أو النار] .

ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان ما حدّثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميُّ بالمسجد الأزهر بعينِ الخيل من مدينة فاس ، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من لفظه ، وأنا أسمعُ ، وأسنده إلى رسول الله ﷺ مُعنعناً قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يُكمل عبدٌ الإيمانَ حتى يكونَ فيه خمسُ خصال : التوكلُ على الله ، والتفويضُ إلى الله ، والتسليمُ لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله ، إنه من أحبَّ لله ، وأبغضَ لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد إستكمل الإيمان] . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : [الإيمان بضعٌ وسَبعون شعبةً ، أدناها : إماطةُ الأذى عن الطريق ، وأرفعها : قول لا إله إلاّ الله] .

وصية نبوية محمدية :

قال قال رسول الله ﷺ : [لا خيرَ في العيش إلاّ لعالمٍ ناطق ، أو مستمعٍ واع ، يا أيها الناس إنكم في زمانٍ هُدنة ، وإن السيرَ بكم سريع ، وقد رأيتم الّليلَ والنهارَ كيف يُبليان كلَّ جديد ، ويُقربان كلّ بعيد ، ويأتيان بكل موعود] فقال له المقداد : وما الهدنةُ يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : [دارُ بلاءٍ وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الأمورُ كقِطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافعٌ مشفعٌ وشاهدٌ مصدَّق ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو أوضحُ دليلٍ إلى خير سبيل ، من قال به صُدّق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، وإن العبدَ عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاءَ ما أسلف ، وقِلة غِنى ما أخلف ، ولعله من باطلٍ جمعه ، ومن حقٍ منعه] .

وصية نبوية :

بتذكرةٍ ، قال رسول الله ﷺ : [إن العبدَ لا يُكتب في المسلمين حتى يسلم الناسُ من يده ولسانه ، ولا ينال درجةَ المؤمنين حتى يأمنَ جارُه بوائقه ، ولا يُعد من المتقين حتى يدعَ ما لا بأس به حذراً مما به البأس ، يا أيها الناسُ إنه من خاف البيوت[1] أدْلَج ، ومن أدلج في السير وصل ، وأنتم تعرِفون عواقبَ أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم ، إن نيةَ المؤمن خيرٌ من عمله ، ونيةَ المنافق شرٌ من عمله] .

وصية فيها بشرى للمنقطعين الى الله :

قال رسول الله ﷺ : [من إنقطعَ إلى الله كفاه الله كلَّ مؤنة ، ومن إنقطع إلى الدنيا وَكلَه الله إليها ، ومن حاول أمراًبمعصيةالله كان أبعدَ له ممارجا ، وأقربَ مما إتقى ، ومن طلب محامدَ الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذامّاً ، ومن أرضى الناسَ بسخط الله وكله الله إليهم ، ومن أرضى الله

---

(١) نسخة : البيان .

بسخط الناس كفاه الله شرّهم ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناسَ ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لأخرته كفاه الله أمرَ دنياه] .

وصيـة نبوية خبرية :

قال رسول الله ﷺ : [رحم الله إمرأ تكلم فغنم ، أو سكت فسلم ، إنّ اللسان أمْلكُ شيءٍ للإنسان ، آلا وإن العبد كلّه عليه إلاّ ذكر الله ، أو أمراً بمعروفٍ ، أو نهياً عن منكرٍ ، أو إصلاحاً بين مؤمنين] فقال له معاذُ بن جبل ؛ يا رسول الله أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ قال ﷺ : [وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم ؟ فمن أرادَ السلامةَ فليحفظ ما جرى به لسانُه ، وليحرُس ما إنطوى عليه جنانه ، وليحسن عمله وليُقصر أمله] .

وصيـة نبوية أيضاً :

قال رسول الله ﷺ : [لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطيـةُ المؤمن ، عليها يبلغ الخيرَ وبها ينجو من الشر ، إذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه] قلنا : من هنا قال قتادة رضي الله عنه : ما أنصف أحدٌ الدنيا ، ذُمّت بإساءةِ المسيء فيها ، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها ، وفي عكس هذا يقول بمضهم في الدنيا :

إذا إمتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشفتْ ... له عن عدوٍ في ثيابِ صديقِ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة ، وقد ذم الله ذلك .

وصيـة نبوية :

قال رسول الله ﷺ : [أكثروا ذكر هاذمِ اللذات ، فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وَسّعَه عليكم ورضيتم به فأُجِرتم ، وإن ذكرتموه في غنى بغّضه إليكم به فاثبتم ، إن المنايا قاطعاتُ الأمال ، والليالي مدنياتُ الآجال ، وإن المرء بين يومين : يومٍ قد مضى أحصِي فيه عمله فختم عليه ، ويومٍ قد بقي

لا يدري لعله لا يصل إليه .

وصيــة بتذكرة :

قـال رسـول الله ﷺ [إن الـرزق مقسـوم ، لن يعـدوَ إمـرؤٌ مـا كُتِب لـه فأجملوا في الطلب ، وإن العمر محدودٌ لن يجـاوز أحدُكم قـدّر له ، فبـادروا قبل نفادِ الأجل ، والأعمال مُحصاةٌ لن يُهمل منها صغيرةٌ ولا كبيـرة ، فأكثـروا من صـالـحِ العمـل ، أيهـا النـاس إن في القنـوع لسعـةً ، وإن في الإقتصـاد لبُلغةً ، وإن في الزهد لراحةً ، ولكل عملٍ جزاءً ، وكلُّ آتٍ قريب] .

وصيــة بذكرى لبيب واعتبار :

قال رسول الله ﷺ : [أما رأيتَ المأخوذين على الغرّة ، المُـزعجين بعد الطمأنينة ؟ الذين أقاموا على الشبهات ، وجنحـوا إلى الشهواتِ ، حتى أتتهم رسلُ ربّهم ، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا ، ولا إلى ما فاتهم رجعوا ، قَدِموا على مـا عملوا ، وندِمـوا على ما خلّفـوا ولم يُغنِ الندم ، وقـد جفّ القلم ، فرحم الله إمرأ قدّم خيراً وأنفق قصداً ، وقـال صدقـاً ، ومَلَك دواعي شهواتـه ، ولم تملِكه وعصى أمرَ نفسه فلم تُهلكه] .

وصيــة وبيان :

قــال رسـول الله ﷺ : (أيهــا النـاس لا تُعــطوا الحكمـة غيــرَ أهلهـا فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تُعاقبوا ظالماً فيبطلَ فضلكم ، ولا تـراؤوا الناسَ فيحبطَ عملكم ، ولا تمنعـوا الموجـودَ فيقلَّ خيـرُكم ، أيهـا النـاس إن الأشياءَ ثـلاثـة : أمـر إستبـان رشـدُه فـاتّبعـوه ، وأمرٌ إستبـان غيُّـه فاجتنبوه ، وأمرٌ إختلف عليكم فردّوه إلى الله ، أيهـا الناس ألاّ أُنبئكم بـأمرين خفيفٍ مؤنتهما ، عظيمٍ أجرُهمـا ، لم يُلق الله بمثلهمـا : الصمتُ ، وحسنُ الخلق .

وصيــة نبوية :

قال رسول الله ﷺ ، [إنما يؤتى الناسُ يـومَ القيامـة من إحدى ثـلاث :

إمـا من شبهةٍ في الـدين إرتكبوهـا ، أو شهوة للذة آثـروها ، أو غضبـةٍ لحميّةٍ أعملوها ، فإذا لاحت لكم شبهـةٌ فاجلوهـا باليقين ، وإذا عـرضت لكم شهوةٌ فاقمعوها بالزهد ، وإذا عنّت لكم غضبةٌ فادرؤوها بالعفو ، إنه ينادي منادٍ يـوم القيامة : من له أجرٌ على الله فليقُم ، فيقوم العافـون عن الناسُ ، ألم تـر إلى قوله عز وجل : ﴿فمن عفا وأصلحَ فأجره على الله﴾(١) .

وصيـة فيها تذكرة غافل :

قـال رسـول الله ﷺ : [يقـول الله تعـالى يـا ابن آدم تؤتى كـلُّ يـومٍ برزقك ، وأنت تحـزن ، ويُنقص كلَّ يـوم من عمرك وأنت تفـرح ، أنت فيما يكفيك ، وتطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع] .

وصيـة تحريض على اتصاف بصفة يحمدها الله من عباده :

قال رسول الله ﷺ ، وقد قيل له : يا رسـول الله ، من أولياءُ الله الـذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ! فقال : [الذين نظروا إلى بـاطنِ الدنيـا حين نظر الناسُ إلى ظاهرهـا ، واهتموا بـآجل الـدنيا حين إهتمّ النـاس بعاجلهـا ، فـأماتـوا منها مـا خشوا أن يميتهم ، وتـركوا منهـا ما علمـوا أنّ سيترُكهم ، فـما عارضهم من نائلها عارض إلاّ رفضوه ، ولا خادعهم من رفقها خادع إلاّ وضعوه ، خَلقتِ الـدنيا عندهم فما يجددونها ، وخرُبت بيوتهم فما يعمرونهـا ، وماتت في صـدورهم فما يُحيونها ، بل يهدمونهـا فيبنون بهـا آخرتُهم ، ويبيعـونها فيشترون بها مـا يبقى لهم ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت بهم المثلاتُ ، فما يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون] .

وصيـة أيضاً نبوية :

قال رسول الله ﷺ : [إنما أنتم خلفُ ماضين ، وبقيـةُ متقدمين ، كـانوا أكثـرَ منكم بسطةً ، وأعـظمَ سطوةً ، أُزعجـوا عنهـا أسكنَ مـا كـانـوا إليهـا ، وغـدرت بهم أوثقَ ما كـانوا بهـا ، فلم تغنِ عنهم قوة عشيـرةٍ ، ولا قُبِلَ منهم

---

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٤٠ .

بذل فدية ، فأرحلوا أنفسكم بزادٍ مُبلغ قبل أن تؤاخذوا على فجأة وقد غفلتم عن الإستعداد ، ولا يغني الندم وقد جفّ القلم] .

وصيـة بموعظة وذكرى :

قال رسول الله ﷺ : [كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل ، وعُدّ نفسك في الموتى ، وإذا أصبحتَ فلا تحدّثها بالمساء ، وإذا أمسيتَ فلا تحدّثها بالصباح ، وخذمن صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومكن حياتك لو فاتك ، فإنك لا تدري ما إسمُك غداً] .

وصيـة نبوية نافعة :

قال رسول الله ﷺ : [لا تشغلنّكم دنياكم عن إخرتكم ، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعةِ ربكم ، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعةً لمعاصيكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ومهّدوا لها قبل أن تعذبوا ، وتزودوا للرحيل قبل أن تُزعجوا ، فإنما هو موقفُ عدل ، واقتضاءُ حق ، وسؤال عن واجبٍ ، ولقد بلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار] .

وصيـة نبوية بما ينبغي أن يُقبل عليه ويُعرض عنه :

قال رسول الله ﷺ : [يا أيها الناس ، أقبلوا على ما كلفتموه من صلاح آخرتكم ، وأعرضوا عما ضُمِن لكم من أمر دنياكم ، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته ، واجعلوا شغلكم بالتماسِ مغفرته ، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته ، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبُه من الآخرة ، ولا يُدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك ما الآخرة ما يريد] .

وصيـة نبوية فيما ينبغي أن يُترك من الفضول :

قال رسول الله ﷺ : إياكم وفضولَ المطعم ، فإن فضولَ المطعم يَسم القلب بالقساوة ، ويُبطِيء بالجوارح عن الطاعة ، ويُصِمّ الهمم عن سماع الموعظة ، وإياكم وفضولَ النظر ، فإنه يبذُر الهوى ، ويولّد الغفلة ، وإياك

واستشعارَ الطمع فإنه يُشرب القلبَ شدةَ الحرص ، ويختم على القلب بطابعِ حبِّ الدنيا ، فهو مفتاح كل سيئة ، وسببُ إحباط كلِّ حسنة] .

وصيــة نبوية بما يُرجى ويتقى :

قال رسول الله ﷺ : [إنما هو خيرٌ يُرجى ، أو شرٌّ يتقى ، وباطـل عُرف فـاجتُنب ، وحق تيقَن فطُلب ، وآخِـرةٌ أظلَّ إقبـالهـا فسُعي لهـا ، ودنيـا أزف نفادها فأعرض عنهـا ، وكيفَ يعمل لـلآخرة مَن لا تنقـطع عن الدنيـا رغبتُه ، ولا تنقضي فيها شهوتُـه ؟ إنّ العجبَ كلَّ العجب لمن صـدّق بدار البقـاء وهـو يسعى لداء الفناء ، وعَرَف أن رضا الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته] .

وصيــة نبوية :

قــال رسـول الله ﷺ : [حَلّوا أنفسكم بــالـطاعــة ، وألبسـوهـــا قناع المخـافةِ ،واجعلوا آخـرتكم لأنفسكم ، وسعيكم لمستقـركم ، واعلمـوا أنكم عن قليـلٍ راحلون ، وإلى الله صائرون ، ولا يغني عنكم هنالـك إلاّ صالـحُ عملٍ قدمتموه ، أو حسنُ ثوابٍ حزتُموه ، إنكم إنما تقدُمون على ما قدّمتم ، وتجاوزن على ما أسلفتم، ولا تخدعنّكم زخـارفُ دنيا دنيـةٍ عن مـراتبِ جنـابٍ عليّة ،فكأنْ قد كُشف القناع، وارتفع الإرتياب ، ولاقى كلُّ إمرىء مستقـرّه ، وعرف مثواه ومنقلبه] .

وصية نبوية في التحذير عن المكر والخداع :

قال رسول الله ﷺ : [ولا تكونوا ممن خدعته العاجلةُ ، وغرّته الأمنية ، واستهوته الخدعة فركن إلى دارٍ سريعة الزوال ، وشيكة الإنتقال ، إنـه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلاّ كإناخةِ راكب، أو صَرّ(١) حالب ، فعـلام تُعرّجون ، وماذا تنتظرون ، فكأنكم والله بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأنْ لم يكن ، ومـا تصيرون إليـه من الآخـرة كـأنْ لم يَـزُل ، فخـذوا الأهبـة لأزوف

(١) صر الرجل الناقة : ربط ضرعها لئلا يشرب ولدها لبنها .

النُّقلة ، وأعِدّوا الزادَ لقرب الرحلة ، واعلموا أن كلَّ إمرىء على ما قدّم قادم ، وعلى ما خلّف نادم] .

وصية نبوية في ذم إنبساط الأمل ونسيان الأجل :

قال رسول الله ﷺ : [أيها الناس : بسيطُ الأمل،متقدّمٌ حلولَ الأجل ، والمعادُ مضمارُالعمل ، ومغتبطٌ بما إحتقب[1] غانمٌ ، ومبتئسٌ بما فاته من العمل نادم ، أيها الناس : إن الطمعَ فقرٌ ، واليأسَ غنى ، والقناعةَ راحةٌ ، والعزلةَ عبادة ، والعمل كنزٌ ، والدنيا معدن ، والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُردِي هذا ، وما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء ، وكلٌّ إلى نفاد وشيكٍ ، وزوال قريبٍ ، فبادروا وأنتم في مَهَل الأنفاس ،وجدةِ الأحلاس[2] قبل أن يؤخذ الكَظَم[3] ولا يغني الندم] .

وصية نبوية وتعريف :

قال رسول الله ﷺ : [تكون أُمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق ، أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال وادخاره ، ولا يسعون في إقتنائه واحتكاره ، إنما رضاهم من الدنيا سدُّ جوعة ، وستر عورة ، وغناهم فيها ما بلغ إلى الآخرة ، فأُولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأما الطبق الثاني فيحبون جمعَ المال من أطيب سبيله ، وصرفه في أحسنِ وجوهه ، يصلون به أرحامهم ، ويبرون به إخوانهم ، ويواسون به فقراءهم ، ولَعَضُّ أحدِ هم على الرَّضْفِ[4] أسهلُ عليه من أن يكسب درهماً من غير حلّه ، وأن يضعه في غير وجهه ، وأن يمنعه من حقه ، وأن يكون خازناً له إلى حينِ موته ، فأُولئك الذين إن نوقشوا عُذِّبوا ، وإن عفي عنهم سلموا ، وأما الطبق

---

(١) احتقب : جمع .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، وحلس البيت : كساء يبسط تحت حر الثياب . مختار الصحاح .

(٣) الكظم : مخرج النفس .

(٤) الرضف : الحجر المحمى عليه .

الثالث فيحبون جمعَ المال مما حَلّ وحرم ، ومنعه ممـا إفتُرِض أو وجب ، إن أنفقوه أنفقوه إسـرافاً وبـداراً ، وإن امسكوه أمسكـوه بخلاً واحتكـاراً ، أولئك الذين ملكت الدنيا أزِمَّةَ قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم] .

وصيـة نبوية في التحذير من ضعفاء اليقين وما أشبه ذلك :

قـال رسـول الله ﷺ : [إن من ضعف اليقين أن تُـرضي النـاسَ بسخط الله ، وأن تحمـدهم على رزق الله ، وأن تـذمهم على مـا لم يؤتـك الله ، إن رزق الله لا يجُرّه حرصُ حريص ، ولا يرده كراهيةُ كـاره ، إن الله تبارك إسمـه جعـل الرَّوح والفـرحَ في الـرضـا واليقين ، وجعـل الهمَّ والحـزن في الشـك والسخط ، إنـك لم تدع شيئـاً تقربـاً إلى الله إلاّ أجـزلَ لـك الثـوابَ عليـه ، فاجعل همّك وسعيك لآخرة لا ينفد فيها ثوابُ المرضيّ عنه ، ولا ينقـطع فيها عقابُ المسخوط عليه] .

وصيـة نبوية تحرّض على أخلاقٍ سنية مُرضية :

قال رسول الله ﷺ : [إنه ليس شيءٌ يباعـدكم من النار إلاّ وقـد ذكرتُـه لكم ، ولا شيءٌ يقـربكم من الجنـة إلاّ وقـد دللتُكم عليـه ، إن روح القـدس نفث في روعي أنه لن يموت عبدٌ حتى يستكمل رزقه ، فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّكم إستبطاءُ الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته ، فإنه لا يُنال ما عند الله إلاّ بطاعته ، ألا وإن لكل إمرىءٍ رزقاً يأتيه هـو لا محالـة ، فمن رضي به بورك له فيه فوسِعَه ، ومن لم يرض به لم يُبارك فيه ولم يَسَعَه ، إن الرزق ليطلُب الرجلَ كما يطلبه إجله] .

وصيـة نبوية مفصّلة :

قـال رسول الله ﷺ : [إن الـدنيا دارُ بـلاء ، ومنـزل قلعـةٍ وعَنـاء ، قـد نـزعت عنها نفـوسُ السعداء ، وانتُـزِعت بالكُـرهِ من أيدي الأشقيـاء ، وأسعد النـــاس أرغبُهم عنهـــا ،وأشقـــاهم بهـــا أرغبُهم فيهـــا ، هي الغـــاشّـــة لمن إستنصحها ، والمغويةُ لمن أطاعها ، والخاترةُ[1] لمن إنقاد لها ، والفائـزُ من

---

(١) الختر : الغدر يقال : ختره ـ فهو ختار ـ أي خدعه . مختار الصحاح .

أعرض عنها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد إتقى فيها ربّه وناصحَ نفسه ، وقدّم توبته ، وآخر شهوته ، من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة ، فيُصبحَ في بطن موحشةٍ مؤنسة ، مدلهمّةٍ ظلماء ، لا يستطيع أن يزيد في حسنةٍ ولا ينقص من سيئة ، ثم يُنشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها ، أو نارٍ لا ينفك عذابها] .

وصية نبوية :

في الأهبة للرّحلة ، قال رسول الله ﷺ : [شمروا فإن الأمر جدٌّ ، وتأهبوا فإن الرحيلَ قريبٌ ، وتزودوا فإن السفر بعيد ، وخففوا أثقالكم فإن وراءكم عقبةً كؤداً لا يقطعها إلاّ المخفّون ، أيها الناس إن بين يدي الساعة أُموراً شِداداً ، وأهوالاً عِظاماً ، وزماناً صعباً ، تتملك فيه الظُلمة ، وتتصدر الفَسَقة ، فيُضطهد فيه الآمرون بالمعروف ، ويُضام الناهون عن المنكر ، فاعِدّوا لذلك الإيمانَ ، وعضوا عليه بالنواجذ ، والجؤوا إلى العمل الصالح ، وأكرهوا عليه النفوسَ ، واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم] .

وصية نبوية وترغيب :

قال رسول الله ﷺ : [أرغبْ فيما عندَ الله يحبُّك الله ، وازهدْ فيما في أيدي الناس تحبّك الناس ، إن الزاهد في الدنيا يُريح قلبَه وبدنه في الدنيا والآخرة ، ليجيئنّ أقوامٌ يوم القيامة لهم حسناتٌ كأمثال الجبال ، فيؤمر بهم إلى النار] فقيل : يا نبيَّ الله أيُصلون ؟ قال : [كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون وَهْناً[1] من الليل ، لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيءٌ من الدنيا وثبوا عليه] ..

وصية نبوية تحرّض على صفات سنية :

قال رسول الله ﷺ : [أيها الناس إن هذه الدارَ دارُ التواء ، لا دارُ

---

(١) الوهن ، والموهن : نحو من نصف الليل ؛ قال الأصمعي : هو حين يدبر الليل مختار الصحاح .

إستواء ، ومنزل ترح لا منزلُ فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، ألا وإن الله خلق الدنيا دارَ بلوى ، والآخرة دارَ عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثوابِ الآخرة سبباً ، وثوابَ الآخرة من بلوى الدنيا عِوضاً ، فيأخذُ ليعطي ، ويبتلي ليجزي ، وإنها لسريعةُ الذهاب ، وشيكةُ الإنقلاب ، فاحذروا حلاوةَ رضاعها لمرارة فطامها ، واهجروا لذيذَ عاجلها لكريه آجلها ، ولا تسعوا في عُمران دارٍ قد قُضي خرابُها ، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم إجتنابها ، فتكونوا لسخطه متعرضين ، ولعقوبته مستحقين] .

وصية نبوية :

بما يرضي الله من الأخلاق ، قال رسول الله ﷺ : [أيها الناس إتقوا الله حقّ تقاته ، واسعوا في مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ، ومن الآخرة بالبقاء ، واعملوا لما بعد الموت ، فكأنكم بالدنيا لم تكن ، وكأن الآخرة لم تزل ، أيها الناس ، إن من في الدنيا ضيفٌ ، وما في يده عاريةٌ ، وإن الضيفَ مرتحل ، والعاريةَ مردودة ، ألا وإن الدنيا عرض حاضرٌ ، يأكل منها البرُّ والفاجِر ، والآخرةَ وعدٌ صادق ، يحكم فيها مَلِك قادر ، فرحم الله إمرأ نظرَ لنفسه ، ومهد لرمسه ، ما دام رسنُه مُرخى ، وحبلُه على غاربه[1] مُلقى ، قبل أن ينفدَ أجله فينقطع عمله] .

وصية أيضاً نبوية :

قال رسول الله ﷺ : [إن الدنيا قد إرتحلت مدبرةً ، والآخرة قد تجمّلت مقبلةً ، ألا وإنكم في يوم عملٍ ليس فيه حساب ، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل ، وإن الله يُعطي الدنيا من يُحب ويُبغض ، ولا يعطي الآخرةَ إلّا من يحب ، وإن للدنيا أبناءً وللآخرة أبناءً ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، إن شرّ ما أتخوفُ عليكم إتباعُ الهوى ، وطولُ الأمل فاتباع الهوى

---

(١) الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم : حبلك على غاربك ، أي : إذهبي حيث شئت ، وأصله : أنّ الناقة إذا رعت وعليها الخطام ، ألقي على غاربها ، لأنها إذا رأته لم يهنئها شيء . مختار الصحاح .

يصرفُ بقلوبكم عن الحق ، وطولُ الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا ، وما بعدهما لأحد خيرٌ من دنيا ولا آخرة] .

وصية نبوية بموعظة تذكر الموت وتُؤذن بالرحيل :

قال رسول الله ﷺ : [ما من بيتٍ إلاّ ومَلَكُ الموت يقف على بابه في كل يومٍ خمسَ مراتٍ ، فإذا وجد الإنسانَ قد نفذ أكلُه ، وجاء أجلُه ، ألقى عليه غمَّ الموت ، فغشيته كُرُباته ، وغمرته سكراتُه ، فمن أهل بيته الناشرةُ شعرها ، والضاربةُ وجهها ، والباكيةُ لِشجوها ، والصارخةُ بويلها ، فيقول مَلَكُ الموت عليه السلام : ويلكم ، مِمّ الفزعُ ، وفيمَ الجزعُ ؟ ما أذهبتُ لواحدٍ منكم رزقاً ، ولا قرّبتُ له أجلاً ، ولا أتيته حتى أُمرت ، ولا قبضت روحه حتى إستأمرت ، وإن لي فيكم عودةً ثم عودةً حتى أُبقي منكم أحداً] قال النبي ﷺ : [فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لو يرونَ مكانه ، ويسمعون كلامه ، لذهِلوا عن ميتهم ، ولبكوا على نفوسهم ، حتى إذا حُمل الميت على نعشه ، رفرفتْ روحه فوق النعش وهو ينادي : يا أهلي ، ويا ولدي ، لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبتْ بي ، جمعتُ المالَ من حِلّه ، ومن غير حِلّه ، ثم خلّفتُه لغيري ، فالمهناةُ له والتبِعةُ عليّ ، فاحذروا أن يُحل بكم مثلُ ما حلَّ بي] .

وصية :

من زاهد تحتوي على فوائد ، روينا عن الشّبلي رحمه الله أنه قال في وصيته : إن أردتَ أن تنظرَ إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مَزْبلة ، فهي الدنيا ، وإن أردت أن تنظر إلى نفسك ، فخذ كفاً من تراب فإنك منها خلقت وفيها تعود ومتى أردت أن تنظر ما أنت ، فانظر إلى ما يخرجُ منك في دخولك الخلاء ، من كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر على مَن هو مثلُه ، وقال بعضهم : من كان همتُه ما يُدخله في جوفه قيمتُه ما يخرج منه ، وكتب إبراهيم بن أدهَم إلى أخ له : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله الذي لا تحِلُّ معصيتُه ، ولا يُرجى غيره ، ولا يدرَك الغنى إلاّ به ، فإنه من إستغنى عزّ وشبع ورَوِي ، وانتقل عندما أبصر قلبُه عمّا

أبصرتْ عيناه من زهرة الدنيا ،فتركها وجانب شبُهها ، فليرضَ بالحلال الصافي منها إلاّ مالا بدّ منه من كِسرة يشُدّ بها صلبه ، وثوبٍ يواري به عورته أغلظَ ما يجده وأخشنه والسلام . وقال رسول الله ﷺ [حسبُ ابن آدم لقيماتٌ يقُمن صلبْه] . وروي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيء إليه قبل الخلافةِ بحُلّة بثلاثةِ آلافِ درهم فاستخشنها ، ثم جيء إليه في خلافته بثوبٍ ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فاسترقّه ، وقال : عسى أخشنُ من هذا ، فانظر يا أخي أين هذا من ذاك ؟ رضي الله عنه ، مثل هذا ينبغي أن يليَ أُمورَ عبادِ الله . وكتب ابن السّماك إلى أخ له ، وقد سأله أن يصف له الدنيا : أما بعد ، فإن الله حفّها بالشهوات ، ثم ملأها آفاتٍ ، مزج حلالها بالرّزِيّات ، وحرامها بالتّبعات ، فحلالها حسابٌ وحرامها عقاب .

وصية مختارة بإجارة من استجار :

كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته أن الله تعالى نادى موسى بن عمران ، يا ابن عمر أن لا تخيبْ من قصدك ، وأجرْ من إستجارَ بك ، قال : فبينما موسى عليه الصلاة والسلام في سياحته إذا بجارحٍ يطردُ حماماً ، فلما رآه الحمامُ نزل على كتفه مستجيراً به ، ونزل الجارح على الكتف الأخر ، فلما همّ به الجارحُ نزل الحمام على كمّه ، فناداه الجارحُ بلسانٍ فصيح : يا ابن عمران ، إني قاصدك فلا تُخيّبني ولا تحُل بيني وبين رزقي ، وناداه الحمامُ : يا ابن عمران ، إني أنا مستجيربك فأجرني ، فقال موسى ما أسرعَ ما إبتليتُ به ، ثم مدّ يده لقطع من فخذه قطعةً للجارح وفاءً لهما وحفظاً لما عهدا إليه فيهما ، فقالا له : يا ابن عمران ، لا تعجل إنا رسولا ربك ، أرسلنا إليك ليرى صحة ما عهدَ إليك :

أيا سامعاً ليس السماعُ بنافعٍ إذا أنت لم تعقلَ[1] فما أنتَ سامعُ
إذا كنتَ في الدنيا عن الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانعُ ؟

---

(١) تفعل ، نسخة .

وكـان ابن السماك يقـول : لا تشتغـلْ بـالـرزق المضمـونِ عن العمـل المفروضِ ، وكنِ اليومِ مشغولاً بما أنتَ عليه مسؤول غداً ، وإيـاك والفضولَ فإن حسابها يطول ، ولابن أدمة الليثي :

إني علمتُ ـ وخيـر العلمِ أنـفعُـه ـ أنّ الـذي هـو رزقي سـوف يـأتيني
أسـعى لـه فيُـعـيـيـنـي تـطلّبـه ولـو قـعـدتُ أتـانـي لا يُـعـنـيـنـي
وأنّ رزقَ إمـرىءٍ غيـري سيَبلغـه لا بـدّ لا بـدّ أن يـجـتـازه دونـي

وصيـة :

تتضمن عـلامةً بـاقترابِ القيـامـة ، قـال عليٌّ بن أبي طـالب رضي الله عنه : سئل رسول الله ﷺ عن أشراطِ السـاعة ، فقـال : [إذا رأيتَ الناس قـد ضيّعوا الحقَّ ، وأماتوا الصلاةَ ، وأكثروا القدفَ ، واستحلّوا الكذب ، وأخذوا الـرّشوة ، وشيّـدوا البنيان ، وعـظّموا أربـاب الأموال ، واستعملوا السفهـاءَ ، واستحلوا الدماءَ ، فصار الجاهـلُ عندهم ظـريفاً ، والعـالمُ ضعيفاً ، والـظلمُ فخـراً ، والمساجـدُ طرقـاً ، وتكثـرُ الشُّـرطُ ، وحُليّتِ المصـاحف ، وطـوّلتِ المنـاراتُ ، وخربت القلوب من الـدين . وشُـربتِ الخمـور ، وكثـرُ الـطلاق ومـوتُ الفجـأة ، وفشـا الفجـورُ وقـولُ البهتـان ، وحلفـوا بغيـر الله ، وأتُمن الخائن ، وخوّن الأمين ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب فعندها قيـام الساعة] هذا حديث حسن .

وصيـة :

بالتأهب للموتِ بموعـظةٍ في رؤيا ، كـان أمير المؤمنين المنصـور ذات ليلةً نائماً ، فانتبه مرعوباً ، ثم عاودَ النوم ، فانتبـه كذلـك فزعـاً مرعـوباً ، ثم راجعَ النوم ، فانتبه كذلك ، فقال يا ربيع ، قال الـربيع : قلتُ لبيـك يا أميرَ المؤمنين ، قـال : لقد رأيتُ في منـامي عجباً ، قـال : ما رأيتَ ـ جعلني الله فـداءك ؟ ـ قال : رأيتُ كـأن آتياً أتـاني فهينمَ[1] بشيء لم أفهمـه ، فـانتبهتُ

---

(١) الهينمة : الصوت الخفي . مختار الصحاح .

فزعاً ، ثم عاودت النوم ، فعاودني يقولذلك الشيء ، ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كأني بهذا القصرِ قد بادَ أهله وعُرّي منه أهله ومنازله
وصار رئيسُ القومِ من بعد بهجةٍ إلى حدثٍ[1] تُبنى عليه جنادله

وما أحسبُني يا ربيع إلاّ وقد حانت وفاتي ، وحضر أجلي ، ومالي غيرُ ربي ، قم فاجعلْ لي غُسلاً ، ففعلتُ ، فقام فاغتسل وصلى ركعتين ، وقال : أنا عازمٌ على الحج ، فهيّىء لنا آلة الحج ، فخرجَ وخرجنا حتى إنتهى إلى الكوفة ونزل النّجفَ ، فأقام أياماً ، ثم أمرَ بالرحيل ، فتقدمتْ نوابه وجنده ، وبقيت أنا وهو بالقصر ، وشاكريتُه[2] بالباب ، فقال لي : يا ربيع جئني بفحمةٍ من المطبخ ، فجئته ، فقال لي : أُخرجْ وكن مع دابتي إلى أن أخرج ، فلما خرج وركب رجعتُ إلى المكان كأني أطلب شيئاً ، فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

المرءُ يهوى أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قد يضُرّهْ
تفنى لذاذته ويبقى بعد حُلو العيشِ مُرُّهْ
وتصرّفُ الأيامُ حتى ما يرى شيئاً يُسرّهْ
كم شامتٍ بي إنْ هلكتُ وقائلٍ للّه درُّهْ

وصية :

إعتراف عارفٍ في أشرفِ المواقف ، وقف مُطّرفُ وبكر بن عبد الله بعرفةَ ، والفضيلُ بن عياضٍ ، فقال مطرف : اللهم لا تردّهم اليومَ من أجلي ، وقال : بكرٌ ما أشرفه من موقفٍ وأرضاه لأهله لولا أني فيهم ، ورفع الفضيلُ رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيته ، وهو يبكي بكاء الثّكلى ويقول : واسوأتاه منك وإن عفوت .

---

(١) الجدث : بفتحتين ـ القبر . والجندل : الحجارة . مختار الصحاح .
(٢) الشاكري : الأجير والمستخدم . ا هـ قاموس .

وصيـة :

على الحياء من الله ، روينا من طـريق الشيخ عبـد الرحمن بن الإستـاذ عن ابن باكويه الشيرازي ، عن أبي الأديان ، قال : مـا رأيت خائفـاً إلاّ رجلاً واحـداً ، كنتُ بالمـوقف فرأيتُ شـاباً مـطرقـاً منـذ وقف النـاس إلى أن سقط القرص ، فقلت : يا هذا أبسطْ يديك بالدعاء ، فقال لي : ثَمَّ وحشةٌ ، فقلت له : هذا يومُ العفو من الذنوب ، فبسط يديه ، ففي بسطه يديه وقع ميتاً .

وصيـة نبوية بالصدقة :

قـال رسول الله ﷺ : (أتى سـائل إمـرأةً ، في فمهـا لقمـةٌ ، فلفـظتهـا وناولتها إياه ، فلم تلبث أن رزقت غلامـا ، فلما تـرعرعَ جـاء ذئبٌ ، فاحتمله فخـرجتْ تعدو في إثـر الذئب ، وهي تقـول : إبني إبني ، فأمـر الله مَلكـاً : إلحقِ الذئبَ فخذِ الصبيَّ من فِيه ، وقل لأمه : إن الله يُقرئـك السلامَ وقـل : هذه لقمةٌ بلقمة) .

وصيـة :

بـرّ بحضور مجـالس الذكـر ، قـال عمـار بن الـراهب : رأيتُ مسكينـةَ الطفاويةَ في منامي بعد موتهـا ، فقلت : مرحبـاً يا مسكينـةُ ، مرحبـاً ، فقالت هيهات يا عمـارُ هيهات ، ذهبت المسكنـةُ وجاءالغنى الأكبـر ، قلت : هَيْهِ ، قـالت : ما تسـألُ عمن أبيحَ لـه الجنة بحـذافيرهـا ، تظلُّ فيهـا حيث تشاء ، قلت : وبِمِ ذاتك ؟ قالت : بمجالس الذّكر والصبرِ على الحق ، قال عمار : وكانت تحضُر معنـا مجلسَ عيسى بن زاذان[١] بالأُبَلّة[٢] ، تنحـدرُ من البصرة حتى تأتيه قاصدةً ، قال عمار : قلت : يا مسكينةُ ، فمـا فعل عيسى بن زاذان رحمه الله ؟ قال : فضحكت وقالت :

قـد كُسِي حـلّةَ الـبهـاء وطـافـتْ ... بـالأبـاريـق حـولـه الـخـدّامُ

---

(١) زادان : نسخة .

(٢) الأبلة : بالبصرة . إحدى منتزهات الأرض الأربع .

ثمّ حُلّيْ وقيــل : يــا قــارىءُ إرقــا فــلعــمــري لــقــد بــراك الــصــيــامُ

وصيــة :

ونصيحةٌ كتبتُ بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكاوس صـاحبِ بلاد الشمال : بلادِ يونان ، رحمه الله جوابُ كتـاب كتب به إلينـا ، سـنة تسـع وستمائة بسم الله الرحمٰن الرحيم ، وصل الإهتمام السلطاني الغالب بأمر الله العزيز أدام الله عـدل سلطانه إلى والـده الداعي لـه محمدُ بن العـربي ، فتعين عليه الجوابُ بالوصيةِ الدينية والنصيحةِ السياسة الإلهية على قدر ما يُعطيه الوقت ، ويحتمله الكتـاب ، إلى أن يُقدّرالإجتمـاع ويرفـع الحجاب ، فقـد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [الدين النصيحة] قالـوا : لمن يا رسـول الله ؟ قال : [لله ولـرسولـه ولأئمة المسلمين وعـامتهم] وأنت يـا هـذا بـلا شـك من أئمـة المسلمين ، وقد قلدّك الله هذا الأمرَ ، وأقامك نائباً في بلاده ، ومتحكمـاً بما توفق إليه في عبـاده ، ووضع لـك ميزانـاً مستقيماً تُقيمـه فيهم ، وأوضح لـك محجة بيضاء تمشي عليها ، وتدعوهم إليها ، على هذا الشرط ولآك ، وعليـه بايعناك ، فإن عدلت فلك ولهم ، وإن جُـرت فلهم وعليك ، فـاحذر أن أراك غـداً بين أئمة المسلمين من أخسـرِ النـاس أعمـالاً ، الـذين ضـلّ سعيهم في الحياة الدنيـا ، وهم يحسبون أنهم يُحسنـون صنعاً ، ولا يكـون شكرك ـ لمـا أنعم الله عليـك من إستـواء ملكــك ـ بكفـران النعم ، وإظهــار المعـاصي ، وتسليط النواب السوءِ بقـوة سلطانك على الـرعية الضعيفـة ، فيتحكمون فيهم بالجهالةِ والأغراض، وأنت المسؤول عن ذلك ، فيـا هذا قـد أحسن الله إليك وخلعَ خِلعَ النيابة عليك ، فأنت نائبُ لله في خلقه وظلُّه الممـدودُ في أرضه ، فـأنصفِ المظلومَ من الـظالم ، ولا يغـرنّـك أن الله وسّـع عليـك سلطانـك ، وسـوّى لك البـلاد ومهدهـا ، مع إقـامتك على المخـالفـة والجـورِ ، وتعـدي الحـدود ، فإن ذلـك الإتسـاعَ مـع بقائـك على مثل هـذه الصفات إمهـالٌ من الحق لا إهمال ، ما بينك وبين أن تقفَ بأعمالك إلّا بلوغُ الأجـلِ المسمّى ، وتصلُ إلى الدار التي سافر إليها أبوك وأجدادُك ، ولا تكن من النادمين ، فـإن الـندم في ذلك الـوقت غيرُ نـافع ، يـا هذا ، ومن أشـدّ ما يمـرُّ على الإسلام والمسلمين ، وقليلٌ ما هم ، رفع النواقيس ، والتظاهر بالكفر ، وإعـلاء كلمة

الشرك ببلادك ، ورفع الشروط التي إشترطها أمير المؤمنين وإمام العالمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذمة من أن لا يُحدثوا في مدينتهم وما حولها كنيسةً ، ولا ديراً ولا قَلِيَّة[1] ، ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرِب منها ، لا ويمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحدٌ من المسلمين ثلاث ليالٍ يطعمونهم ، ولا يأووا جاسوساً ، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين ، ولا يُعلموا أولادهم القرآن ، ولا يُظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إذا أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوسَ ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ، في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا يتسمَّوا بأسماء المسلمين ، ولا يتكنَّوا بكُناهم ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يتخذوا شيئاً من سلاح ، ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمورَ ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم وأن يلزموا زيّهم حيثما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا بالناقوس إلّا ضرباً خفيا ، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم ، بالقراءة من شيء من حضرة المسلمين ، ولا يُخرجوا شعانين[2] ، ولا يرفعوا مع أمواتهم أصواتهم ، ولا يُظهروا النيرانَ معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، فإن خالفوا شيئاً مما شُورطوا عليه فلا ذمة لهم ، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحل من أهلِ المعاندة والشقاق ، فهذا كتابُ الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [لا تبنى كنيسةٌ في الإسلام ، ولا يُجدّد ما خرُبَ منها] فتدبرْ كتابي ترشدْ إن شاء الله تعالى ما لزمت العملَ به والسلام ، ثم أوقعتُ له بشعرٍ عملتُه في الوقت أخاطبُه به :

إذا أنتَ أعززتَ الهُدى وتبَعتَهُ فأنتَ لهذا الدين عزٌّ كما تُدعى

(١) القلية : الصومعة .

(٢) الشعانين : أصلها السعانين ، عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم : قاموس .

وإن أنتَ لم تحفلْ به وأهنتهُ
فأنت مذلُ الدين تخفِضُه وضعا

فلا تأخذِ الألقابَ زوراً فإنه
لتُسئل عنها يومَ يجمعُكم جمعا

يقال لعزّ الدين : أعززتَ دينه ؟
ويُسئل دين الله عن عزّكم قطعا

فإن شهِد الدين العزيز بعزّكم
تكن مع دين الله في عِزّه شفعا

وإن قال دين الله : كنتُ بملكه
ذليلاً ، وأهلي في ميادينه صرعى

وما زلتُ في سلطانه ذا مهانةٍ
وفي زعمه بي أنه مُحسنٌ صُنعا

فما حجة السلطانِ إن كان قوله
كما قلتُ ؟ فليسكب لما قلته الدّمعا

وأدمِن لبابِ الله إن كنت نبتغي
تجاوزَه عن ذنبك الضربَ والقرعا

عسى جودُه يوماً يجودُ بنفحةٍ
فيبرزُ عفو الله يدفعه دفعا

فيا ربُّ رفقاً بالجميع فيا لها
إذا إجتمع الخصمان من وقعةٍ شنعا

فأنتَ إمامُ المتقين وراسُهم
إذا لم تزل تجبرُ الدينِ الهدى صدعا

لكم نائبٍ في الأمر أصبح مُلحدا
وأضحى لأهل الدين يقطعُهم قطعا

فما لكَ لم تغلبه واسمُك غالبٌ
وما لكَ لم تعزله إذ أثرٌ النّقعا

فيا أيها السلطانُ حقق نصيحتي
لكم وارعني منكم لما قلتُه سمعا

فإني لكم واللهِ أنصحُ ناصحٍ
أذودُ الرّدى عنكم وأمنعُه منعا

وأجلبُ للسلطانِ من كلّ جانبٍ
من الدّين والدنيا العوارفَ النّفعا

وَالله ينفعني بوصيتي ، وَيجازيني على نيتي ، وَالسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وحسبُنا الله .

وصايا :

من منشور الحكم وميسور الكَلِم ، تنسبُ إلى جماعةٍ من العلماء والصالحين : من إكتفى باليسير إستغنى عن الكثير ، من صحّ دينه صح يقينه . منَ إستغنى عنَ الناسْ أمنَ منْ عوارض الإفلاس . الدين أقوى عصمةٍ ، وَالأمن أسنى نعمةٍ . الصبر على المصائب من أعظم المواهب . عش ما عشت في ظلّ يقيك ، وقوتٍ يكفيك . البخيل حارس نعمةٍ ، وخازن ورثةٍ . من لزم الطمعَ عدِم الورع . الحسدُ شرُّ عرض ، والطمعُ أضرُّ

غرض . الرّضا بالكفاف خيرٌ من السعي للأشراف . أفضل الأعمال ما أعقبَ الأجر ، وأنفع الأموال ما أوجبَ الشكرَ ، لا تثق بالدّولة فإنها ظلٌّ زائل ، ولا تعتمدْ على النعمة فإنها ضيفٌ راحل . ما لكَ إلاّ ما زجّى[1] يوميك وتوفر أجرُه وثوابه عليك . الكريمُ من كفّ أذاه ، والقويُّ من غلب هواه . من ركبَ الهوى أدركَ العمى . من غالبَ الحقّ لانَ ، ومن تهاون بالدين هانَ . المؤمن غرٌّ[2] كريم ، والمنافق خبٌّ[3] لئيم . إذا ذهب الحياءُ يُحلُّ البلاء . كلُّ إنسان طالبُ أمنية ، ومطلوبٌ لمنيّةٍ . علمٌ لا ينفع كدواءٍ لا ينجح . أحسنُ العلم ما كان مع العمل ، وأحسنُ الصمت ما كان عن الخطل[4] . إعصِ الجاهلَ تسلم ، واطعِ العالم تغنم . من صبر على شهوته بالغ في مرؤته . من كثُر إبتهاجه بالمواهب إشتدّ إنزعاجه للمصائب . من تمسّك بالدين عزّ نصره ، ومن إستظهرَ بالحقّ ظهر قهرُه . من إستقصر بقاءه وأجله قصّر رجاءه وإمله . لا تبت على غير وصية ، وإن كنتَ من جسمك في صحة ، ومن عمرُك في فسحة ، فإن الدّهر خائنٌ ، وما هو كائنٌ كائنٌ . لا تخلُ نفسك من فكرةٍ تزيدكِ حكمةً ، وتُفيدك عصمة . من جعل ملكه خادماً لدينه إنقادَ له كلُّ سلطان ، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان . من سلك سبيلَ الرّشاد بلغ كُنه المرادَ . من لزمَ العافية سلم . ومن قبل النصيحة غنم . قلبٌ تأثّر من صادقٍ مؤثر . حدثنا الزكي أحمد بن مسعود بن شدادٍ المقري الموصليُّ بالموصل ، سنة إحدى وستمائة ، وكان ثقةً ، قال : حدثنا أبو جعفر بن القاضي ، قال : حدثنا يوسف بن أبي القاسم الدّيار بكري ، حدثنا جمالُ الإسلام أبو الحسن عليُّ بن أحمد القرشيُّ الهكاري ، حدثنا أبو الحسن الكرخيُّ ، حدثنا أبو العباس أحمد بنِ محمد بن الفضل النهاونديُّ ، قال : سمعتُ شيخي محمد بن جعفرٍ الخلديَّ يقول : كنتُ مع الجنيد رحمه

---

(١) زجى : كفى ، وتزجى بكذا : اكتفى به . مختار الصحاح .

(٢) الغر : الشاب الذي لا يخدع غيره .

(٣) الخب : بالفتح ، والكسر ـ الرجل الخداع . مختار الصحاح .

(٤) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب . مختار الصحاح .

الله في طريق الحجاز ، حتى صرنا إلى جبل طورسينا ، فصعدَه الجنيدُ وصعدنا معه ، فلما وقفنا في الموقف الذي وقف فيه موسى عليه الصلاة والسلام ، وقعتْ علينا هيبةُ المكان ، وكان معنا قوّال ، فأشار إليه الجنيدُ أن يقول شيئاً فقال : [شعر] :

وبدا لهُ من بعدِ ما إندملَ[1] الهوى | برقٌ تألّقَ موهناً لمعانُهُ
يبدو كحاشيةِ الرِّداء ودُونَه | صعبُ الذرُا متمنعاً أركانُه
فبدَا لينظرَ كيف لاحَ ؟ فلم يُطقْ | نظراً إليه وصدّه سبحانه
فالنار ما إشتملت عليه ضلوعُه | والماءُ ما سمحتْ به أجفانُهُ

قال : فتواجدَ الجنيدُ وتواجدنا معه ، فلم يدرِ أحد منا : أفي السماء نحن أم في الأرض ، وكان بالقربِ منا ديرٌ فيه راهبٌ ، فنادانا : يا أُمةَ محمدٍ ، بالله أجيبوني ، فلم يلتفت إليه أحد لطيْبِ الوقت ، فنادانا الثانيةَ : بدين الحنيفيةِ إلاّ أجبتُموني ، فلم يُجبه أحدُ منا ، فنادانا الثالثةَ بمعبُودِكم ألا أجبتموني ، فلم يردّ عليه أحدُ جواباً ، فلما فترنا من السماع وهمَّ الجنيدُ بالنزول ، قلنا له : إن هذا الراهبَ نادانا وأقسمَ علينا ، ولم نردّ عليه ، فقال الجنيد : إرجعوا بنا إليه ، لعل الله أن يهديه إلى الإسلام ، فناديناه فنزل إلينا وسلم علينا ، فقال : أيّما منكنم الأستاذ ؟ فقال الجنيد : هؤلاء كلهم ساداتٌ واستاذون ، فقال : لا بدّ أن يكون واحدٌ هو أكبرُهم ، فأشاروا إلى الجنيد ، فقال : أخبرني عن هذا الذي فعلتموه ، هل هو مخصوصٌ في دينكم ، أو معموم ؟ فقال : بل مخصوصٌ ، فقال الراهب : لأقوامٍ مخصوصين ، أم معمومين ؟ فقال : بل لأقوامٍ مخصوصين ، فقال : بأي نية تقومون ؟ فقال : بنية الرجاء والفرحِ بالله تعالى ، فقال : بأي نيةٍ تسمعون ؟ فقال : بنيةِ السماع من الله تعالى ، فقال : بأي نية تصيحون ؟ فقال : بنية إجابة العبوديةِ للربوبية ، لمّا قال الله تعالى للأرواحِ ﴿ألستُ بربّكم ؟ قالوا : بلى

(١) اندمل الجرح : تماثل وتراجع إلى البرء . مختار الصحاح .

شهدنا﴾[1] قال : فما هذا الصوت ؟ قال : نداءٌ أزليٌّ ، قال : بأي نية تقعدون ؟ قال : بنية الخوفِ من الله تعالى ، قال : صدقتَ ، ثم قال الراهب للجنيد : مُدّ يدك ، أنا أشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وأسلم الراهب وحسُن إسلامه ، فقال له الجنيد : بِمَ عرفتَ أني صادقٌ ؟ قال : لأني قرأت في الإنجيل المُنزلِ على المسيح بن مريم خواصُّ أمةِ محمد ﷺ : يلبسون الخرقة ، ويأكلونَ الكِسرة ، ويرضون بالبُلغة ، ويقومون في صفاءِ أوقاتهم ، بالله يفرحون ، وإليه يشتاقون ، وفيه يتواجدون ، وإليه يرغبون ، ومنه يرهبون ، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ، ثم مات ، رحمه الله تعالى .

وصايا في القول :

سمعتُ محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميَّ الغاسيَّ العدلَ ، بمدينة فاس ، أظنُّ في سنةِ أربعٍ وتسعين وخمسمائة يقول : تكلم أربعةٌ من الملوك بأربعِ كلماتٍ ، كأنما رُميتْ عن قوسٍ واحدة ، قال كسرى : أنا على رَدِّ ما لَمْ أقُل أقوى مني على رَدّ ما قلتُ ، وقال ملك الهند : إذا تكلمتُ بكلمةٍ ملكتني وإن كنت أملِكُها ، وقال قيصر ملك الروم : لا أندمُ على ما لم أقلْ ، وقد ندمت على ما قلت ، وقال ملك الصين : عاقبةُ ما قد جرى به القول أشدُّ من الندمِ على تركِ القولِ . قال بعض الشعراء :

لعمرك ما شيءٌ علمتُ مكانه ... أحقُّ بسجنٍ من لسانٍ مذلَّلِ
على فيك مما ليس يعنيك قوله ... بقفلٍ شديدٍ حيثما كنتَ أقفِلِ

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: خلالُ المكارم عشر ، تكون في الرجل ولا تكون في إبنه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيّده : صِدق الحديث ، وصِدق الناسِ ، وإعطاء السائلِ ، والمكافأة بالصنائع ، والتذممُ

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧١ .

للجار ، ومراعاة حقّ الصاحب ، وصلة الرحم ، وقِرَى الضيف ، وأداء الأمانة ، ورأسهن : الحياء ، وقال بعضهم : كتمانك سرك يُعقبك السلامة ، وإفشاؤك سرك يُعقبك الندامةَ ، والصبر على كتمان أيسر من الندم على إفشائه .

وفي الحكمة ما أقبحَ بالإنسان أن يخافَ على ما في يده فيخفيه من اللصوص ، ويمكّن عدوه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سر نفسه ، أو سرِّ أخيه .

جاور معي بمكة ـ أظنُّ سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائة ـ رجلٌ من أهل تونس يقال له : عبد السلام بن السّعدية ، وكانت عنده جاريةٌ إشتراها بمصر في الشدة التي وقعت بمصرَ سنة سبعٍ وتسعين وخمسمائة ، فقال لها : يا جارية أوصيك بأمرين : حفظ السر ، والأمانة ، فقالت الجارية : ما تحتاجُ ، فإني أعلم أن الشخص إذا كان أميناً شارك الناس في أموالهم ، وإذا كان حافظا للسر شاركهم في عقولهم ، فاستحسن هذا الجوابَ منها ، فسأل عنها فوجدها حُرّة قد بيعت في غلاءِ مصرَ ، فأعتقها وسرّحها ، فرجعت إلى أُمها وأخواتها ، وقال معاوية : ما أفشيت سرّي إلى أحدٍ إلاّ أعقبني طولَ الندم ، وشدّة الأسف ، ولا أودعته جوانحَ صدري إلاّ أكسبني مجداً وذكراً وسناءً ورِفعة ، فقيل له : ولا عمرو بن العاص فقال : ولا عمرو بن العاص لأن عمرو بن العاص كان صاحبَ رأي معاوية ومشيرَه ووزيره ، وكان يقول : ما كنتَ كاتمه من عدوك فلا تُظهر عليه صديقك ، يريد ـ والله أعلم ـ معاوية بهذا الكلام . وكان يُنشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد ابن خلف بن صاف اللخمي أُستاذي في القراءات بقوس الحنية من إشبيلة ، رحمه الله يوصينا بذلك :

إحذر عدوّك مرةً ... واحذر صديقك ألفَ مرّهْ
فلربما هجرَ الصديق ... فكانَ أعرفَ بالمضرّهْ

وكان عمي أخو والدي يُنشدني كثيراً للشميس :

زمانٌ يمرُّ وعيشٌ يمرُّ ... ودهرٌ يكرُّ بما لا يُسرُّ

ونفسٌ تـذوب وهـمٌّ يـنـوب ودنيـا تنـادي بـأن ليسَ حـرُّ

ومن كلام النبوة في الوصية : من كتم سرّه كانت الخيـرة في يده ، ومن عـرّض نفسه للتهمـة فلا يلومنّ من أساء به الـظن ، وضـعْ أمـرَ أخيـك على أحسنه ، ولا تظننّ بكلمةٍ خرجت منه سوءاً ، ومـا مكافـأة من عصى الله فيك بأفضلَ من أن تطيعَ الله عز وجل فيه ، وعليك بـإخوان الصـدقِ ، فإنهم زينـةٌ عند الرخاء ، وعصمة عند البلاء .

حكاية : تتضمن وصية في الثقة بـالله بالمضمـون ، حدثني أبـو القاسم البجايي بمراكش ، عن أبي عبد الله الغزّالِ العـارفِ ـ الذي كـان بالمـريّة[1] من أقـران أبي مـدين ـ وأبي عبـد الله الهـواري بتنيس ، وأبي يعـزى ، وأبي شعيب السارية ، وأبي الفضل اليشكري ، وأبي النجاءِ ، وتلك الطبقـه ، قال أبـو عبد الله الغـزّال : كـان يحضـر مجلس شيخنـا أبي العبـاس بن العـريف الصنهاجيّ رجلٌ لا يتكلم ولا يسأل ، ولا يصحب واحداً من الجمـاعة ، فـإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج ، فلا تراه قط إلاّ في المجلس خاصةً ، فوقع في نفسي منه شيءٌ ، ووقعت منـه عليّ هيبـةٌ ، وأحببت أن أتعـرّف بـه وأعـرف مكانه ، فتبعته عشية يومٍ بعد إنفصالنا من مجلس الشيخ ، من حيث لا يشعر بي ، فلمـا كان في بعض سكـك المدينـة ، إذ بشخصٍ قـد إنقض عليـه من الهواءِ برغيفٍ في يـده ، فناولـه إياه وانصـرف ، فجذبتـه من خلفه ، فقلت : السلام عليك ، فعرفني ، فرد علي السلام ، فسألته عن ذلك الشخص الـذي نـاوله الـرغيف ، فتوقف ، فلمّـا علم مني أني لا أبرح دون أن يُعـرفني ، قال لي : هو مَلَك الأرزاق يأتي إليّ من عنـد الله كلّ يـومٍ بما قُـدّر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي ، ولقـد لطف الله بي في بـدء أمري ودخـولي هـذا الـطريقَ ، كنتُ إذا فرغتْ نفقتي وبقيت بـلا شيء ، سقط عليّ من الهوء بين يدي قدْر ما إشتري به ما أحتاج إليه من القوتِ ، فأنفق منه ، فإذا فرغ جاءني

(١) المرية : في الأندلس .

في مثل ذلك من عنـد الله ، لكني ما كنت أرى شخصـاً ، قال الله تعـالى في حق مريم بنتِ عمران (كلما دخل عليها زكريـا المحرابَ وجـدَ عندهـا رزقاً ، قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله)(١) .

حكاية : حُرمةٍ في سلبِ نعمةٍ ، مرّ زيـاد ابن أبيه بـالحيرة ، فنظرَ إلى ديرٍ ، فقال لخادمه : لمن هـذا ؟ قال : ديـر حرقـةَ بنتِ النعمان بن المنـذر ، فقال : ميلوا بنا إليه لنسمـع كلامها ، فجاءت فوقفتْ خلفَ البـاب ، فكلمها الخادم فقال لها : كلمي الأمير ، قالت : أُوجز أو أطيل ؟ قال : بل أوجزي ، قالت : كنا أهلَ بيتٍ طلعتِ الشمس علينا ، ومـا على الأرض أحدٌ أعـزّمنا ، فمـا غربتْ تلك الشمس حتى رحمنـا عدوُّنـا ، قال : فـأمرَ لهـا بـأوسـاق من شعيـر ، فقـالت : أطعمتـك يـدٌ شبعـاءُ جـاعتْ ، ولا أطعمتـك يـدٌ جـوعـاء شبعتْ ، فسُرَّ زيادٌ بكلامها ، فقال لشاعرٍ معه قيّـد هذا الكـلامَ ، لا يُدرس ، يعني : أنظمه ، فقال :

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قـدماً ولا تسـلْ فتىً ذاقَ طعمَ الـخيـرِ مُـنــذ قـريبِ

ونظمنا نحن هذا المعنى :

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ إن كنتَ سـائلاً ولا تسـألِ المعروفَ من مُحدثِ المالِ
وإن اليـدَ الجـوعــاء تبخـل بــالـذي أصابته من خيـرٍ على الكاسفِ البـالي
فـإن غلِطتْ جـادت ، وتمنُن بـالـذي تجود به يـوماً على التِـرب(٢) الحالي
وإن اليـدَ الشبعـاءَ جـادت بمـا تجُـد على طيّبِ نفس في ســرورٍ وإقبـالِ

وفي الحكمة ثواب الجود خلفٌ ومحبةٌ ومكافأة ، وثواب البخل حـرمانٌ وإتلافٌ ومذمةٌ ، وكتب حكيمٌ إلى الإسكندر : إعلم أن الأيـام تأتي على كـلّ شيء فتُخلقه ، وتخلق آثاره ، وتميت الأفعال إلاّ ما رسـخ في قلوب الناس ، فـأودعْ قلوبهم محبةً أبـديةً يبقى بهـا حسن ذكرك ، وكـريم فعالـك ، وشـرف

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٧ .
(٢) الترب : الفقير .

آثارك . ولقد وفد علينا ونحن باشبيلية شيخٌ شاعرٌ يعرف بالسبتي من قرطبة رحمه الله ، ولم يكن للسبتي موضعٌ ينزل فيه ، فكتب إلى صاحب الديوان أبي عبد الله بن كعب :

أتحفل بالفرزدقِ والكميتِ وفي قيد الحيا شعر السُّبيتي ؟
يروّعني بشعرهما أناسٌ وجهلاً رَوّعوا حيّاً بميتِ
لئن أسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي ألفَ بيتِ

فوقّع له صاحب الديوان ببيتٍ نزل فيه ، واعتذر إليه ووصله بنفقة . قيل لبزرجمهر حينما قُدّم للقتل : تكلم بكلامٍ تُذكر به ، فقال : أيَّ شيء أقول ؟ إن الكلام كثيرٌ ولكن إن أمكنك أن تكونَ حديثاً حسناً فافعل ، ولنا :

إنما الناس كلامٌ بعدهم (١) فلتكن خيرَ حديثٍ يُسمع

خاتمة الباب :

وهو خاتمة الكتاب (٢) . تعويذات مذكورة ، وأدعية مشهورة . فمن ذلك ما يقال عند الكرب [لا إله إلاّ الله العظيم الحليم ، لا إله إلاّ الله ربُّ العرش العظيم ، لا إله إلاّ الله ربُّ السموات السبعِ والأرضِ ربُّ العرش الكريم] ويُقال عند دخول المسجد [اللهم إفتح لنا أبوابَ رحمتك] ويُقال عند الخروج منه [اللهم إنا نسألك من فضلك] ويُقال عند دخول الخلاء [اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث] وقد روينا أيضاً أنه يُقال [أعوذ بالله من الخبيثِ المخبث ، الرِّجسِ النِّجس الشيطانِ الرجيم] ويُقال عند عند الخروج من الخلاء [غفرانَك] ويُقال عند الجماع [اللهم جنِّبنا الشيطانَ ، وجنِّبِ الشيطان ما رزقتنا] ويُقال عند إنقضاء الطعام [الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، غير مكفى (٣) ولا مودِّعٍ (٤) ولا مستغنىً عنه ربُّنا] ويُقال عند

(١) كلهم ، نسخة .
(٢) يعني به كتاب الفتوحات المكية .
(٣) الذي في نهاية ابن اوثير : غير مكفور .
(٤) أي : غير متروك الطاعة .

العطاس [الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، مباركاً عليه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى] ويُقال عند النوم إذا أخذ الإنسان مضجعه [اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوّضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رهبةً منك ، ورغبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلتَ ، اللهم باسمك أحيا ، وباسمك أموت ، سبحانك ربي ، بك وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] . ويُقال عند الإستيقاظ من النوم [الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور] وإذا أردتَ النوم فانوِ أن تلقى ربك ، ولتحبّ النوم لكون لقاء ربك فيه ، كما تحبُّ الموت فإن فيه لقاء ربك ، فإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، و ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مُسمى﴾ [1] فالنوم موتٌ أصغر ، والذي ينتقل إليه بعد الموت هو الذي ينتقل إليه في النوم ، واحدة ، وهي : البرزخُ ، والصورة واحدة ، واليقظة مثل البعث يوم القيامة ، وإنما جعل الله النوم في الدنيا لأهلها ، وما نرى فيه من الرؤيا ، وجَعل بعده اليقظة ، كلُّ ذلك ضربُ مثالٍ للموت وما يشاهد فيه من الرؤيا والبعث لليقظة ، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء .

ويُقال عند الصباح [أصبحنا وأصبح الملك لله وحده ، والحمد لله وحده ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم إني إسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده] ويُقال عند المساء [أمسينا وأمسى الملك لله وحده ، والحمد لله وحده ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم إني أسألك خيرَ هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما بعدها] ويُقال عند القيام من كل مجلس

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٤٢ .

[سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك] ويُقال عند خاتمة المجالس اللَّهُمَّ أسمعنا خيراً وأطعمنا[1] خيراً ، ورزقنا الله العافية وأدامها لنا ، وجمع الله قلوبنا على التقوى ، ووفّقنا لما يحب ويرضى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[2] .

هذا الدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري ، وذلك سنةَ تسعٍ وتسعين وخمسمائة بمكة ، بين بابِ الجزورة وباب أجياد ، وكان يقرؤه الرجلُ الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمساني ، وهو الذي كان يقرأ عليَّ كتابَ الإحياء لأبي حامد الغزالي ، وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد ، وهو أن يقول لها : أنتِ طالقٌ ثلاثاً ، فقال لي ﷺ : [هي ثلاثٌ كما قال ، فلا تحل له حتى تنكحَ زوجاً غيره] فكنت أقول : يا رسول الله ، يا رسول الله ، إن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة ، فقال ﷺ : [هؤلاء حكموا بما وصل إليهم ، وأصابوا] ففهمت من هذا تقريرَ حكم : كل مجتهد وأن كل مجتهد مصيبٌ ، فكنت أقول له : يا رسول الله ، فما أُريد في هذه المسألة إلاّ ما تحكم به أنت إذا إستُفتيت ، وما لو وقعَ منك ما كنت تَصنع ؟ فقال : [هي ثلاثٌ كما قال ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره] فرأيت شخصاً قد قام من آخر الناس ورفع صوته ، وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ ، يقول له : يا هذا [بهذا اللفظ] لا نحكُمُك بإمضاء الثلاث ، ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردوها إلى واحدة ، ـ فاحمرَّ وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم ـ ، ورفع صوته يصيح [هي ثلاث كما قال ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، أتستحلون الفروج] ؟

---

(١) وأطلعنا ، نسخة .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٦ .

فما زال رسول الله ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى أسمعَ من كان في الطواف من الناس ، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل حتى ما بقي منه على الأرض شيء ، فكنت أسأل عنه ، مَن هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ ؟ فيُقال لي : هو إبليس لعنه الله ، واستيقظت ، وكنت أراه ﷺ في تلك السنة في النوم أيضاً ، فكنت أقول له : يا رسولَ الله إن الله يقول في كتابه العزيز : ﴿والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ ثلاثَةَ قُروء﴾[1] والقرءُ عند العرب : من الأضداد ، يُطْلقونه ويريدون به الحيض ، ويطلقونه ويريدون به الطهر ، وأنت أعرفُ بما أنزلَ الله عليك ، فما أراد الله به هنا : الحيضَ أو الطهر ؟ فكان رسول الله ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك [إذا فَرغَ قُرؤها فأفرِغوا عليها الماء ، وكلوا مما رَزَقكم الله] فكنتُ أقولُ : يا رسول الله فإذا هو الحيضُ ، يا رسول الله ، فيقول لي [إذا فرغ قُرؤها فأفرغوا عليها الماء ، وكلوا مما رزقكم الله] ثلاثَ مرات واستيقظتُ .

ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من الدعاء : [اللهم إغفر لي خطاياي ، وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلمُ به مني ، اللهم إغفرْ لي جِدّي وهزلي وخطئي وعمدي ، وكلُّ ذلك عندي ، اللهم إغفرْ لي ما قدمتُ وما أخّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنت ، وما أنتَ أعلمُ به مني ، أنتَ المُقَدِّم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم أصلحْ لي ديني الذي هو عِصمة أمري ، وأصلحْ لي دنيايَ التي فيها معاشي ، وأصلحْ لي آخرت التي إليها معادي واجعلِ الحياة زيادةً لي في كلِّ خير ، واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍ ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم آتِ نفسي تقواها ، وزكّها أنت خيرُ من زكّاها ، أنت وليُّها ومولاها .

اللهم إني أعوذُ بك من فتنةِ القبرِ وعذاب النار ، ومن فتنة النار ، وعذاب القبر ، ومن شرِّ الغنى ، ومن شرِّ فتنة الفقر ، وأعوذ بكَ من فتنة

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٨ .

المسيح الدجال ، اللهم أعوذ بك من العجْز والكسل ، والجُبن والفزع ، والهرم والبخل وأرذلِ العمر ، ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء وشماتة الأعداء ، ودَرْك الشقاء ، اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَن ، وضَلَع الدّين[1] ، وغلبة الرجال .

اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والمذلة ، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، ومن جميع سخطك ، اللهم إني أعوذ بك من الشِّقاق والنفاق ، ومن سوء الأخلاق ، اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئستِ البطانة .

اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيِّىء الأسقام ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ القرين ما ظهر منه وما بطن ، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، اللهم إني أعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، لا إله إلاّ أنت أستغفرك اللهم ربنا وأتوب إليك . اللهم كلٌّ ما سألتك فيه ومنه فإني أسألك ذلك كلّه لي ولوالديّ ، ولرحمي ، وأهلي ، وقرابتي وجيراني ، ومن حضرني من المسلمين ، ومن عرفني ، أو سمع فذكرني[2] ، أو لم يعرفني ، ولوالديهم وأبنائهم ، وإخوانهم ، وأزواجهم ، وعشيرتهم ، وذوي رحمهم ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياءِ منهم والأموات ، ومن ظنّ بي خيراً ، أو لم يظنّ بي خيراً ، إنك واهب الخيرات ودافع المضرات ، وأنت على كلِّ شيء قدير ، اللهم إني قد تصدقتُ بعِرضي ومالي وديني[3] على عبادك ، فلا أطالبُهم بشيء من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وأنت الشاهدُ عليَّ بذلك ، وصلِّ وسلم على محمد ، وعلى آل محمّد، وبارك على محمّد ، وعلى آل محمّد كما صليتَ وسلمت وباركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد ، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيقة ، والمقام المحمود

(١) أي ثقل الدين .

(٢) بذكري ، نسخة .

(٣) ودمي ، نسخة .

الذي وعدته ، إنك لا تخلفُ الميعاد ، واجزه عنا وعن أُمته خيراً ، فلقد بلّغ ونصح ، وبذل جُهده في ذلك ما قصّر ،ﷺ ، ربِّ إجعل هذا بلداً آمناً ، وارزق أهله من الثمرات

ربنا تقبلْ منّا إنك أنت السميع العليم ، وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أُمةً مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، ربنا وابعث فينا وارث رسولك منا ، يتلو علينا آياتك ، ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا إنك أنت العزيز الحكيم ، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً ، وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ، ربنا أفرغ علينا صبراً وثبتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، غفرانك ربنا وإليك المصير ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحْمِل علينا إصراً كما حملتَه على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقةَ لنا به ، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامعُ الناس ليوم لا ريبَ فيه ، إن الله يُخلف الميعاد ، ربنا وآتنا ما وعدتنا بيسرٍ منك ، في عافية ، حسبُنا الله ونعم الوكيل ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقِنا عذابَ النار ، ربنا إنك من تدخلِ النار فقد أخزيتَه وما للظالمين من أنصار ، فلا تجعلْنا منهم . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا وصدّقنا وسمعنا وأطعنا بتوفيقِك ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنّا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلك ولا تُخْزنا يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد ، ربنا ظلمنا أنفُسنا وإن لم تغفر لنا وترحمْنا لنكونن من الخاسرين ، ربنا إغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعلْ في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، أنت وليُّنا فاغفرْ لنا وارحمنا وأنت خيرُ الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هُدْنا إليك ، ربنا آمنّا بما أنزلت ، واتبّعنا الرسول بالإيمان بما جاء به فاكتبنا مع الشاهدين .

ربِّ إجعلْ هذا البلدَ آمناً ، واجنُبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام، ربنا إني

أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعلْ أفئدةً من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ، الحمد لله . ربِّ إجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبلْ دعاء ، ربنا إغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يومَ يقومُ الحساب ، ربِّ إرحمْ والديّ كما ربياني صغيراً ، رب إني وهن العظمُ مني ، واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً ، ربِّ مسّني الضُرُّ وأنت أرحم الراحمين ، لا إله إلّا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين ، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ، ربِّ إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً ، ربِّ إغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات ، اللهم خذ بأزمّة قلوبنا إليك ، واجعلنا ممن توكلَ واعتمدَ في جميع أموره عليك ، وعمّنا بالرحمة التي لديك وفي يديك ، واجعلنا هادين مَهديين ، غير ضالّين ولا مضلين .

إنتهى الباب[1] . بإنتهاء الكتاب[2] . على أمكن ما يكون من الإيجاز والإختصار .

قال الشيخ : وهذا هو الأصل بخطي ، فإني لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودةً أصلاً ، وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفرَ سنةَ تسعٍ وستين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين آمين .

الحمد لله الذي قال في كتابه المنزلِ على نبيه المرسل ﴿ولقد وَصَّينا الذين أوتوا الكتابَ من قبْلِكم وإياكم أنِ إتّقوا الله﴾[3] ، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد الذي بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصحَ الأمة ، وجاهد

---

(١) وهو الباب الموفي ستين وخمسمئة ، ويعني بالباب : كتابه هذا الوصايا رضي الله تعالى عنه .

(٢) يعني به كتاب الفتوحات المكية .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ١٣١ .

في الله حق جهاده ، وبلَغ من الكمال منتهـاه ، وعلى آله وأصحـابه المتـأدبين بآدابه ، المتمسكين بسنتـه ، المقتدين بهـداه ، وعلى كلِّ سـالك مسلكهم ، وناهج منهجهم في إبتغاء مرضاة مولاه ، وبعد فقد تم بعون الله وحسن توفيقه طبـع آخر أبـواب الفتوحـات المكية ، المحتـوي على وصايـا إلهية ونبـوية ، ونصائح حكَمية ، ومواعظَ مؤثّرة مَرْضية ، لمنبع الفيوضات الربانيـة والمعارف الصمـدانية ، صـاحب الأحوال والمقـامـات العليـة ، والكشـوفـات الـظاهـرة الجلية ، الشيخ الأكبـر المربي ، محي الملة والـدين ابن عربي ، قـدس سره وأفيض بره .

خاتمة

[وفي ختام هذا الباب الذي هو آخر أبواب الكتاب نثبت للقـراء الكرام عقيـدة المؤلف العارف بـالله تعالى الشيخ محي الـدين ابن عـربي رضي الله تعـالى عنه ، التي ذكـرها في الجـزء الأول من كتـابـه ـ الفتـوحـات المكيـة ـ صحيفة٣٦ ـ . طبع دار الكتب العربية الكبرى نذكرها للقارىء بالحرف] .

[فيا إخوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم ، أشْهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى ، في كل لحظة وطرفة ، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه ، أشهـدكم على نفسه ، بعـد أن أشهد الله تعـالى وملائكتـه ، ومن حضـره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد ، لا ثـاني له في ألوهيته ، منزه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريـك له ، ملك لا وزيـر له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير إفتقار إلى موجـد يوجـده ، بل كـل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده ، فالعالم كله موجـود به ، وهـو وحده متصف بالوجود لنفسه ، لا إفتتاح لوجوده ، ولانهاية لبقائـه ، بل وجـود مطلق غير مقيد ، قائم بنفسه ، ليس بجـوهر متحيـز فيقدّر لـه المكان ، ولا بعـرض فيستحيـل عليه البقـاء ، ولا بجسم فتكون لـه الجهـة والتلقـاء ، مقـدس عن الجهات والأقطار ، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء ، إستوى على عرشـه كما قاله ، وعلى المعنى الذي أراده ، كما أن العـرش وما سـواه به إستـوى ، وله

الآخرة والأولى ، ليس له مثل معقول ، ولا دلت عليه العقول ، لا يحده زمان ، ولا يُقِلُّه مكان ، بل كان ولا مكان ، وهو على ما عليه كان ، خلق المتمكن والمكان ، وأنشأ الزمان ، وقال : أنا الواحد الحيُّ لا يؤوده[1] حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يُقال : كان ولا شيء معه ، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه ، فهو القيوم الذي لا ينام ، والقهار الذي لا يرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حدَّ الإستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرضَ والسموات العلى ، إخترع اللوحَ والقلمَ الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كله على غر مثال سبق ، وخلق الخلق ، وأخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرك ذرة إلاّ إليه وعنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق .

فهو الأول والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو على كل شيء قديرٌ ، أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كلَّ شيء عدداً ، يعلم السرّ وأخفى ، يعلم خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ؟ ﴿ألا يعلم من خَلق وهو اللطيف الخبير﴾[2] علم الأشياء ، منها قبل وجودها ثم أوجدها على حدّ ما علمها فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدد له علمٌ عند تجدد الإنشاء بعلمه ، أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكم عليها من شاء وحكمها ، ععلم الكلياتِ على الإطلاق ، كما علم الجزئيات بإجماعٍ من أهل النظر الصحيح واتفاقٍ ، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما شركون ، فعّال لما يريد ، فهو المريدُ الكائنات في عالم الأرض والسموات ، لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده ، كما أنه لم يرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن

(١) آده الحمل : أثقله .

(٢) سورة الملك ؛ الآية : ١٤ .

يريد ما لا يعلم ، أو يفعلَ المختارُ المتمكنُ من تركِ ذلك الفعل ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي ، كما يستحيل أن تقوم الصفاتُ بغير ذاتٍ موصوفةٍ بها ، فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيان ، ولا ربحٍ ولا خسران ، ولا عبدٌ ولا حر ، ولا برد ولا حرٌ ، ولا حياة ولا موتٌ ، ولا حصولٌ ولا فوت ، ولا نهار ولا ليلٌ ، ولا إعتدالٌ ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شَفع ولا وِتر ، ولا جوهر ولا عرَض ، ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترَح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلامٌ ولا ضياء ، ولا أرضٌ ولا سماء ، ولا تركيبٌ ولا تحليل ، ولا كثيرٌ ولا قليل ، ولا غداةٌ ولا أصيلٌ ، ولا بياضٌ ولا سواد ، ولا رقادٌ ولا سهاد ، ولا ظاهرٌ ولا باطن ، ولا متحركٌ ولا ساكن ، ولا يابسٌ ولا رطب ، ولا قِشر ولا لبٌ ، ولا شيءٌ من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات منها والمتماثلات إلاّ وهو مرادٌ للحق تعالى ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ؟ فكيف يوجدُ المختارُ ما لا يريد ؟ لا رادَّ لأمره ، ولا مُعقّب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزُّ من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويُضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ما شاء كان ، وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو إجتمع الخلائقُ كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يرد الله تعالى إيجادَه ، وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ولا إستطاعوا على ذلك ، ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان ، والطاعةُ والعصيان من مشيئته وحُكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً - والعالَم معدوم غيرُ موجود - وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثم أوجد العالَم من غير تفكرٍ ولا تدبرٍ عن جهل أو عدم علم ، فيعطيه التفكرُ والتدبُر علم ما جهل ، جلّ وعلا عن ذلك ، بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه ، من زمان ومكان وأكوانٍ وألوان ، فلا مريدَ في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائلُ سبحانه ﴿وَما تشاؤونَ إلاّ أنْ يشاء الله﴾(١) .

---

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٣٠ . وسورة التكوير ، الآية : ٢٩ .

وإنه سبحانه كما علِم فأحكم وأرادَ فخصّص . وقدّر فأوجد ، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن ، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجُب سمعه البعدُ فهو القريب ، ولا يحجُب بصره القربُ فهو البعيد ، يسمع كلام النّفس في النفس ، وصوتَ المماسّة الخفية عند اللمس ، ويرى السواد في الظلماء ، والماء في الماء ، لا يحجبه الإمتزاجُ ، ولا الظلماتُ ولا النور ، وهو السميع البصير ، تكلم سبحانه لا عن صمتٍ متقدم ، ولا سكوتٍ متوهم ، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته ، من علمه وإرادته وقدرته كلّم به موسى عليه السلام . سماه التنزيلَ ، والزبورَ والتوراة والإنجيلَ ، من غير حروف ولا أصواتٍ ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالقُ الأصوات والحروف واللغاتِ ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسانٍ ، كما أنَّ سمعه من غير أصْمخة ولا آذان ، كما أن بصره من غير حدَقة ولا أجفان ، كما أن إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير إضطرار ولا نظرٍ في برهان ، كما أن حياته من غير بخارٍ تجويف قلبٍ حدث عن إمتزاج الأركان ،

كما أن ذاته لا تقبل الزيادةَ والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيدٍ دانٍ عظيم السلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الإمتنان ، كلُّ ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضلهُ وعدلهُ الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه في ملكه إن أنعمَ فنعَّم فذلك فضله ، وإن أبلى فعذّب فذلك عدله ، لم يتصرف في ملك غيره فينسبَ إلى الجور والحيف ، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ فيتصفَ بالجزع لذلك والخوف ، كلُّ ما سواه تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء ، والآخذُ بها من شاء ، هنا وفي يوم النشور ، لا يحكمُ عدلهُ في فضله ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه ، فالكل تحت

تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان من ذلك في شان ، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد ، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى في الصلاة : هي خمس وهي خمسون ، ما يُبدل القولُ لديَّ وما أنا بظلام للعبيد ، لتصرُّفي في ملكي ، وإنفاذ مشيئتي في مُلكي ، وذلك لحقيقة عمِيَت عنها الأبصارُ والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر ، إلاّ بوهب إلهي ، وجود رحماني ، لمن إعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعلم حين أُعْلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم ، وأنه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلاّ إياه ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1] و ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[2] ﴿فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[3] .

الشهادة الثانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده ، فكذلك أُشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن إصطفاه واختاره ، واجتباه من وجوده ذلك ، سيدنا محمد ﷺ ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه ، وأدى أمانته ، ونصح أمته ، ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه ، فخطب وذكر ، وخوّف وحذّر ، وبشر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطرَ وأرعد ، وما خص بذلك التذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصمد ، ثم قال : [ألا هل بلغت] فقالوا : بلغت يا رسول الله ، فقال ﷺ (اللهم أشهد) وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ مما علمت وما لم أعلم ، فمما جاء به : فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك ،

---

(١) سورة الصافات ؛ الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٤٩ .

كمـا آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق وعـذاب القبر حق ، وبعث الأجسـاد من القبور حق ، والعرض على الله تعالى حق ، والحوض حق ، والميزان حق ، وتطاير الصحف حقٌ ، والصراط حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وفريقاً في الجنة ، وفريقاً في النار حق ، وكرب ذلك اليوم حق على طائفةٍ ، وطائفةٌ أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين ، وإخراجَ أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ، ثم يخرجون منها بالشفاعة والإمتنان حق ، والتأبيد للمؤمنين الموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق ، والتأبيد لأهل النار في النار حق ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلم أو جُهل حق .

فهذه شهادتي على نفسي أمانةعند كلٍّ من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان ، وثبتنا عليه عند الإنتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان ، وأحلّنا منها دار الكرامة والرِّضوان ، وحال بيننا وبين دارٍ سَرابيلها من القَطِران ، وجعلنا من العِصابة التي أخذت الكتبَ بالإيمان ، وممن إنقلب من الحوض وهو ريّان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له على الصراط القدمان ، إنه المُنعم المحسان ، فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق] اهـ .

ملحق مختصر في بيان أدب المريد مع شيخه ، وعمله على عدم تغير قلب شيخه عليه ـ من كتاب النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية . تأليف العالم الأُستاذ الشيخ مصطفى بن إسماعيل حبش المدني رضي الله تعالى عنه .

قال القطب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية ما نصه : أعلم رحمك الله تعالى أن أحداً لم يبلغ قطُّ إلى حالة شريفة إلاّ بملاقاة المشايخ ، ومعانقة الأدب معهم ، وملازمة خدمتهم وذلك لأن طريق القوم طريق غيب غير محسوسة ، فلا يُسلك فيها إلاّ بالقلوب وانقيادها لمربيها ، وقد ذكر الشيخ محي الدين رضي الله تعالى عنه في باب أسرار القوم من الفتوحات المكية أن المريد إذا

صدق مع شيخه كان كلٌ منهما تلميذاً لصاحبه من وجه ، وشيخاً من وجه . لأن ما فُتح به على الشيخ إنما كان ببركة صدق المريد ، وكلُ ما جاء للعبد بواسطة فتلك الواسطة بمرتبة الشياخة .

قال الشيخ الأكبرقُدس سره الأنور : وللشيخ ـ إذا مات المريدُ دون وصوله إلى المقام الذي كان عليه ـ أن ينزل إلى مرتبة المريد ويعمل عليه حتى يصل ، فإذا وصل خلع ذلك على المريد في قبره فيكمله بذلك ويُبعث كاملاً إنتهى . ثم قال الشعراني : ومن صحب الأكابر على غير طريق الإحترام حُرم فوائدهم وبركات نظرهم ،ثم لا يظهر عليه قطُ من آثارهم شيء ولو تكلف هو ذلك ، فإن أفعاله تكذبه .

وفي كلام سيدي الشيخ عبد القادر الجيلني رضي الله تعالى عنه أنه ما لم يكن المريد يعتقد في شيخه كلَّ الإعتقاد لا ينتفعُ به . وكان الإمام أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول : من حُرم إحترامَ الشيوخ إبتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد ، وفي رواية : كلُ مريد جلس مع شيخه على غير الأدب نزع الله تعالى منه نور الإيمانِ . وكان أبو تراب النخشبيُّ رضي الله تعالى عنه يقول : إذا ألِف القلبُ الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياالله تعالى . وكان الإمام أبو القاسم القشيري يقول : لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلاّ قولُ موسى عليه السلام للخضر﴿هلْ أتّبعك على أن تعلمنِ ممّا علمتَ رُشداً﴾ ؟ لكان في ذلك كفاية ، فإن موسى لما أرادَ صحبة الخضر حفَظ شرط الأدب ، فاستأذن أولاً في الصحبة ، ثم شرط عليه الخضرُ أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكمه ، ثم لمّا خالفه موسى تجاوز عنه المرة الأولى والثانية ، فلما صار إلى الثالثة التي هي آخر حدّ القلة ، وأول حدّ الكثرة سيْمه فقال : ﴿هذا فراقُ بيني وبينك﴾ . وكان أبو علي الدقاق يقول : من خالف شيخه في شيء خرج عن طريقه وانقطعَت الوصلة بينه وبينه ولو جمعتهما البقعة . وكان يقول : من صحب شيخاً من الشيوخ ، ثم إعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة . على أن الشيوخ قالوا : عقوق الإستاذين لا توبة عنه . أي تكاد

أن لا تقبل لشدة قبحه . وكان أبو سهل الصعلوك يقول : من قال لإستاذه : لمَ لم يفلح . وكان بعضُ الأشياخ له مجلس في القرآن فأبدله بمجلس قوّال ، ودام على ذلك ، فقال مريدٌ بقلبه : كيف ترك تفسير القرآن وأبدله بكلام البشر ؟ ، فناداه الشيخ : يا فلانْ : من قال لشيخه : لِمَ لم يفلح ، فقال المريد : التوبة .

قلت : ويجاب عن أبي سهل بأنه عدل عن القرآن لعدم وجود الداعية إلى سماعه في ذلك الوقت فلذلك تنزل إلى سماع كلام الخلق إجلالاً لكلام الحَق تبارك وتعالى والله أعلم . وكان أبو جعفر الخلدي يقول : من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه الكلاب التي تؤذيه . وزار أبا يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه مرة سيدي شقيقٌ البلخي وأبو تراب النخشبي رضي الله تعلى عنهما ، فقدّم إليهما السفرة ، فقالا لخادمه : كُلْ معنا يا فتى ، فقال : أنا صائم ، فقال له سيدي أبو تراب : كلْ ولك أجر شهر فأبي ، فقال له سيدي شقيق : كل ولك أجرُ صوم سنة ، فأبى فقال سيدي أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله تعالى ، فسرق ذلك الشاب بعد سنة فقُطعت يده . وسمعت الشيخ الصالح تقي الدين الأشموي يقول كلّ مريد لا يرى خطأشيخه أحسن من صوابه هولم ينتفع به ، وكان سيدي سهل يقول : كان رجلاً مشهوراً بالولاية بالبصرة ، وكان خبازاً فمضى إليه شخص من أصحابي فسافر إليه فوجده مستنقباً خوفاً من شرار النار ، فقال في نفسه : لو كان هذا ولياً لله تعالى ما أحرقه شرار النار ، فقال له الشيخ : يا ولدي إنك إستصغرتني وما بقيت تنتفع بكلامي ، وإلا كنت أفدتك فوائد . فرجع إلى سهل فذكر له القصة ، فقال : ما إستصغر أحدٌ فقيراً إلاّ حرم فوائده ، إرجع إله بالحرمة ، فرجع إليه فانتفع بزيارته . وكان الأشياخ كلهم يقولون : جميع ما حلّ بالحلاج إنما كان من دعوة عمرو بن عثمان المكي عليه .

وكان أبو علي الدقاق يقول : لما نفى أهل بلخ محمدَ بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال : اللهم إمنعهم الصدق في أحوالهم ، فلم يخرج من بلخ بعده صادق ، مع أنها كانت أكثر بلاد الله تعالى صدقية . وكان أحمد بن

يحيى الأبيوردي يقول : تغيّر خاطر الشيخ على المريد يلحقه عقوبة ولو بعد موت الشيخ .

وكان الشيخ داود بن باخلا شيخ سيدي محمد وفا يقول : لا يصح من مريد أن مجازي أستاذه أبداً ، لأن ما إستفاده منه لا يقابل بالأعواض .

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول : إياكم والإعتراضَ على الأشياخ ، واصبروا تحت جفائهم لكم . وما قال شيخ للمريد قطُّ جاء يطلب الطريق : قف ساعة إلّا لما رآه من قلة أدب المريد ، ولو رأى عنده أدباً لبادر لأخذ العهد عليه ، فإن المريد لو أتى الشيخ بهمة وهي متوقدة لم يجز له أن يقول له : قف ساعة ، لأنه يطفىء نار عزمه .

وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول للمريد : يا ولدي ألق حبلك وأسبابك وكلَّ ما إعتمدت عليه من معمولاتك ومعلوماتك بين يدي شيخك ، حتى يلقمها حكمه وحكمته ، فلا يبقى لك عمدة إلّا على حقه ، ولا تتوصل إلى خير إلّا بصدقه ليسري بك إلى حضرة ربك في حالة محو نفسك ليلاً ، ويخرجك من مواطن تحكّم العدو إلى مقامات حكم المولى ، وهناك لا تزلزلك الزلازل وإن إشتدت .

وكان يقول ملازمة الأُستاذ أفضل من سفر المريد إلى مكة ، لأن الأُستاذ إنما وُضع لترقية المريد إلى معرفة رب البيت قبل البيت ، وكيف للمريد الإشتغال عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وُضع للناس ؟ فإن قلب الأُستاذ هو حضرة الحق التي إحتوت على جملة أرواح أئمة الهدى ، فإن الشيخ وارث علوم الأنبياء . وكان يقول : إياك أن تقيس حال أُستاذك على حالك فتهلك ، لأن الشيخ في أمان الله عز وجل ، وإنما يبكي ويتضرع لأجل أتباعه : إما ليعلمهم كيف يعملون ، وإما أنها شفاعة غيبية فيهم .

وكان يقول : من وجد من شيخه حرجاً ومشقة وجب عليه الرضا ، فإن لم يقدر فالصبر ، ويسأل كشف الحجب عنه حتى يطلعه الله على مراد شيخه

له ، فإنه إذا أطّلع عليه ذهب الضيق والحرج وبادر هو إلى ذلك الأمر . وكان يقول : ما دام معلمك يولّد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك ، فإذا تحققت روحُك بنوره وصار علمه يتجلى فيك بمعلومات بديهية فهو سيّدك ، وإنما يوحي إليك حينئذ ربُّك في حجاب قلب شيخك فاعرف تغنم اهـ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
وصية حكمية ينتفع بها المريد	٥
وصية حكيم لأولاده عند موته	٦
وصية في معصية الله	٧
وصية في حسن الظنّ بالرب	٨
وصية في ذكر الله في السر والعلن	٩
وصية في إتيان جميع القرب قدر الإستطاعة	١٠
وصية في الزام النفس بعمل الخير	١١
وصية في المثابرة على قول لا إله إلّا الله	١٣
وصية في إياك ومعاداة أهل لا إله إلّا الله	١٥
وصية عليك بملازمة ما افترضه الله	١٦
وصية عليك بمراعاة أقوالك	١٨
وصية إياك أن تصور صورة تكون لها روح	٢٠
وصية عليك بعيادة المرضى	٢١
وصية إياكم ومظالم العباد	٢٣
وصية عليك بمراقبة الله فيما أخذ منك وأعطاك	٣٤
وصية عليك بأداء الأوجب من حق الله	٣٧
وصية عليك بالإغتسال في كل يوم جمعة	٤٠
وصية عليك بحسن الأخلاق وإتيان مكارمها	٤١
وصية عليك بالهجرة وعدم الإقامة بين أظهر الكفار	٤٢
وصية عليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك	٤٣
وصية في إفشاء السلام لعباد الله	٤٤
وصية في تلاوة القرآن وتدبره	٤٥
وصية في مجالسة من تنتفع في مجالسته في دينك	٤٧

وصية في إقامة حدود الله في نفسك ٤٨
وصية في الصدقة والمتصدقين ٤٩
وصية في الجهاد الأكبر ٥١
وصية في إسباغ الوضوء ٥٢
وصية في مراعاة كل مسلم حقوقه ٥٣
وصية في حفظ حق الجار والجوار ٥٦
وصية في نصرة أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥٨
وصية إياك والخيلاء ٥٩
وصية عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة ٦١
وصية عليك بالبذاذة فإنها من الإيمان ٦٣
وصية في الحياء وأنه من الإيمان ٦٣
وصية في النصيحة وأنها من الدين ٦٤
وصية عليك بالصّلاة المكتوبة مع الجماعة ٧٠
وصية عليك بالمحافظة على صلاة الأوابين ٧١
وصية عليك بالورع في النطق ٧٣
وصية في التثاؤب وإنه من الشيطان ٧٦
وصية عليك بحفظ جوارحك ٧٩
وصية عليك بالأذان لكل صلاة ٨١
وصية في القضاء بين الناس بالحق ٨٣
وصية في الحذر من الطعن بالأنساب ٨٦
وصية عليك بكثرة الدعاء في حال السجود ٩٥
وصية عليك بالرباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن ٩٩
وصية احذر أن تكفر أحداً من أهل القبلة ١٠١
وصية احذر أن ترجح نظرك في علم الله في خلقه ١٠٥
وصية إذا قلت خيراً فكن أنت أول عامل به ١٠٦
وصية عليك بإكرام الضيف ١٠٧
وصية إذا سألت المغفرة فاسأل أن يسترك عن الذنب ١٢١

وصية رسول الله (ص) في الصحابة ١٢٤
وصية كن غيوراً لله تعالىٰ ١٣٠
وصية احذر أن يراك الله حيث نهاك ١٣٣
وصية إذا صلّيت فليكن نظرك إلى موضع سجودك ١٣٥
وصية لا تسبق إلى فضيلة إذا وجدت السبيل إليها ١٣٩
وصية عليك بكثرة السجود وعليك بالجماعة ١٤٤
وصية إذا حضر الطعام والصّلاة فابدأ بالطعام ١٤٦
وصية عليك بكثرة الإستغفار لا سيما بالأسحار ١٤٨
وصية ادفع عن عرض أخيك المسلم ما استطعت ١٥٠
وصية إياك والبطنة فإنها تذهب بالفطنة ١٥٢
وصية إيّاك أن تغتفر ذنباً وأنت صائم ١٥٤
وصية لا تسارر صاحبك بشيء ومعكما ثالث ١٥٥
وصية عامل كل من تصحبه بما تعطيه منزلته ١٥٧
وصايا نبوية للإمام علي (ع) ١٥٩
من وصايا الصالحين ١٧٠
وصية نبوية عيسوية ١٧٢
وصية نبوية روحية ١٧٣
وصية ونصيحة ١٧٧
وصية لقمان لابنه ١٧٨
وصية بعض الأولياء العارفين بالله ١٧٩
وصايا نبوية لأبي هريرة ١٨٠
وصية بعض العلماء ١٩١
موعظة ووصية ١٩٥
وصية مشفق ناصح ١٩٨
وصية عبد الله المغاوري ١٩٩
من وصايا ذي النون المصري ٢٠٠
وصية بعض العلماء ٢٠٦

وصايا إلْهية قرآنية ٢٠٧
وصية في إصلاح ذات البين ٢١٥
وصايا إلْهية من التوراة ٢١٦
وصايا بما كلم الله نبيه موسى (ع) ٢١٧
وصية إلْهية فيها لطف ٢١٩
وصية إلْهية نافعة ٢٢٠
من وصايا العارفين بالله ٢٢١
وصية في موعظة ٢٢٦
وصية عليك بالإقتداء بالرسول في أفعاله ٢٢٨
وصية بمكاتبة ٢٢٩
وصية مشفق ناصح عند أمير صالح ٢٣٠
وصية بمراقبة الألفاظ المسموعة ٢٣٢
وصية نبوية ووصية إلْهية ٢٣٤
وصية اعتبار لأحد الأبرار ٢٣٩
وصية سنية من ذوي همة علية ٢٤٣
وصية مجنون عاقل ٢٤٤
وصية حكيم في صفة الحميم ٢٤٤
وصية نبوية ٢٤٩
وصية فيها بشرى للمنقطعين إلى الله ٢٥١
وصايا نبوية مختلفة ٢٥٢
وصية تتصمن علامة باقتراب القيامة ٢٦٣
وصية نبوية بالصدقة ٢٦٥
وصية ونصيحة ٢٦٦
خاتمة الكتاب ٢٧٥
فهرس الكتاب ٢٩٣